المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية

الفواصل المنفردة في القرآن الكريم

دراسة بلاغية

Contrary Phrases in The Quran Rhetorical Study

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية
برنامج: الدراسات الأدبية "بلاغة"

إعداد الطالبة:

لطيفة بنت إبراهيم بن عبدالله الضالع

الرقم الجامعي: ٣٢١٢١٦٥٥٧

إشراف

الأستاذ الدكتور. السيد عبد السميع حسونة

أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

العام الجامعي ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية

الفواصل المنفردة في القرآن الكريم
دراسة بلاغيَّة

إعداد الطالبة: لطيفة بنت إبراهيم بن عبدالله الضالع

تقرير اللجنة:

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الآداب تخصص (الدراسات الأدبية/ بلاغة)

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة

أعضاء اللجنة	الاسم	المرتبة العلمية	التخصص	التوقيع
المشرف الرئيس				
المشرف المساعد				
المناقش الخارجي				
المناقش الداخلي				

تاريخ المناقشة.....

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص العربي

الفواصل المنفردة في القرآن الكريم دراسة بلاغية

الباحثة: لطيفة بنت إبراهيم الضالع

حاول هذا البحث تجلية الفواصل المنفردة في القرآن الكريم من وجهة بلاغية، وذلك بالوقوف مع جماليات هذه الفواصل المنفردة، وما اشتملت عليه من بلاغة في مواقعها القرآنية المختلفة، سواء كانت في افتتاح السورة أو في أثنائها أو في خاتمتها، أوفي بنائها، ودلالاتها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أسلك المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الفواصل المنفردة في القرآن الكريم.

وجاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

حيث أُشير في المقدمة إلى مشكلة البحث وتساؤلاته، وأهميته وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة التي يمكن الإفادة منها، والمنهجية المتبعة في هذا البحث، ومخطط البحث.

وفي الفصل الأول: فقد عُرض فيه لمواقع الفواصل المنفردة في القرآن، في مباحث ثلاثة، المبحث الأول: الفواصل المنفردة في أول السور، وفي المبحث الثاني: الفواصل المنفردة في وسط السور، وفي المبحث الثالث: الفواصل المنفردة في آخر السور.

وقد اختص الفصل الثاني: بعرض بناء الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، من خلال ثلاثة مباحث: المبحث الأول: في بناء فاصلة الحرف الأخير، والمبحث الثاني: في الكسر الإيقاعي في الفواصل المنفردة، والمبحث الثالث: في الفاصلة المنفردة والسياق.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: دلالات الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، وتضمن مبحثين: المبحث الأول: الدلالات الإيحائية للفواصل المنفردة، والمبحث الثاني: الدلالات المعنوية للفواصل المنفردة، ثم خُتمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث.

ومن خلال دراسة الفواصل المنفردة في القرآن الكريم دراسة بلاغية، أستطيع أن أقرر في شيء من الاطمئنان:

- أن الفواصل القرآنية قد اختصت بسمات اجتمعت فيها كل وجوه الحسن وخصائص التعبير الفني والجمالي.
- أكدت الدراسة أن كل فاصلة منفردة في القرآن الكريم لها إيحاؤها الخاص، ومعناها المتميز الذي لا تقوم به فاصلة أخرى مكانها.
- أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم يطوع الخصائص الصوتية في الفواصل المنفردة لمحاكاة المعاني التي تلفت إليها.

وغاية ما يمكن أن يقال في ملخص هذا البحث أن ما رصدته من بلاغة في الفواصل المنفردة ليس إلا قطرة من بحر المعجزة البلاغية الخالدة، التي تتجدد في كل زمان.

*****

Abstract

Contrary Phrases in The Quran

Rhetorical Study

Researcher: Latifa Ibrahim Al-Dhalea

This research sheds light on the beauty of Contrary Phrases in The Quran. This is done by showing the rhetoric of these contrary phrases. It also stresses their appropriateness within the qura'nic verses. These contrary phrases have a beauty of their own in either the epilogue or prologue. Further, it sheds light on the structure and context of these verses.

The nature of this research forces me to apply the analytical, descriptive methodology to reach my aim of studying the contrary phrases in the Holy Qur'an.

The study is divided into an introduction, a preamble, three chapters and an epilogue.

In the introduction, I deal with the thesis of the study, its questions, its importance, the reason for choosing this specific study. Together with the other previous studies, which can be used as references, the methodology applied in this research and lastly the general outline of the research.

In the first chapter, I dealt with the different places of the contrary phrases in the Holy Qur'an and I divided it into three sections.

In the first section: The contrary phrases in the beginning of the Surah.

In the second chapter: The contrary phrases in the middle of the Surah.

In the third section: The contrary phrases in the end of the Surah.

The second chapter: The structure for the contrary phrases in the Holy Qur'an. This chapter is also divided into three sections.

The first section: The structure of the last letter's interval.

The second section: The rhythmic variation in the single intervals.

The third section: The contrary phrases and context.

The third chapter's title is (The significance of the contrary in the Holy Qur'an). That chapter included two sections.

The first section: The suggestive significance in the single intervals.
The second section: The meaning-built significance of the contrary.
The study ended with an epilogue, which included the key results, and recommendations built on the researcher's perspective.

Based on my study of the contrary phrases in the Holy Qur'an, I assume that I can judge that these intervals:

- The intervals were unique in their rhetoric and aesthetic value.
- The study proved that each contrary phrases is special in its place and context.
- The study further showed that the Holy Qur'an manipulates the acoustic properties in the single intervals to assimilate them to the meanings, which they refer to.
- I here acknowledge that the rhetoric showed in the contrary phrases are as a single drop in the ocean of endless wonders (The Qur'an)

*****

إهداء

إلى التي أحيت الهمة والعزم في داخلي
وغمرتني بأصدق دعواتها

أمي

ربيع روحي

إلى من زرع فيَّ حب العلم والمثابرة

أبي

فخري وعزِّي

إلى من تزهو حياتي بهم، فتغدو صافية

إخواني

فأنعم بهم

إلى صديقاتي

اللاتي كن كالنبراس يضيء دربي...

شكر وتقدير

شكرًا والديَّ الكريمين: اللذين غمراني بدعائهما...

شكرًا لك زوجي أبا سفيان:

الذي مهما قلت فيه فلن أوفيه جزاءه، فإن جزاءه عند الله أسمى...

شكرًا أخي الدكتور فهد:

الذي طالما انتظر هذه اللحظة...

شكرًا فَلْذَتَي كبدي اللذين صبرا على تقصيري...

المقدِّمة

أولاً: التعريف بالموضوع:

إن الحمد لله، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه اللهُ فهو المهتدي، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله عليه وعلى آلهِ وصحبه وسلم.

أمَّا بعد:

فقد جاء في تعريف الفاصلة القرآنية أن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني[١].

فقال صاحب اللسان: الفواصل أواخر الآيات في كتاب الله[٢]، وكذا قال الزركشي[٣]: الفاصلة كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع[٤]، ويرى آخرون: أن الفاصلة أعم من ذلك، وأنها الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون: رأس آية، وغير رأس آية، وكذلك الفواصل تكُون رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة ولا عكس[٥].

وأما الفاصلة المنفردة: فهي التي لم تتماثل حروف رويها، ولم تتقارب كالفاصلة التي ختمت بها سورة: (الضحى).

---

(١) النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٩٧م، ص٢٧٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ، ٥٢٤/١١.

(٣) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين(٧٤٥- ٧٩٤هـ)، عالم بفقه الشافعية والأصول، له تصانيف كثيرة، منها: البحر المحيط في أصول الفقه، والديباج في توضيح المنهاج، انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ٦/ ٦١.

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، دار المعرفة، ط٢، لبنان، بيروت، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، ١/ ٥٣.

(٥) انظر: البيان في عد آي القرآن، للداني، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، ط١، الكويت، ١٤١٤هـ- ١٤٩٤م، ص١٢٦.

وقد لاحظ البلاغيون القدامى الجانب البلاغي لفواصل القرآن الكريم التي تواطأت على روي واحد، غير أن هذه الدراسات المتناثرة في كتب الإعجاز، والمبثوثة في تفاسير القرآن الكريم، لم تقف عند الفواصل المنفردة، وإذا كان صاحب كتاب "إعجاز القرآن"(١) بيَّن أن أسلوب القرآن يعتمد على الحروف والأصوات والكلمات والجمل في تراكيبها في تناسق وتماثل تامين، يخلقان نوعًا من الجمال في الإيقاع، فإن د. محمد الحسناوي في كتابه: "الفاصلة القرآنية"(٢) أول من تناول ظاهرة الفواصل المنفردة من ناحية الجمال الفني، ولكنه كان تناولاً خاطفًا لفاصلة واحدة من بين ثلاث وعشرين فاصلة منفردة أحصاها، والحقيقة أن الفواصل المنفردة في القرآن الكريم تزيد عن مائة فاصلة.

ولعل السبب في قلة عدد الفواصل المنفردة عند الحسناوي، أنه اقتصر على الفواصل المنفردة برويها، ولكنني سوف أعنى في البحث بالفواصل المنفردة بإيقاعها وروبها معًا.

وأيًا ما كان الأمر، فإن هذا البحث محاولة لتتبُّع الفواصل المنفردة في سياقها؛ للوقوف على الغاية الجمالية والبلاغية من وراء هذه المغايرة.

ثانيًا: أهمية الموضوع:

ومن هنا تأتي أهمية هذا الموضوع في دراسة الفواصل المنفردة في القرآن وتدبُّرِها وتأمُّلِها وتحليلِها تحليلاً بلاغيًّا، وأعني بالفواصل المنفردة تلك التي تقطع وحدة الإيقاع بمخالفة وزنها ورويها، أو رويها لما قبلها وما بعدها، إذا كانت في صلب السورة، أو مخالفتها لما بعدها في مطالع السور، أو ما قبلها في خواتيمها، فتأتي هي أو ما بعدها على غير ما تتوقعه الأذن، وتحدث ما يشبه الصدمة على حد تعبير المحدثين(٣)، وهي صدمة سارة؛ لأنها تكسر حدة الإلف، وتحول دون الملل الذي تسببه رتابة الإيقاع المنبعث من التوازن ووحدة الروي.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرفاعي، دار الكتاب العربي، ط٨، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(٢) انظر: الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي، دار عمار، ط٢، عمان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٣) انظر: السابق نفسه، ص ٢٠٥.

ومن ثمَّ فإن أهمية هذا البحث تتجلى في إبراز جهود البلاغيين في كشف بلاغة الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، وأثر ذلك على المتلقي.

والملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا: أن الفواصل المنفردة جاءت في مطالع السور حينًا، وفي صلبها حينًا ثانيًا، وفي مقاطعها حينًا ثالثًا، وهو ما سوف يظهر في البحث إن شاء الله تعالى.

ثالثًا: أسباب اختيار الموضوع:

١- إن هذا الموضوع يبحث عن وجه من وجوه الإعجاز حيث يركز على دراسة الفاصلة المنفردة من خلال أقدس الكتب السماوية.

٢- إنه يعين على تذوق نصوص القرآن الكريم، والتأمل في معانيها، واستخراج أسرار تعبيرها.

٣- إنه يسلط الضوء على السر البلاغي في تفرد هذه الفواصل بالذكر دون غيرها، وذلك من خلال البحث في خصوصية السياق ومقتضيات المقام، وخصوصية البنية الصوتية والصرفية.

٤- عدم بروز بحث مستقل يتناول الفواصل المنفردة في القرآن الكريم التي تثري الجانب البلاغي، إلا ما كان متناثرًا في كتب التفسير والبلاغة، التي قامت بالإشارة إلى الفواصل المنفردة دون دراستها دراسة تحليلية.

رابعًا: مشكلة البحث وتساؤلاته:

تتلخص مشكلة البحث في الكشف عن بلاغة الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، كما يسعى البحث إلى الإجابة عن بعض التساؤلات، ومنها:

- أين تتجلى بلاغة الفواصل المنفردة في القرآن الكريم؟
- ما الغاية الجمالية من وراء انفراد الفاصلة في القرآن الكريم؟
- ما موقع الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم؟ وما دلالتها؟
- هل جاءت الفواصل المنفردة في أول السورة، أم في وسطها، أم في آخرها؟

- ما الخيط الناظم في بناء الفاصلة القرآنية؟

- ما وجوه الإعجاز التي تجليها السياقات التي وردت فيها تلك الفاصلة المنفردة؟

- ما دلالات الفواصل المنفردة في القرآن؟

خامسًا: أهداف البحث:

يرمي هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

١- الرغبة في العيش في ظلال القرآن الكريم؛ لفهم معانيه وتأمل أساليبه، والإسهام في حقل الدراسات القرآنية، من خلال هذا الموضوع الذي لم ينل حظه الكافي من الدراسة.

٢- إبراز الجوانب البلاغية التي تميزت بها الفواصل المنفردة في القرآن الكريم.

٣- إبراز الجانب الإيقاعي والموسيقي في الفواصل المنفردة وأثره على المتلقين.

سادسًا: الدراسات السابقة للموضوع:

بعد الرجوع إلى الشبكة العنكبوتية والبحث في الموضوعات المتعلقة بالفاصلة القرآنية، تبين لي ندرة الدراسات التي اهتمت بتتبع هذه الفواصل المنفردة، وتحليل سياقاتها البلاغية، وإن كان هناك بعض الدراسات التي تتقاطع مع هذا الموضوع، ومن هذه الدراسات:

١- كتاب: (الفاصلة في القرآن) لمحمد الحسناوي.

٢- كتاب: (الفاصلة القرآنية) لـــ د.عبدالفتاح لاشين.

٣- بحث للدكتور أسامة عبدالعزيز جاب الله، بعنوان: (جماليات التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية).

٤- بحث للدكتور عيد شبايك، بعنوان: (الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى).

وتختلف هذه الدراسات عن موضوع بحثي؛ فتركيزها ينصب على دراسة الفاصلة بشكل عام، كما في كتاب محمد الحسناوي، حيث ركز على تعريف الفاصلة، وتاريخها، وأبنيتها، وجمالها، ودلالاتها، وإعجازها، وتناول الفاصلة، ولم يركز على الفاصلة المنفردة، حتى إنه أحصاها بأنها لا تتجاوز ثلاثاً وعشرين فاصلة.

واعتمد الدكتور عيد شبايك على ما قاله الحسناوي في كتابه، فهو يجاريه في حصر السور التي وقعت فيها الفواصل المنفردة، وفي عدد الفواصل، وكلاهما أغفل سوراً وقعت فيها فواصل منفردة، وأغفل كذلك فواصل أخرى منفردة في السور التي ذكروا أن فيها فواصل منفردة.

أما بحث الدكتور أسامة جاب الله فقد كان تركيزه منصبًّا على جماليات التقديم والتأخير في الفاصلة القرآنية، وتعريف الفاصلة، وذكر أنواعها، إلا أنه أشار إشارة خاطفة إلى الفاصلة المنفردة، ومثّل لها بمثال واحد فقط.

وهناك ثلاثة بحوث أخرى، أقرب لبحثي، أحدها بعنوان: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، للدكتور محمد الأمين الخضري، والثاني: بعنوان إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، للدكتور محروس السيد بريك، والثالث: بعنوان جماليات الإيقاع في الفواصل المنفردة، للدكتور السيد حسونة.

وكما هو واضح من عناوين البحوث الثلاثة أنها تركز على الجانب الإيقاعي فقط دون بقية الجوانب البلاغية الأخرى، وأما هذا البحث فسوف يتوسع في دراسة الفواصل المنفردة دراسة بلاغية تشمل التراكيب والصور، وليس الإيقاع فقط.

وإذا كانت تلك البحوث اقتصرت على بعض الفواصل المنكسرة، فإن بحثي سوف يتناول جميع الفواصل المنفردة في القرآن والتي جمعتها في مائة وخمسٍ وثلاثين آية، وسأحللها تحليلاً بلاغيًّا.

سابعًا: منهج البحث:

ستقوم الدراسة – إن شاء الله تعالى– على المنهج الوصفي التحليلي، حيث إنها تسلط الضوء على الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، فتدرسها في سياقها، وتتلمس بلاغة تفرّدها، والسر في إيثار هذه الفواصل المنفردة في هذا السياق دون غيره، وذلك من خلال البحث في مقتضيات المقام، وخصوصية البناء، وطبيعة السياق الذي ترد فيه، مع مراعاة الوحدة الموضوعية للسورة ككل.

ثامنًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، تحوي أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المقدمة: سأقوم فيها بالتعريف بموضوع الدراسة وأهميته، وسبب اختياره، والأهداف التي يحققها، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع، وما إلى ذلك.

التمهيد:

وسوف أتناوله في محورين:

الأول: الفاصلة في الدراسات البلاغية.

الثاني: مفهوم الفاصلة المنفردة.

الفصل الأول: موقع الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم:

المبحث الأول: الفاصلة المنفردة في أول السورة.

المبحث الثاني: الفاصلة المنفردة في وسط السورة.

المبحث الثالث: الفاصلة المنفردة في آخر السورة.

الفصل الثاني: بناء الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم:

المبحث الأول: الفاصلة المنفردة في الحرف الأخير[١].

المبحث الثاني: الكسر الإيقاعي في الفاصلة المنفردة[٢].

المبحث الثالث: الفاصلة المنفردة والسياق.

---

(١) أي النظر في الأصوات التي وردت عليها الفواصل، وما هذه الأصوات؟، وهل هي متقاربة المخرج أو متباعدة عما قبلها أوما بعدها؟...إلخ.

(٢) أي يتم النظر إلى مخالفة الكلمة الأخيرة إيقاعيًا، مع ما قبلها أو بعدها.

الفصل الثالث: دلالات الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم:

المبحث الأول: الدلالة الإيحائية في الفاصلة المنفردة.

المبحث الثاني: الدلالة المعنوية في الفاصلة المنفردة.

الخاتمة:

وفيها أسجل أهم ما توصلت إليه من نتائج بعد المعايشة الطويلة مع البحث.

الفهارس:

واشتملت على الفهارس التالية:

١- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣- فهرس الشعر.

٤- فهرس الأعلام.

٥- المصادر والمراجع.

٦- المقالات (المجلات والدوريات) والرسائل العلمية.

٧- فهرس الموضوعات.

الصعوبات التي واجهت البحث:

عندما فرغت من هذه الرسالة ومادتها استعداداً للمناقشة استحضر ذهني رغماً عني كلَّ ما صاحبها من تحولات وتغيرات في نفسي، وتقصير نحو زوجي وأولادي وعافيتي.

والحمد لله الذي جعل بعد العسر يسراً، وبعد الضيق مخرجاً، وبعد استحكام الحلقات فرجًا.

وإن كان من صعوبة تذكر في هذا المقام، فهي الصعوبة المعنوية؛ صعوبة تجشم عناء الاجتهاد في التحليل والغوص في مقاصد كتاب الله في انفراد الفاصلة من موضع إلى آخر.

وكنت خلال البحث يجتاحني شعور متداخل متضارب، أشعر بسعادة تملؤني عندما أقترب من النهاية، وبالحزن يغمرني في الوقت نفسه؛ خشية الزلل عن الصواب في كتاب الله، داعية الله دومًا: "رب اعصمني من الزلل في كتابك".

وعندما تقترب النفس من النهاية، تدرك أنها وصلت إلى التمام، وبلوغ المرام، وإن أعظم حصن لاستمرار النعم هو شكر الله –تعالى– على تمامها، وإن من أولى النعم بالشكر، وأجدر تلك المنن بالحمد، أن أذن لي– سبحانه – بهذه اللحظة، فله الحمد كله، وله الشكر كله، وله الثناء كله، وله المحامد كلها، لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.

وبعد حمد الله– تعالى– وشكره، أتوجه بالشكر لكل القلوب التي نبضت لهذه الرسالة، ونبضت لصاحبتها؛ إحساسًا وشعورًا ودعمًا ودعاءً صادقاً بظهر الغيب.

- أشكر والديّ الكريمين اللذين دعماني بدعائهما لي.

- وأشكر زوجي الفاضل أبا سفيان على صبره وتضحيته.

- وأشكر أخي الدكتور فهد، الذي كنت أستأنس برأيه عند الشدة، فقد وجدت فيه أخًا صبورًا.

- وأشكر المناقشَين الفاضلين؛ لقراءتهما هذا البحث.

- وأشكر أعضاء القسم؛ لأفضالهم علي.

- وأتقدم بالشكر إلى جامعة القصيم، وكلية اللغة العربية، ممثلة في عميدها، ورئيس القسم الدكتور إبراهيم اللاحم.

ومسك الشكر أهديه لمن أشرف على هذه الرسالة في بدايتها، ووسع مداركها: الأستاذ الدكتور إبراهيم بن منصور التركي، وكانت له وقفاته الداعمة علميًّا ونفسيًّا، ولكنه ترك الإشراف عليها بسبب تفرغه للابتعاث العلمي، ثم أشكر الأستاذ الدكتور السيد عبد السميع حسونة الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم، الذي تابع الإشراف على هذه الرسالة، وتحملني ثانية في إكمالها،كما تحملني أولاً عند اختيار الموضوع وقت الإرشاد الأكاديمي، فالله أسأل أن يتحمّل عني جزاءه، وجزاءهم أجمعين، وأن يهبهم من الخير في الدنيا والآخرة ما يأملون، وفوق ما يأملون، إنه سميع مجيب.

أسأل الله في عليائه أن يتمَّ علي نعمته، وأن يتقبل هذه الرسالة بقبولٍ حسنٍ، وأن يزكيها ويجعلها علمًا نافعًا، وكلمة طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

الباحثة

*****

التَّمهـيـد

أولاً: الفاصلة في الدِّراسَات البلاغيَّة

ثانيًا: مفهوم الفاصلة المنفردة

أولاً: الفاصلة في الدِّراسَات البلاغيَّة

قبل الخوض في بحث الفواصل المنفردة في القرآن الكريم، وتناولها بالبحث والدراسة أردت أن أقف عند مفهوم الفواصل، وأركز على أقوال البلاغيين فيها، ثم أعرِّج على مفهوم الفاصلة المنفردة لأنها أساس المادة المدروسة، التي يتبين من خلالها المنهج المتبع في البحث.

فالمتأمل في كتاب الله-عزَّ وجلَّ- يجد أن مادة: "ف ص ل" وردت في مواضع كثيرة، نذكر منها المواضع التي جاءت مرتبطة بوصف القرآن الكريم، وهي:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾[٥].

فمادة: "ف ص ل" في اللغة لها أصل واحد تلتقي عنده الاستخدامات المختلفة لهذه المادة، فهي تعني: "تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه"[٦]، و"الفصل بون ما بين الشيئين، ومن الجسد: موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل"[٧]، "وفصلك الشيء عن الشيء حتى يباينه"[٨].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٢.

(٣) سورة هود: الآية ١.

(٤) سورة فصلت: الآية ٣.

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٤.

(٦) معجم مقاييس اللغة، لأحمد فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ٥٠٥/٤.

(٧) معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٢٦/٧.

(٨) جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ٨٩١/٢.

"وهذا الأمر فيصل: أي مقطع الخصومات"(١)، "والفصال: التفريق"(٢)، يقول ابن منظور(٣): "والفصل الحاجز بين الشيئين، والفاصلة: الخرزة التي تفصل ما بين الخرزتين في النظام"(٤)، "والفواصل: أواخر الآي"(٥)، وهي جزء من الآية تفصل بين الآية السابقة والآية اللاحقة، تشبه قوافي الشعر في موقعها، وبها تُقَسَّمُ السورة القرآنية إلى أجزاء مترابطة، وبالفواصل يقع الكشف عن المعاني والتناغم الصوتي.

ويقول الأزهري(٦): "وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر، واحدها فاصلة، وقول الله – عزَّ وجل –: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٧)، له معنيان: أحدهما تفصيل آيه بالفواصل، والمعنى الثاني: فصَّلناه: بيَّناه، وقوله عزَّ وجل:﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾(٨)، بين كل آيتين مهلة، وقيل: مفصلات: مبينات"(٩).

---

(١) أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ٢٥/٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشامية، ط١، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ، ص٦٣٨.

(٣) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٦٣٠-٧١١هـ) من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، قال ابن حجر: كان مغرماً باختصار كتب الأدب المطولة، أشهر كتبه (لسان العرب) عشرون مجلداً. (انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي، ١٠٨/٧).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٥٢١/١١.

(٥) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ٦٣٨، وانظر: لسان العرب، لابن منظور، ٥٢٤/١١.

(٦) الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري بن طاحة بن نوح الأزهري الهروي (٢٨٢-٣٧٠هـ) كان فقيهًا عالماً بالحديث واللغة، أخذ عن نفطويه وابن السراج وثعلب، من كتبه: تهذيب اللغة، وغريب الألفاظ، وتفسير القرآن. (انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ٣٣٤/٤؛ والأعلام، للزركلي، ٣١١/٥).

(٧) سورة فصلت: الآية ٣.

(٨) سورة الأعراف: الآية ١٣٣.

(٩) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١، ١٣٦/١٢.

"وفصَّله فصلاً ميَّزه، وفي الاصطلاح: علامة تفريق بين بحثين، وقيل: هو القول الواضح البين، الذي ينفصل به المراد عن غيره"(١).

هذا ما قاله علماء اللغة في مفهوم الفاصلة.

أما علماء الإعجاز وعلوم القرآن فقد تناولوا فواصل القرآن الكريم في معرض حديثهم عن إعجاز القرآن، وتعدَّدَت تعاريفهم للفواصل، إلا أن الرُّماني(٢) يُعَدُّ الأسبق في دراسة الفواصل القرآنية، فهو بمثابة من وضع حجر الأساس لكل من تناولها بعده، وذلك عندما قسَّم البلاغة إلى عشرة أقسام، وجعل(الفواصل) عنوانًا لأحد هذه الأقسام، وعرَّفها بقوله: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"(٣).

فهو لا يريد بالفاصلة الكلمة كلها، وإنما حرف الروي(٤) الذي تنتهي به الكلمة، وهو جزء مهم؛ فهو من أقوى أسباب التأثير على النفس لما يحمله من أنغام ودلالات تجعل المتلقي في أعلى درجات التيقظ والإصغاء.

ووافقه في هذا التعريف الباقلاني(٥)، حيث قال: إن الفواصل "هي حروف متشابهة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"(٦)، إلا أنه خالفه بجعل الفهم يقع بشكل تلقائي وليس واجبًا.

فالفاصلة عندهم حروف متشابهة في مقاطع الآيات، وظيفتها تأكيد المعنى، وهو تعريف ليس جامعًا مانعًا؛ لأن هناك فواصل لا تتشاكل ولا تتقارب حروفها، وهناك فواصل تكون

---

(١) الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية): للكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٦٨٦.

(٢) الرُّماني: هو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني النحوي (٢٩٦-٣٨٤هـ)، والرماني نسبة إلى الرمان وبيعه، أو إلى قصر الرمان بواسط، كان باحثًا معتزليًا من كبار النحاة، من كتبه: النكت في إعجاز القرآن، ومنازل الحروف. (انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٩٩/٣، والأعلام، للزركلي، ٣١٧/٤).

(٣) النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، ص٢٧٠.

(٤) الرَّوِيُّ: وهو الحرف الذي بنيت عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال: سينية ودالية وهكذا. (انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل، للدكتور محمود مصطفى، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١ ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢، ص٩٢).

(٥) الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني، البصري المتكلم المشهور (ت ٤٠٣هـ)، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، له تصانيف كثيرة في علم الكلام. (انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٢٦٩/٤).

(٦) إعجاز القرآن الكريم، للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٩٧م، ص٢٧٠.

آية قائمة بذاتها، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾[١]، فلا يتحقق فيها تأكيد معنى الآية التي تصاحبها أو تلخصها أو تقررها.

وانفرد الداني[٢] بتعريف الفاصلة القرآنية بأنها: "الكلام التام المنفصل مما بعده، والكلام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل تكون رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين"[٣]، وما يميز الداني في تعريفه أنه فرّق بين الفواصل ورؤوس الآي.

ويرى الزركشي أن الفاصلة هي: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[٤]، وللزركشي رأيٌ آخر يوضح فيه مقام الفاصلةِ وموضعها، حيث قال: "تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباينُ بها القرآن سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصَل بينها وبين ما بعدها"[٥]، فالزركشي جعل الفاصلة الكلمة الأخيرة التي تقابل قافية الشعر وقرينة السجع أو الجملة التذييلية آخر الآية، وقوله: يباين بها القرآن سائر الكلام، أراد الإشارة إلى أن الفاصلة خاصة بالنص القرآني، يتميز بها عن الكلام المعروف الذي يتداولُه الناسُ فيما بينهم من شعر ونثر.

أما الفيروزآبادي[٦] صاحب كتاب "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" فله

---

(١) سورة العصر: الآية ١.

(٢) الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له: النصيري من أهل دانية (٣٧١-٤٤٤هـ)، أحد حفاظ الحديث ومن الأئمة في علم القرآن وتفسيره. (انظر: معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ١٦٠٤/٤، والأعلام، للزركلي، ٢٠٦/٤).

(٣) البيان في عد آي القرآن، للداني، ص١٢٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٥٣/١.

(٥) المرجع السابق، ٥٤/١.

(٦) الفيروزآبادي: هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب (٧٢٩-٨١٧)، كان مرجعَ عصره في اللغة والحديث والتفسير، من أشهر كتبه: القاموس المحيط، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٤٧/٧).

رأي آخر، حيث قال: "فأما فواصل الآيات ومقاطعها فعلى نوعين، إما على حرف كـ ﴿طه﴾[١]، فإن فواصل آياتها على الألف، وكـ ﴿اقْتَرَبَتِ﴾[٢]فإن مقاطع آياتها على الراء، وإما على حرفين كالفاتحة فإنها بالميم والنون: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾[٣]، ونحو: ﴿قٓ ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١﴾، فإنها بالياء والدال"[٤]ويتضح من كلام الفيروزآبادي أنه يريد بالفاصلة الحرف الأخير، وهو حرف الروي.

أما ابن عاشور[٥]، وهو أحد كبار المفسرين المعاصرين فقد ذكر تعريفًا واضحًا للفاصلة القرآنية يقول فيه: "هي الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها، أو تتقارب مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتُكَرَّر في السورة تكرارًا يُؤذِنُ بأن تماثلها أو تقاربها مقصودٌ من النظم في آيات كثيرة متماثلة تكثرُ أو تقلُّ، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع، والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسُكون، وهي أكثر شبهًا بالتزام ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جارٍ على أسلوب الأسجاع"[٦].

وهذا التعريف الذي أورده ابن عاشور للفاصلة يوافق بعض البلاغيين، إلا أن البلاغيين لم يضعوا حدًا واضحًا بين مصطلح السجع ومصطلح الفاصلة، وإنما تحدثوا عن الفاصلة وسط

---

(١) سورة طه: الآية١.

(٢) سورة القمر: الآية١.

(٣) سورة الفاتحة: الآيتان٣، ٤.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، القاهرة، ١/٧٠.

(٥) ابن عاشور: محمد بن الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، أديب وخطيب، شارك في علوم الدين، أحد أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة (١٣٢٧-١٣٩٠هـ)، من مؤلفاته إعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، والتحرير والتنوير. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٦/٣٢٥).

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١/٧٥.

حديثهم عن السجع، يقول أبو هلال العسكري[١]: "والسجع على وجوه: فمنها أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين، لا يزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه"[٢].

وعرَّف الخفاجي[٣] السجع بقوله: "تماثل الحروف في مقاطع الفصول"[٤]، فقد ذكر مصطلح "الفصول" وهو قريب في مادته من مصطلح "الفواصل".

أما ابن الأثير[٥] فيقول عن السجع: بأنه "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"[٦].

ووافقه في هذا التفريق الكثير من البلاغيين[٧] الذين جاؤوا بعده مع فروق بسيطة، ومنهم

---

(١) العسكري: هو الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، عالم بالأدب، له شعر، من كتبه: جمهرة الأمثال، وكتاب الصناعتين. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٩٦/٢).

(٢) كتاب الصناعتين في صناعة الشعر والنثر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٢٦٢.

(٣) الخفاجي: هو عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي (٤٢٣-٤٦٦هـ)، شاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره، من تصانيفه: ديوان شعر، وسر الفصاحة. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٢٢/٤).

(٤) سر الفصاحة، للخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص١٧١.

(٥) ابن الأثير: هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، أبو الفتح ضياء الدين المعروف بابن الأثير الكاتب (٥٥٨-٦٣٧هـ)، وزير من العلماء الكتاب المترسلين، من تصانيفه: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وديوان الرسائل. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٣١/٨).

(٦) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢١٠/١.

(٧) انظر على سبيل المثال: التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص١٠٦، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ٢٩٩/٢، ومختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، للتفتازاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص ٣٦، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح للمغربي، تحقيق: د.خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٥١/٢.

الطيبي[١] الذي عرَّف السجع بقوله: "هو تواطؤ الفاصلتين على الحرف الأخير، أو الوزن"[٢].

ويقول العلوي[٣] في تعريفه للسجع: هو "اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما"[٤].

واستخدم بعض البلاغيين مصطلح الفواصل بديلاً عن مصطلح السجع، ومنهم الحلبي[٥]، حيث قال: "والأولى أن يُقال: أواخرُ الآيات الفواصل"[٦].

أما الطيبي فيقول: "ولا يقال في التنزيل أسجاع، وإنما هي فواصل..."[٧].

وهذا الكلام يفتقر إلى شيء من الدقة؛ لأن الفاصلة قد تأتي في جملة واحدة مخالفة لما قبلها وما بعدها، وهذا لايكون في السجع لأنه لايقوم إلا بجملتين فأكثر.

أما السكاكي[٨] فقد جعل السجع لونًا من ألوان الحُسن في الكلام، وجعل الفواصل لونًا

---

(١) الطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبدالله، شرف الدين الطيبي (ت٧٤٣هـ)، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من كتبه: التبيان في المعاني والبيان وشرح الكشاف. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٥٦/٢).

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق: د.هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص٤١٥.

(٣) العلوي: هو يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي الطالبي (٦٦٩-٧٤٥هـ)، يلقب بالمؤيد بالله، من تصانيفه: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، والمحصل في كشف أسرار المفصل. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٤٣/٨).

(٤) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى حمزة العلوي، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ، ١٢/٣.

(٥) الحلبي: هو محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي الحلبي، أبو الثناء شهاب الدين (٦٤٤-٧٢٥هـ)، أديب كبير، تولى ديوان الإنشاء، من تصانيفه: ذيل على الكامل لابن الأثير، حسن التوسل إلى صناعة الترسل. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٢٧/٧).

(٦) حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين الحلبي، مطبعة أمين أفندي، مصر، ١٣١٥هـ، ص٧١.

(٧) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، للطيبي، ص٤١٥-٤١٦.

(٨) السكاكي: هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب سراج الدين (٥٥٥-٦٢٦هـ)، عالم بالعربية والأدب، من كتبه: مفتاح العلوم، ورسالة في علم المناظرة. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٢٢/٨).

من ألوان السجع، حيث قال: "ومن جهات الحسن الأسجاع، وهي في النثر كما في القوافي في الشعر، ومن جهاته الفواصل القرآنية"[١].

ولكن الفواصل لا يشترط فيها توافق الحروف الأخيرة فقد تأتي حروف متماثلة أو متقاربة أو متغايرة أو منفردة، ولا يعد ذلك عيباً في الفواصل، أما الأسجاع فتوافق الحروف الأخيرة شرط تلتزم به ولا تقوم من دونه، لذلك يصح أن نقول إن الفواصل أعم من الأسجاع.

وأخذ القزويني[٢] وشراح تلخيصه من تعريف السكاكي هذا تعريفًا للفواصل والأسجاع، فقالوا: وأما الفاصلة فهي الكلمة الأخيرة من القرينة[٣]، وأما السجع فهو: "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"[٤]، وهذا معنى قول السكاكي: الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر.

هذا ما قاله البلاغيون القدامى عن السجع والفاصلة، أما المحدثون فقد احتذى كثير منهم حذو القدماء في مفهوم الفاصلة على أنها: "تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد: أو على حرفين متقاربين، أو حروف متقاربة، ويقع في الشعر كما يقع في النثر"[٥].

ويرى الدكتور تمّام حسان أن الفاصلة قد تأتي بعد تمام المعنى فتكون تذييلاً للآية[٦].

---

(١) مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص٤٣١.

(٢) القزويني: محمد بن عبدالرحمن بن عمر، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (٦٦٦-٧٣٩هـ)، من أدباء الفقهاء، أصله من قزوين، من كتبه: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والإيضاح. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٩٢/٦).

(٣) انظر: شرح مختصر السعد، للتفتازاني، ومواهب المفتاح، للمغربي، وعروس الأفراح، للسبكي، ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٤٤٥/٤.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ، ص٢٩٦.

(٥) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة، ومسائل البديع، لبسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، دار المعالم الثقافية، ط٢، الأحساء، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص٢٩٦، وانظر: التناسب البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٢م،ص٣٤٩. والإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، لعائشة عبدالرحمن، دار المعارف، ط٣، ص٢٥٩.

(٦) انظر: البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د.حسان تمام، عالم الكتب، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٢٨٠، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، ٢٣٥/١، والتعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، ط ٤، بيروت، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ، ص ٢٠٣.

أما د. محمد الحسناوي، فقد أورد في كتابه"الفاصلة في القرآن" تعريفًا يعد من أظهر تعريفات الفواصل وأوضحها عند المحدثين، حيث قال: "الفاصلة كلمةٌ آخرِ الآية كقافية الشعر وسجعه، والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الروي أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى وتستريح إليه النفوس[١].

ويعرّف منير سلطان الفاصلة بأنها "الكلمة التي ينتهي بها معنى الجملة ويحسن السكوت عندها، فهذه الكلمة فاصلة؛ لأنها تنبئنا بأن معنى الجملة قد انتهى، ولأنها تعطينا فرصة الوقوف لإراحة النفس عند القراءة؛ ولأنها تفصل بين معنيين إما فصلاً تامًا أو غير تام"[٢].

ويذكر أحد الباحثين أن الفاصلة من الناحية البلاغية أقرب إلى مفهوم القافية في الشعر، والسجع في النثر من جهة تشابه الحروف أو تقاربها في المخرج، ولكنَّها تختلف عنهما من جهة المقصد والمرجعية[٣].

ومن خلال استعراضنا لجهود العلماء المشتغلين بالقرآن وعلومه، لاحظنا أنهم تجنبوا وصف القرآن الكريم بنعوت الشعر، وترفَّعوا عن تسمية ما اتحدت حروف أواخره بالسجع، مستبدلين به مصطلح الفواصل أو الموازنة، يقول الدكتور أحمد أبو زيد: "علماء الإعجاز منهم من يرى أن جمال الإيقاع يعد من الأسس الموضوعية لما يختص به من روعة وتأثير، غير أن هؤلاء لم يتعمقوا في بحث النظم الموسيقي للقرآن، بل إنهم لم يستعملوا مصطلحات "الإيقاع"، و"النغم"، و"الجرس"، في دراساتهم أصلاً؛ وذلك لأنهم كانوا يشعرون بالحرج من نعت أي شيء في كتاب الله بأنه ذو جرس أو موسيقا، أو بأنه مشتمل على صفة من صفات الشعر أو الغناء"[٤].

أما البلاغيون فقد خلطوا بين مصطلح السجع ومصطلح الفواصل، و لم يضعوا حدًا فاصلاً بينهما، و لم يكن ذلك إلا تحرُّجًا منهم إلحاق ما في القرآن الكريم بالشعر أو سجع الكهان،

---

(١) الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي، ص٢٩.

(٢) البديع تأصيل وتجديد، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦م، ص٤١.

(٣) انظر: مقال بعنوان (جمال الفاصلة في القرآن)، للدكتور عبد القادربن فطة، مجلة عود الند الثقافية، للناشر: الدكتور عدلي الهواري، العدد:٩٤.

(٤) التناسب البياني في القرآن الكريم، لأحمد أبو زيد، ص ٢٤٢.

يقول منير سلطان: "إن حديث: "**أسَجْعًا كسجع الكُهان؟**"[١] يسيطر على الدرس البلاغي، مما أدى إلى الخلط بين "السجع"، و"الفواصل"، وساعد هذا الخلط الحرج من وصف ما في القرآن "سجعًا""[٢].

وفي هذه الدراسة فضَّلتُ الابتعاد عن الخوض في قضية التشابه والاختلاف بين الفاصلة والسَّجع، وهل في القرآن سجع أم فواصل؟ تلك القضية التي أثارها الأقدمون؛ إذ أثبت بعضهم السجع في القرآن ونفاه آخرون.

فهذه القضية قد أخذت نصيبها من البحث والدراسة، فتكرارها لا يغني شيئًا[٣].

والذي يظهر لي بعد هذا التأمل السريع لما ورد من تعاريف لمصطلح الفواصل أنه لم يستقر على مفهوم محدد لدى العلماء على اختلاف مشاربهم، ونظرًا لذلك كان على الباحثة أن تقف عند المفهوم المراد من هذا المصطلح في هذا البحث، وتبيينه، وتمييزه عن غيره من المفاهيم؛ حتى يتبين للمتلقي أساس المادة المدروسة، ولعلي بعد هذا أستطيع أن أقول: إن الفاصلة القرآنية لفظ آخر الآية، ينتهي بصوت قد يتكرر على حرف واحد أو حرفين متقاربين، أو حروف متغايرة، محدثًا إيقاعًا مؤثِّرًا، وقد لا يتكرر فيخرج عن هذا النظام ويكسر حدة الأَلف في الفواصل، وهذا النوع هو ما سنحاول تتبعه في هذا البحث للوقوف على الغاية البلاغية وراء هذا التفرد والانكسار.

*****

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط١، مصر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ٢/٧٣برقم ٧٣١، وعبدالرزاق الصنعاني في مصنفه، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٠/٦٠برقم١٨٣٥١، باب نذر الجنين، من حديث المغيرة بن شعبة، وهو في صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط٥، بيروت: ٣/١٣٠٩، برقم ١٦٨١، باب دية الجنين بلفظ:"إنما هذا من إخوان الكهان"، "من أجل سجعه الذي سجع": من حديث أبي هريرة.

(٢) فن البديع، لمنير سلطان، ص٣٩.

(٣) لمزيد من الفائدة انظر: الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي، ٢٧-١٢٨، والبديع تأصيل وتجديد، لمنير سلطان، ص٢٧-٤٤، وجمانيات المفردة القرآنية، للدكتور أحمد ياسوف، إشراف وتقديم: الدكتور نور الدين عتر، دار المكتبي، ط٢، سورية –دمشق، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص٣٠٩-٣١٧.

ثانياً: مفهوم الفاصلة المنفردة

إن القرآن الكريم وإن جاء على طريقة العرب إلا أنَّ لنظم القرآن مزية لا يدانيها مزية، وفضلاً لا يقاربه فضل، فكما أعجزهم في نظمه، أعجزهم أيضًا في إيقاعه وتنغيمه[١]، ومن مظاهر الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم استعماله الفاصلة التي أجراها الله – تعالى- على ما أحبته الأذن العربية وولعت به من القوافي[٢] والأسجاع، وما عشقته من موسيقا الألفاظ، وربما كان هذا أول ما راعهم من إعجازه، فقد وجدوا فيه أنغامًا لم يعهدوها في نثرهم حتى نعتوه بالشعر.

"وهذا النظم الصوتي أو التوقيعي-كما يقول صاحب كتاب مواهب الفتاح -هو أول شيء أحسته الأذن العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء أكان مرسلاً أم مسجوعًا حتى خُيِّل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعرٌ؛ لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة، وأخذهم من لذةٍ هذا الإيقاع والترجيع هِزة، لم يعرفوا شيئًا قريبًا منها إلا في الشعر"[٣].

ولقد استهوت هذه الفواصل بما فيها من أنغام وإيقاعات العرب، لذلك أضفى بعض الكتاب على نثرهم من عناصر الإيقاع، حتى أسرفوا فيه وصاروا يستكرهون الألفاظ ويقهرون المعاني طلبًا للسجع، يقول الدكتور عبدالله دراز: "إن أول شيء أحسَّته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيمًا منوعًا، يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعًا بالقسط الذي يساعد على ترجيع الصوت به، وتهادي النفس به آنًا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى، وهذا النحو من النظم الصوتي، إذ كانت العرب قد عمدت إلى

---

(١) التنغيم: هو رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة. (انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص١٠٦).

(٢) القافية: هي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري. (انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل، للدكتور محمود مصطفى، ص٩٠).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، ٢/٣١٠.

شيء منه في أشعارها، فذهبت فيه إلى حدٍّ الإسراف في الاستهواء، ثم إلى حد الإملال في التكرير، فإنها ما كانت تعهده قط، ولا كان يتهيأ لها بتلك السهولة في منثور كلامها سواء منه المرسل والمسجوع، بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه، ولا يمكن معها إجادة ترتيله إلا بإدخال شيء عليه، أو حذف شيء منه"(١).

لذلك اضطر النقاد –كما يبدو لي– إلى وضع قيود للسجع تضمن عدم التكلف، والخروج عن سماحة الطبع، وأهمها ألا يلزم الكاتب به نفسه.

يقول صاحب (البرهان في وجوه البيان): "ومن أوصاف البلاغة أيضًا السجع في موضعه، وعند سماحة القول به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنًى عنها، والسجع مستغنًى عنه، فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته، فذلك جهلٌ من فاعله، وعيٌّ من قائله"(٢).

وإذا كان صاحب البرهان يرى أن السجع من البلاغة والتزامه نوعٌ من الجهل والعي، فإن السجلماسي(٣) يرى: "أن ما نزل عن ذلك كله حتى تكون الألفاظ مضرسة، والأجزاء مجمعة، وآخرها غير مسجوعة، ومقاطعها غير مختتمة بحروف واحدة أو متضارعة، فذلك خارج عن البلاغة، فمن تكلم على هذا المِهْيَع، وسلك هذا المنهج فليلحق بجنسه من العوام"(٤).

وبينما نجد السجلماسي يجرد من البلاغة كل كلام يخلو من السجع، يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الكلام الموزون –على الرغم– مما يثيره بأنغامه الموسيقية من الانتباه، إلا أن الخروج

---

(١) النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم)، لمحمد عبدالله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، وقدم له: أ.د.عبد العظيم المطعني، دار القلم، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ص١٣٤.

(٢) البرهان في وجوه البيان، لإسحاق بن وهب الكاتب، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، ومطبعة الرسالة، ص١٦٥.

(٣) السجلماسي: القاسم بن محمد بن عبدالعزيز الأنصاري، أبو محمد السجلماسي: أديب. ولد ونشأ في سجلماسة (ت٧٠٤هـ)، ورحل إلى فاس فأخذ من علمائها ودرّس في القرويين، وصنف المترع البديع في تجنيس أساليب البديع. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٨١/٥).

(٤) المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، للسجلماسي، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط١، الرباط، المغرب، ١٤٠١هـ–١٩٨٠م، ص٥١٦–٥١٧.

على وحدة النغم ووقع السلسلة الإيقاعية يعد ضربًا من المهارة، يقول: "الكلام الموزون والنغم الموسيقي، يثير فينا انتباهًا عجيبًا؛ وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة، تنسجم مع ما تسمع من مقاطع لتتكون منها جميعًا تلك السلسلة، وقد يمهر البليغ، فيخالف ما يتوقعه السامع"(١).

إن آية الإعجاز في فواصل القرآن الكريم أنك تبقى في قمة اليقظة والإصغاء، سواء مضت السورة على رويٍّ واحد، أو تنوعت في رويِّها، فلا يجد فيها السامع ما يجده في قُصاصة نثرية قصيرة مسجوعة، تسحرُه وحدةُ إيقاعِها في بادئ الأمر، ثم يبدأ بالملل من تكرار النغم الواحد، حتى يفقد نشاطه وحماسه إلى الإصغاء.

أنواع الفواصل القرآنية:

نلاحظ في النظم القرآني أن الفواصل القرآنية تحافظ على الانتظام الإيقاعي والتكرار الصوتي المؤثِّر من جهة، وتسلك العديد من الطرق التي تقاوم بها الخدر الناشئ من هذا التكرار المنتظم، فتأتي بما لا يتوقع من الأنغام والدلالات، فتسترعي انتباه السامع، وتجدد نشاطه، وتُبْقِيه فطِنًا مُرْهَف الحس من جهة أخرى.

حيث جاءت إحدى عشرة سورة من سور القرآن الكريم متماثلةَ الفواصل، تنطوي على التوازي والانتظام؛ لتحافظ على المشاكلة اللفظية والجمال الإيقاعي: تسع منها جاءت في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهي من السور القصار التي تتراوح آياتها ما بين ثلاث آيات كما في سورة "الكوثر"، وإحدى وعشرين آية كما في سورة الليل، ومعظم هذه السور مكية ذوات فقرات قصيرة متساوية، وأحداث متسارعة وأنغام متلاحقة، لا تترك مساحة للملل والرتابة، وإنما تشحذ السمع وتدعو النفس للتفكر والتأمل، وهو ما يميز هذا الجزء من غيره من أجزاء القرآن، "وكل الجزء من قصار السور على تفاوت في القصر، والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة – على وجه التقريب – في: موضوعها واتجاهها وإيقاعها

(١) انظر: موسيقى الشعر، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٢م، ص١١-١٢.

وصورها وظلالها وأسلوبها العام، إنها طرقات متوالية على الحس، طرقات عنيفة قوية عالية، وصيحات، صيحات بُومٍ غارقين في النوم، تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله، بإيقاع واحد ونذير واحد"، كما ذكر صاحب الظلال(١).

أما السورة العاشرة فهي سورة "المنافقون"، وهي سورة مدنية وعدد آياتها إحدى عشرة آية، تتراوح ما بين متوسطة الطول إلى طويلة نسبيًا، اعتمدت فواصلها على حرف النون.

المردوف بالواو، أو الياء المدية رويًّا لها، والذي يعد أكثر حروف العربية استعمالاً في الفواصل القرآنية، ويعلل د. إبراهيم السامرائي كثرة مجيء حرف النون رويًّا في الفواصل القرآنية بقوله: "ولعل النون من الأصوات التي يحسن السكوت عليها للغنة التي تحصل في النطق غناء أم ترسُّلاً في القول، ومن أجل هذا لزمتها الفواصل القرآنية المسجوعة"(٢).

وتميزت سورة "المنافقون" بالإيقاع المهيب الذي يلائم معاني السورة وأغراضها؛ فهي تخاطب عقول المنافقين وتسعى لإبطال أقوالهم.

والسورة الحادية عشرة من السور متحدة الرويِّ هي سورة "القمر"، وهي مكية، وعدد آياتها خمس وخمسون آية، وتعتبر أطول السور التي تماثلت فواصلها في حرف الروي، وضمت خمس قصص موجزة من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وانتهت جميعها بحلول العذاب المدمر بهم.

وتتنوع هذه القصص: "قصة قوم نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وموسى"، مع تنوع صور الهلاك من "إغراق في الطوفان، وتدمير بالصرصر، وإرسال الريح، وطمس الأعين، وإفناء في اليم"، وتعدد المعجزات: "انشقاق القمر، والسفينة، والناقة، ..."، وكلها تستدعي التنويع في

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط١، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ، ٦/٣٨٠٠.

(٢) فقه اللغة المقارن، للدكتور إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢٦.

الفواصل، لكن القرآن الكريم احتفظ بوحدة النغم وتماثل حروف الروي، وأعقب كل قصة بجملتين تنقلان المتلقي من مشهد العذاب إلى تدبر القرآن وتأمل قدرة الله – تعالى– .

ويعلل الدكتور الخضري لمجيء الفواصل متماثلة مع تنوع القصص بقوله: "أن القرآن الكريم احتفظ بوهج الإيقاع مع وحدة الروي، بما يحقق لكل قصة موقعها المميز، إذ كان القرآن يعقب كل قصة بجملتي ارتكاز مجتمعين أو متفرقين، تتناهى عندهما وحدة النغم، تهيئان السامع لانتقال معنوي وأسلوبي خاطفين.

الأولى:

تنقل المتلقي من مشهد العذاب إلى تدبر القرآن وتأمل أصوات إعجازه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

والثانية:

تدفعه إلى تأمل قدرة الله– تعالى– من خلال تنوع مصارع المكذبين، واختلاف طرق العذاب: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾[2]، ذلك الانتقال المعنوي صاحبَه انتقالٌ أسلوبيٌّ من الخبر إلى الإنشاء بالاستفهام في الآيتين.

وفي الاستفهام إيقاظٌ للفكر والشعور، ونقلُ المتلقي من موقف المشاهدة إلى المشاركة في الاستنتاج، ومن الانفعال بالأحداث إلى التفاعل معها، وقد استبدل بالاستفهام صيغة الأمر في قصة قوم لوط، وتكررت مع لونين من العذاب أرسلهما الله على هؤلاء القوم، وهي قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾[3].

والأمر هنا أشد لفتًا للسامع بما تضمنه من انتقال مفاجئ من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، حتى ليخيل إلى السامع أنه أحد المأمورين، فتتصاعد في نفسه مشاعر الرهبة، ويمتلئ

---

(١) سورة القمر: الآية١٧.

(٢) سورة القمر: الآية٢١.

(٣) سورة القمر: الآية٣٩.

رعبًا حتى يصل إلى قمة التيقظ"[١]، وهذا نوع من أنواع الفواصل القرآنية التي تماثلت حروف رويها في سورة كاملة.

وجاء نوع آخر متقارب الفواصل، فتجد السورة الواحدة تعتمد على نظام الفواصل المتقاربة، وهذا النوع لم يأتِ بمحض الصدفة، بل تتطلبُها وتستوجبُها المعاني، فلا يحل غيرُها محلَّها، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "إنَّ الفواصل هيَ الْكلمات الَّتي تتماثل في أَوَاخر حروفها أَوْ تتقارب، معَ تَماثُل أَوْ تقَارُب صيغ النُّطق بها وتُكرَّر في السُّورة تكرُّرًا يؤْذنُ بأَنَّ تَماثُلَها أَوْ تقارُبَها مقصُودٌ من النّظم في آيَات كثيرةٍ مُتماثلةٍ، تكثرُ وتقلُّ"[٢].

وتقارب حروف الروي في الفواصل لا يقل شأنًا عن الفواصل ذات الروي المتماثل في إحداث الأثر الإيقاعي الجميل، وأكثر الحروف دورانًا في الفواصل القرآنية المتقاربة حرفا الميم والنون، المردوفان بالياء أو الواو المدية كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[٣]، وهي الفاصلة الأثيرة في القرآن الكريم، والتي تميز بها النظم القرآني عما سواه من منثور العرب، فمن النادر تواطؤ الفقرات في غير القرآن على حرفي النون أو الميم المردوفين بمد الواو أو الياء، لذلك يعد هذا التوازن ضربًا من الإعجاز الصوتي في الكتاب الحكيم، فالجمع بين المد والنون أو المد والميم، يعطي ترنُّمًا وجمالاً صوتيًّا خاصًا.

قال السيوطي[٤]: "كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكين من التطريب بذلك، كما قال سيبويه[٥]: أنهم إذا ترنَّموا يلحقون

---

(١) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.محمد الأمين الخضري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ص١١٣٤.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور،١/٧٥.

(٣) سورة الفاتحة: الآية ١، ٢.

(٤) السيوطي: هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي (ت٩١١هـ)، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، من مصنفاته: الإتقان في علوم القرآن. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٣/٣٠١).

(٥) وعبارة سيبويه في الكتاب "أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت" (انظر: الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٤/٢٠٤).

الألف والياء والنون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن الكريم على أسهل موقف وأعذب مقطع"[١]؛ ذلك لأن أكثر حروف العربية إظهاراً للغنة: النون والميم وردفهما بحرفي المد: الواو والياء، يضفي نعومة ولِينًا للصوت.

يقول ابن جني[٢]: "إنما جيء بالمد في هذا لنغمته وللِين الصوت به، وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة للنفس والأذن، فقدموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذِن بسكونه، وما يخفض من غلواء الناطق واستمراره على سنن جريه وتتابع نطقه؛ ولذلك كثرت حروف المد قبيل حروف الروي، كالتأسيس والردف؛ ليكون ذلك مُؤذنًا بالوقوف، ومؤدِّيًا إلى الراحة والسكون، وكلما جاور حرف المد الروي كان آنسَ به، وأشد إنغامًا لمستمعه"[٣].

ويعلل الرماني لكثرة مجيء حرف النون في الفواصل القرآنية المتقاربة بقوله: "وإنما حسن في الفواصل المتقاربة لأنه يكشف الكلام من البيان، ما يدل على أن المراد في تمييز الفواصل والمقاطع ما فيه من البلاغة وحسن العبارة"[٤].

وفي دراسة إحصائية يثبت بعض الدارسين أن حرف النون جاء فاصلة بنسبة ٥١% تقريبًا، وحرف الميم الذي استعمل فاصلة بنسبة ١٢,٣٨%، وحرف الراء استعمل فاصلة كذلك بنسبة ١١,٤%"مردوفًا بالواو والياء في أكثر الأحيان، فحرف الراء فيه من التكرار ما يساعد على التطريب مثل: "البصير، الغفور، القدير، الشكور، ..."[٥].

ومجيء حروف المد في الفواصل سواء أكان حرف المد رويًّا كما في فواصل سورة الأعلى والليل، أو كان حرف المد ردفًا مثل: (الفاسقون، العظيم، المصير، ...)، أو جاء تأسيسًا مثل:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٣٩٣هـ-١٩٧٤م، ٣٥٩/٣.

(٢) ابن جني: إمام العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، صاحب التصانيف، من مصنفاته: سر الصناعة، والتلقين في النحو، والخصائص. (انظر: سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م، ١٨/١٧).

(٣) الخصائص، لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ٢٣٥/١.

(٤) النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٩٨.

(٥) انظر: فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، للسيد الخضر، مكتبة الآداب، ط٢، القاهرة،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٧٨-٧٩.

(الكواكب، التكاثر، المقابر، لواحد، ...)، أو جاء مدًّا منقلبًا عن التنوين كما في سورتي: النساء والفرقان، يضفي جمالاً صوتيًّا مميزًا للفواصل القرآنية.

يقول عز الدين السيد: "والحدود في الفواصل وهي نهايات الوقفات الصوتية للجمل عند الوقف نجد لها في القرآن الكريم من الحلاوة والإطراب حظًا يثير الإحساس بأن لها دخلاً كبيراً في الإعجاز، وهي إما ممدودة مطلقة يوقف عليها بصوتها، وإما ملحقة بحرف صائت تسبقه، وقد تتكرر في كلمة الفاصلة، فيضاعف التكرير قيمتها، بما لا يخفى جماله وأسرار إيقاعه"(١)، وهذا هو اللون الثاني من ألوان الفواصل القرآنية، وهي التي تقاربت حروف رويها و لم تتماثل.

أما النوع الثالث والذي يمثله الجزء الأكبر من سور القرآن خاصة الطوال منها، فيأخذ بنظام التغيُّر أو التنوُّع في الفواصل "وهو نظام لا حدود له، ويتعذر ضبطه في قواعد محددة، إنه ضرب من الإيقاع بالغ الروعة والتفرد، حتى لتوشك كل سورة من سوره أن تنفرد بنظام خاص من هذا الإيقاع لا تشاركها فيه سورة أخرى، فالفاصلة مظهر من مظاهر الإعجاز في النظم القرآني تجري في نسقها بما يناسب سياق المعنى الذي تساق إليه أو يقتضيه، وبما يحقق الغرض المقصود من مجيئها في القرآن الكريم"(٢)، على خلاف ما عهدناه في السجع عند العرب.

وفي ذلك يقول سيد قطب(٣): "وأما تنوع هذا النظام في السورة الواحدة فقد لاحظنا مرات كثيرة أن الفاصلة والقافية لا تتغيران لمجرد التنويع، وقد تبين لنا في بعض المواضع سر هذا التغير، وخفي علينا السر في مواضع أخرى"(٤).

---

(١) التكرير بين المثير والتأثير، للدكتور: عز الدين السيد، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ص٦٥.

(٢) الفاصلة القرآنية: دراسة دلالية أسلوبية، للدكتورة عزة محمد جدوع، كلية التربية-جامعة قناة السويس، مجلة القراءة والمعرفة، مصر، العدد٧٩، ٢٠٠٨م، ص٢٠.

(٣) سيد قطب: سيد قطب بن إبراهيم (١٣٢٤-١٣٨٧هـ)، من مواليد قرية موشا في أسيوط، مفكر إسلامي مصري، عكف على تأليف الكتب ونشرها من مؤلفاته: في ظلال القرآن، والتصوير الفني في القرآن. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٤٧/٣).

(٤) التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط٣، القاهرة، ص١٠٧-١٠٨.

وهذا ما أشارت إليه د. عائشة عبدالرحمن في "الإعجاز البياني للقرآن" بقولها: "مقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن إدراكه"(١).

وهو ما سبق إليه الزمخشري فيما رواه السيوطي: "قال الزمخشري في كشافه: لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سردها، على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة"(٢).

وقد يأتي التنوع في الفواصل على شكل مقاطع، يحتفظ فيها كل مقطع بوحدة الروي، مع تناغم عجيب بين المعنى والإيقاع، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر سورة العاديات حيث جرى المقطع الأول على حرف الحاء المفتوحة، والمقطع الثاني على حرف العين المفتوحة، والثالث على حرف الدال المسبوق بحرف المد الواو أو الياء، والمقطع الأخير على حرف الراء، وإليك الآيات قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ (٣).

وقد يتسع تغير الفواصل، وتتباين كثيراً فتشمل أكثر من حرف، كما في سورة فاطر حيث مضى إيقاع فواصلها على نسق مختلف، فشملت سبعة حروف، هي: الراء، والألف، والنون، والدال، والميم، والباء، والزاي في "الأمور، خساراً، تؤفكون، الحميد، الحكيم، لغوب، بعزيز" وعلى هذا النحو يسير تغيُّر الفواصل وتباينه على امتداد السورة، وهذا النوع من الفواصل يتعذر ضبطه في قواعد محددة.

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، لعائشة عبدالرحمن ، ط٣، ص٢٧٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣/٣٥٩.

(٣) سورة العاديات: الآيات من١إلى ١١.

أما النوع الرابع فهو الفواصل المنفردة التي تقطع وحدة الإيقاع في سور القرآن الكريم، وهو ما سيتناوله هذا البحث، ففي أحيان كثيرة يعدل النظم القرآني إلى فاصلة منفردة مما يؤدي إلى تحول مفاجئ في الإيقاع، يلفت معه المتلقي إلى معنى جليل وغاية يريد النظم الحكيم التركيز عليها، وخروج الفاصلة على النسق الإيقاعي الواحد، وقطعها لوحدة النغم على المتلقي، هو ما اصطلح عليه في النقد الحديث بـــ"الصدمة السارة"(١).

ويعتبر محمد الحسناوي أول من تناول هذه الظاهرة بشكل جلي في كتابه "الفاصلة القرآنية"، ونظراً لعدم ظهور هذا النوع من الفواصل عند المشتغلين بالقرآن الكريم رأيت أنه من الضرورة أن أفصِّل القولَ في مفهوم الفواصل المنفردة.

والانفراد في اللغة:

جاء في معجم المقاييس: "فرد: الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة"(٢)، "وأفردته جعلته واحداً"(٣)، "والفرد: الوتر"(٤)، ويقول ابن منظور: "والله تعالى وتقدس هو الفرد، وقد تفرد بالأمر دون خلقه، والفرد هو من صفات الله تعالى هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا مثل ولا ثاني"(٥)، فـــ "تقول: الله واحد تريد أن ذاته منفردة عن المثل والشبه"(٦)،

---

(١) الفاصلة القرآنية، لمحمد الحسناوي، ص٢٠٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، ٥٠٠/٤.

(٣) معجم العين، للفراهيدي، ٢٤/٨.

(٤) معجم الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، للفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـــ-١٩٨٧م، ٥١٨/٢، وانظر: معجم مختار الصحاح، للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط٥، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـــ-١٩٩٩م، ص٢٣٦.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣٣١/٣.

(٦) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ص١٤٠.

و"الله الفرد تفرد بالربوبية والأمر دون خلقه"[١]"وجاءوا فُرادًا وفرادى، أي واحدًا واحدًا"[٢]، و"عددت الخرز والدراهم أفرادًا أي واحدًا واحدًا، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾[٣]، جمع فردان"[٤]، و"يقال: فرَّد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس"[٥]، و"ظبية فاردة منفردة انقطعت عن القطيع، وفي الحديث: **"لا تصنع سارحتكم ولا تعد فاردتكم"**[٦]، "وهي التي أفردتها عن الغنم تحلبها في بيتك"[٧]، "وأفراد النجوم: الدراري التي تطلع في آفاق السماء، سميت بذلك لتنحيها وانفرادها عن سائر النجوم"[٨].

و"الفوارد من الإبل التي لا تشبهها فحول"[٩]، و"الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، وأفردته: عزلته"[١٠]، و"استفردت الشيء إذا أخذته فرداً لا ثاني له ولا مثيل"[١١]، و"يقال:

---

(١) معجم العين، للفراهيدي، ٢٤/٨.

(٢) معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، ٥٨/٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية٩٤.

(٤) معجم العين، للفراهيدي، ٢٤/٨.

(٥) معجم تهذيب اللغة، للأزهري، ٧٠/١٤، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الجزري، تحقيق: طاهر الزوري ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ٤٢٥/٣.

(٦) أخرجه ابن زنجويه في الأموال: أبو أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني (ت ٢٥١هـ)، تحقيق: د. شاكر ذيب فياض ، الناشر: مركز الملك فيصل، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م (٢/ ٤٥٨)، ولفظه: لا تُعْدَلُ سَارِحَتُكُمْ، وَلا تُعَدُّ فَارِدَتُكُمْ .

(٧) انظر: أساس البلاغة، للزمخشري، ١٥/٢.

(٨) لسان العرب، لابن منظور، ٣٣١/٣، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الهدية، ٤٣٨/٨.

(٩) معجم القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد العرقسوسي، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٣٠٦/١.

(١٠) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، ٥١٨/٢.

(١١) تهذيب اللغة، للأزهري، ٧٠/١٤.

استفرد الغواص هذه الدرة، لم يجد معها آخر"[١]، "والمنفرد يفيد التخلي والانقطاع من القرناء"[٢].

وإذا كان الانفراد في مفهومه اللغوي يعني الوحدة والتميز عن غيره، فإنه يقودنا للمفهوم الاصطلاحي للفواصل المنفردة، ونعني بها تلك الفاصلة التي "تردُ ليس لها نظير في بقية السورة من حيث الإطلاق والتقييد، أو حرف الروي (حرف الفاصلة) أو الردف[٣]، أو التأسيس[٤]، وقد يتحقق انفراد الفاصلة بأحد تلك الأنواع أو باجتماع بعضها في فاصلة واحدة"[٥].

ويرى الحسناوي أن الفاصلة المنفردة هي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب كالفاصلة التي ختمت بها سورة "الضحى"[٦].

وعرَّف أحد الباحثين الفواصل المنفردة: "بأنها تلك التي تقطع وحدة الإيقاع بمخالفة وزنها ورويها، أو رويها لما قبلها وما بعدها، إذا كانت في أثناء السورة، أو مخالفتها لما بعدها في فواتح السور أو ما قبلها في خواتيمها، فتأتي هي أو ما بعدها على غير ما توقعته الأذن، وتحدث ما يشبه الصدمة على حد تعبير المحدثين وهي صدمة سارة؛ لأنها تكسر حدة الألف، وتحول دون الملل الذي تسببه رتابة الإيقاع المنبعث من التوازن ووحدة الروي، وقد جاءت الفواصل المنفردة في مطالع السور حينًا، وفي صلبها حينًا، وفي نهايتها حينًا ثالثًا"[٧].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، ٦٧٩/٢.

(٢) معجم الفروق اللغوية، للعسكري، ص١٤١.

(٣) الردف: هو حرف المد الذي يكون قبل حرف الروي ولا فاصل بينهما. (انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل، لمحمود مصطفى، ص٩٣).

(٤) التأسيس: هو الألف التي يكون بينها وبين الروي حرف. (انظر: المرجع السابق،٩٣).

(٥) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، للدكتور محروس السيد بريك، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص١٧٧.

(٦) الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي، ص١٤٨.

(٧) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، للدكتور محمد الأمين الخضري، ص ١١٣٨.

ونخرج مما سبق بأن الفواصل المنفردة هي تلك الفواصل التي جاءت مغايرة لنسق الفواصل قبلها أو بعدها، أو بعدها أو قبلها بوزنها ورويها معًا، أو مغايرة برويها فقط أو وزنها فقط، فتكون أشبه بواسطة العقد التي تتميز عن سائر حباته لتلفت المتلقي إلى معانٍ يريد النظم أن يركز الانتباه عليها، وكما أن تماثل الفواصل وتقاربها تضفي لونًا من الجمال يعمد إلى الإثارة والانتباه بالتوقع والإشباع، فإن الفواصل المنفردة تضفي لونًا آخر من الجمال يعمد إلى الإثارة والانتباه بمخالفة ما يتوقعه السامع؛ لأن "عملية التوقع مستمرة حين سماع الإنشاد، وتسترعي منا الانتباه وتنشطه، وقد يمهر البليغ فيخالف ما يتوقعه السامع"(١).

وهذا الانفراد لو وقع في قافية الشعر لعُدَّ عيبًا، إلا أنه لا يعد عيبًا في الفاصلة، وإن قال بعضهم: إن "فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في الشعر"(٢)، إلا أن "ما يذكر من عيوب القافية في اختلاف الحذو(٣) والإشباع(٤) والتوجيه(٥) فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة، ومن ثم ترى: (ترجعون) مع (عليم)، و(الميعاد)، مع (الثواب)، و(الطارق)، مع (الثاقب)"(٦).

وإذا فتشنا في النثر العربي القديم بما فيه من الخُطب والرسائل والوصايا، التي ورثناها عن الجاهلية وعصر صدر الإسلام، وجدنا أنها لم تُبْنَ على السجع من أول القطعة النثرية إلى آخرها، وإنما جاءت مختلفة؛ لأن الكاتب إذا استرسل في الاحتفاظ بوحدة الروي اضطر إلى التكلف والخروج عن سماحة الطبع – كما ذكرنا – وأحس المتلقي بالملل من رتابة الإيقاع، وفقد نشاطه وميله إلى الإصغاء.

---

(١) موسيقى الشعر، لإبراهيم أنيس، ص١٢.

(٢) القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، للعلامة المخللاتي، تحقيق: عبدالرزاق إبراهيم موسى، طبعة وزارة الإعلام، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ–١٩٩٢م، ص١٢٦.

(٣) الحذو: حركة ما قبل الردف. (انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل، للدكتور محمود مصطفى، ص٩٧).

(٤) الإشباع حركة الدخيل مثل حركة العين في فاعله في قول الشاعر:

أرى الحلم في بعض المواضع ذلّة وفي بعضها عزًّا يُسوِّد فاعِلُه. (انظر: المرجع السابق، ص ٩٧).

(٥) التوجيه: حركة ما قبل الروي المقيد. (انظر: المرجع السابق، ص٩٧).

(٦) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٩٩/١.

أما في القرآن الكريم فأنت في أعلى درجات اليقظة، وهذا ما يميز الكتاب الحكيم عن غيره من نظم البشر، وإليك جزءاً من خطبة قس بن ساعدة وهي التي ذكرها صاحب: "البيان والتبيين" في الجيِّد من أسجاع العرب: "يا أيها الناس: اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، آيات محكمات، مطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، ضوء وظلام، وبر وآثام، ولباس ومركب، ومطعم ومشرب، ونجوم تمور، وبحور لا تفور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، وليل داج، وسماء ذات أبراج، ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون؟ أرضُوا فأقامُوا؟ أم حُبسوا فنامُوا؟ يا معشر إياد، أين ثمود وعاد؟ وأين الآباء والأجداد؟ أين الموقف الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينكر؟ أقسم قس قسمًا بالله: إن لله لدينًا هو أرضى لكم من دينكم هذا"(١).

هذا النموذج النثري زيَّنه قُس بن ساعدة بالسجع، مع التنوع في حرف الروي من مقطع إلى مقطع، مفصِّلا مقاطعه على المعاني والأغراض، موزّعا موسيقاه على المواقف والأحداث، وفي ثلاثة مواضع من الخطبة فاجأ الكاتب المتلقي على غير ما توقع بثلاث فواصل منفردة، قطع بها وحدة الإيقاع في بداية الخطبة ليجذب بها انتباه السامعين إلى ما سيقوله: (اسمعوا وعوا) وفي صلبها استفهام بصاحب الفاصلة المنفردة؛ ليدعو إلى التأمل في نهاية كل مخلوق (ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون؟)، وفي نهايتها جاء باسم الإشارة: (هذا)؛ ليدعوهم إلى النظر في الدين الذي ارتضَوْه، وهذا الخروج على وحدة النغم يجدِّد نشاط السامع، ويدفعه إلى التركيز على معنى جليل وغاية يتوخى الكاتب لفت الانتباه إليها.

هذا ضرب من النثر، أما مع القرآن الكريم فشأن آخر، وسوف نقف -بإذن الله- في هذا البحث على الكثير من الفواصل المنفردة التي تكسر وحدة الإيقاع، لتوجه الفكر والقلب إلى ما تلوح به الفاصلة المنفردة؛ لنرى إعجازًا ليس بعده إعجاز.

*****

(١) البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ص٢٥٣-٢٥٤.

الفصل الأول

مَوْقِعُ الفَاصِلَة المنفردة في القرآن الكريم

المبحث الأول: الفاصلة المنفردة في أوَّل السُّورة.

المبحث الثاني: الفاصلة المنفردة في وَسَط السُّورة.

المبحث الثالث: الفاصلة المنفردة في آخِر السُّورة.

المبحث الأول

الفَاصِلَـة المنفردة

في

أول السُّـوْرَةِ

المبحث الأول

الفَاصِلَة المنفردة في أوَّل السُّوْرَةِ

نظرًا لحاجة المتلقِّي إلى ما يُوقظُ حِسَّه الجماليَّ، ويحرِّك نفسه، ويسترعي اهتمامه، فيكون حاضر الذهن فطنًا للكلام الْمُلقى عليه إلى نهايته، وذلك بفعل اندفاعه في بداية الكلام؛ لذلك اهتم البلاغيُّون اهتمامًا كبيرًا بمطلع الكلام وابتدائه.

ففي كتاب الصناعتين: "سئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: من يتفقد الابتداء والمقطع"(١).

وكان بعضهم يوصي بعضاً بتعهُّد ابتداء الكلام وتحسينه، قال بعض الكتاب: أحسنوا -معاشر الكتاب-الابتداءات؛ فإنهن من دلائل البيان"(٢).

وهو في الوقت نفسه يشدُّ انتباه المتلقي، فيستجيب للكلام ويتأثر به؛ "لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان عذبًا،حسن السبك، صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإلا أعرض عنه ورفضه، وإن كان الباقي في غاية الحسن"(٣).

"ومما يدخل في هذا الباب من الكتاب العزيز ابتداءات السور، وإذا تدبَّرتها: جملتها وتفصيلها، ومفرداتها، ومركباتها، ومعجماتها ومعرباتها، ونظرت في أعداد حروفها، وما يوافق أعدادها من العدد الحسابي، وما نسبت إليه من المعاني، رأيت من البلاغة والتفنُّن في أنواع الإشارة ما تَقْصُرُ عنه العبارة"(٤).

---

(١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص٣٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣١.

(٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ، ص٧٣٤، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣١٣/٣، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط ٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ٧٠٥/٤.

(٤) بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، الفجالة، ط٢، القاهرة، ص٦٤.

فالمتأمل في مطالع سور القرآن الكريم يُشَدُّ إليها فتستثير وجدانه وإحساسه، وتنتزع نفسه إلى ما يقال بلهفة؛ وذلك بما تضمنته هذه المطالع من تنوُّع في فواصلها التي حشدت بدلالات تثير انتباه القارئ أو السامع، فينبهر من جمالها ودلالتها، كما في استهلال بعض السور بالحروف المقطعة التي حظيت بنصيب كبير من الآراء دون الإجماع على رأي منها(١).

وقبل البدء في الحديث عن مجيء الحروف المقطعة فاصلة منفردة لعلِّي أقف عندها وقفة خاطفة، فقد تصدرت تسعًا وعشرين سورة من سور القرآن الكريم(٢)، "كلها من السور المكيَّة إلا الزهراوين: "البقرة وآل عمران"(٣) مدنيَّتان، وهذا يعني أن "أكثر السور المبدوءة بهذه الفواتح نزلت في المرحلة التي بلغ الجدل في القرآن أشدَّه، فعرضت قضيَّة التحدي، وظلت آيات القرآن تُعجزهم وتتحداهم أن يأتوا بمثله أو سورة منه، إلى أول العهد المدني الذي نزلت فيه آية البقرة فَحَسَمت الجدل العقيم، بعد أن ألزمتهم الحجة على صِدق المعجزة بعَجزهم مُجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله"(٤).

وجاءت الحروف المقطعة "كالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم -وقد عجزوا عنه عن آخرهم -كلام منظوم من عين ما ينظمون منه، و لم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار، وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب، والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز، و لم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ

---

(١) قيل: إن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به، وقيل: إنها مأخوذة من أسمائه – سبحانه- ، وقيل: إن الله أقسم بها بأن الكتاب منزل من عنده، وقيل: إنها ترمز إلى مدة أقوام وآجالهم، وقيل: إنها أسماء للسور، وقيل: إن لكل كتاب سرًا، وسرُّ القرآن فواتح السور، وقيل: إنها جاءت للتنبيه، وقيل: إن هذه الحروف تشير إلى غلبة مجيئها في كلمات هذه السورة... إلى غير ذلك من الأقوال. (انظر: البرهان في علوم القرآن، ١/١٧٣-١٧٧)، وسمعت من أستاذي د. السيد حسونة قوله: إن بعض العلماء جمعوا هذه الأحرف المقطعة في جملة معبرة، وهي قولهم: "نص قاطع حكيم له سر"، نص: في(ن- ص)، وقاطع: في(ق- أ- ط، من :طس، وع من: كهيعيص.....وهكذا.

(٢) انظر: المرجع السابق، للزركشي، ١/١٦٥.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٨/٢٦٢.

(٤) الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، ص١٦٦.

التي بزت بلاغة كل ناطق و لم تتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء، و لم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر، وأنه كلام خالق القوى والقدر"[١].

وجاءت الحروف المقطعة في فواتح السور متنوعة، وذكر صاحب الكشَّاف أنها شملت نصف حروف الهجاء، واختلف في عددها من حرف إلى خمسة[٢]، وكان لغموض هذه الحروف في الفواتح وخفاء مرادها كبير الأثر في تعدُّد الآراء واضطرابها، حتى قيل إنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله- تعالى- فقد كثرت حولها الأقاويل وعز التأويل، ولا أرى داعيًا لذكر تلك الأقاويل؛ فتركيزنا منصبٌّ على الفواصل المنفردة منها.

وتأتي الفواصل في فواتح السور:

أ-إما منفردة عمَّا بعدها تارة.

ب- أو قريبة منها.

جـ- أو متسقة معها تارة أخرى.

وقد ذكر الزركشي أن فواتح السور على عشرة أنواع[٣]، غير أن الفواصل المنفردة في بدايات السور صُدِّرَتْ بسبعة أنواع، هي:

١- ما هو من حروف التهجي، أوصُدِّرَتْ بحرف التهجي.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٦٩/١، وانظر: مفاتيح الغيب=التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت،١٤٢٠هـ، ٢٥٣/٢، والإعجاز البياني للقرآن، لعائشة عبد الرحمن، ص١٦٦.

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري،٧٠/١.

(٣) الاستفتاح بالثناء نحو قوله تعالى: (تبارك الذي بيده الملك)(الملك:١)، والتنزيه نحو قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى)(سورة الإسراء:١)، الاستفتاح بحروف التهجي نحو قوله تعالى: (آلم)(سورة البقرة:١)، الاستفتاح بالنداء نحو قوله تعالى: (ياأيها المدثر) (المدثر:١)، الاستفتاح بالجمل الخبرية نحو قوله تعالى: (يسألونك عن الأنفال)(سورة الأنفال:١)، الاستفتاح بالقسم نحو قوله تعالى: (والسماء ذات البروج)(البروج:١)، الاستفتاح بالشرط نحو قوله تعالى:(إذا وقعت الواقعة)(الواقعة:١)، الاستفتاح بالأمر نحو قوله تعالى: (قل ياأيها الكافرون)(الكافرون:١)، الاستفتاح بالاستفهام نحو قوله تعالى: (عم يتساءلون)(النبأ:١)، الاستفتاح بالدعاء نحو قوله تعالى: (تبت يدا) (المسد:١)، الاستفتاح بالتعليل نحو قوله تعالى: (لإيلاف قريش)(قريش:١)، (انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ١٦٤/١-١٨٠).

٢- ما صُدِّرَتْ بالتَّنـــزيه.
٣- ما صُدِّرَتْ بالنداء.
٤- ما صُدِّرَتْ بالقسم.
٥- ما صُدِّرَتْ بالتعليل.
٦- ما صُدِّرَتْ بالشرط.

والفواصل المنفردة في مطالع السور أغلبها تشترك في مجيئها جزءًا من جملة لا تحمِل معنى كاملاً، وهذا ما يجعل المتلقي متلهفًا لما سيقال بعدها، بالإضافة إلى مجيء بعضها جملة كاملة مستقلة بمعناها عمَّا بعدها.

١ – ما جاء من حروف التهجي:

ذكرت آنفًا أن السور التي بدأت بالحروف المقطعة تسعٌ وعشرون سورة، جاءت آية في ثماني عشرة منها، وكانت الفاصلة هي الآية، وجاءت هذه الحروف متَّسقة الروي مع ما بعدها أو قريبة منه، فتأتي كأنها تهيئ المتلقي للفواصل بعدها، فلنأخذ مثالاً على ذلك سورة فصلت، قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[١]، جاءت فاصلة الحروف المقطعة متماثلة مع ما بعدها، أما ما تقاربت حروفها، فقوله تعالى في سورة الدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[٢]، ما عدا فاصلتي سورة الأعراف وسورة مريم فقد جاءتا بروي منفرد عما بعدها، وهي من أطول الحروف المقطعة التي تصدَّرت سور القرآن الكريم، جاءت في سورة الأعراف: ﴿الٓمٓصٓ﴾[٣]، على أربعة أحرف، وجاءت في سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٤]، على خمسة أحرف، ولعلَّ هذا الانفراد الذي يعد رمزًا جاء ليستلفت به الأذهان، ويستدعي به الاهتمام "قيل: إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغَوا فيه، فأنزل الله

(١) سورة فصلت: الآيتان١، ٢.
(٢) سورة الدخان: الآيتان١، ٢.
(٣) سورة الأعراف: الآية١.
(٤) سورة مريم: الآية١.

هذا النظم البديع ليعجبوا منه، ويكون تعجبهم منه سببًا لاستماعِهم، واستماعُهم سببًا لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة"[١]، وكلام السيوطي هذا فيه وعي وحنكة؛ فالنفس الإنسانيَّة يَلفتُ حسها ويستثيرها ما خفي عنها فتبدأ بتأمله، وتبحث عن سر غرابته.

* وإذا نظرنا في سورة الأعراف وتدبَّرناها وجدنا أن فاصلتها أعقبت بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾[٢].

فالفاصلة في هذه الآية جاءت على حرف النون، وأغلب فواصل هذه السورة بُنيت على روي النون المردوف بواوٍ أو ياءٍ مديَّة: (تذكرون، تعودون، الظالمين، المجرمين... إلخ)، عدا الفاصلة التي افتتحت بها السورة، فقد جاءت فريدة على حرف الدال المسبوق بألف المدِّ، وقد ذكر هذا صاحب "بصائر ذوي التمييز" عندما حصر الحروف التي وردت عليها فواصل هذه السورة بقوله:(على الدال منها آية واحدة: المص)[٣]، وهي من الحروف المقطعة، وكما هو معلوم أن هذه الحروف تُنطق بأسمائها: (ألف – لام – ميم – صاد)،"فالنطق بأسماء الحروف هو مقتضى وقوعها في أوائل السور التي افتُتحت بها، لقصد التعريض بتعجيز الذين أنكروا نزول القرآن من عند الله –تعالى–"[٤].

* وعلى السياق السابق نفسه تأتي الفاصلة المنفردة في مطلع سورة مريم، وأشار إليها أحد الباحثين بقوله: إن الآية الأولى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[٥] تتكون من خمسة مقاطع حسب القراءة القرآنية (كاف – ها – يا – عين – صاد) ولا يوجد ما يشابهها في فواصل السُّورة[٦]،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٣/٣١.

(٢) سورة الأعراف: الآية٢.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب للفيروزآبادي، ١/٢٠٣.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٨/٩.

(٥) سورة مريم: الآية١.

(٦) انظر: مستويات أسلوبية في سورة مريم، د.فيصل حسن غوادرة، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، جنين، ص٧.

فقد تلتها فاصلة الياء والألف المديَّة في قولة تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[١] وقد غمرت هذه الفاصلة معظم فواصل هذه السورة (عصيًّا، تقيًّا، منسيًّا، شرقيًّا...إلخ)وكان لانفراد الفاصلتين"أثر كبير في لفت الحس، واستجماع قوى النفس، واستثارة العقل لتأمل دلالتهما الرمزية، وما استكن فيها من أسرار الكتاب المعجز، فقد أعقب هاتين الفاصلتين: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[٣]، وكلاهما مما وجه فيه الحديث إلى النبي ﷺ، ليلتقي انفراد الفاصلة بانفراد الرسول ﷺ بهذه المعجزة الخالدة، التي تشهد بصدق النبوة.

"وفي آية الأعراف تتجاوب وحدة الفاصلة مع تفرد القرآن من بين كتب الله بالإعجاز، وتفرد النبي ﷺ بما أنزل إليه من البيان المعجز، الباقي إلى يوم القيامة، وفي آية مريم يتجاوب تفرد مطلع السورة بتفرد هذا النوع من رحمة الله، التي غمرت زكريا -عليه السلام-، وآوته في وحدته وانفراده، كأن هذه الحروف المقطعة في بداية السورة إيماءة إلى هذه الوحدة، التي كان يعيشها، والتي عبر عنها زكريا في دعائه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾[٤]"[٥].

٢ – ما صدر بحرف التهجي:

جاءت الفاصلة المنفردة في مطلع سورة صُدِّرَتْ بحرف التهجي المفرد قال تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾[٦]، فلم يعد آية، وإنما اقترن في جملة قسم حُذف جوابها، "قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم

---

(١) سورة مريم: الآية ٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢.

(٣) سورة مريم: الآية ٢.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٩.

(٥) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، للدكتور محمد الأمين الخضري، ص ١١٤٢.

(٦) سورة ص: الآية١.

محذوف الجواب"[١]؛ ليلفت المتلقي ويثير فضوله؛ ليركز على هذه الفاصلة، ويطلق خياله للبحث عن جواب القسم، والسر الذي حذف من أجله.

وتتميز فاصلة هذه الآية بأنها بُنيت على حرف الراء الساكن، المسبوق بحرف الكاف الساكن، فجاءت منفردة عن باقي فواصل هذه السُّورة التي خُتِمَت بروي مردوف بألف المد، وهو إيقاع يتناسب مع جو القصص النبوي والحوارات بما فيه من مد الصوت: (شقاق، مناص، عجاب، يراد،... إلخ)، وقد تنبه الدكتور فاضل السامرائي إلى هذه الفاصلة بقوله: وقد يؤتى بالفاصلة وليس على نمطها فاصلة في السورة كلها، وذكر منها قوله – تعالى- في سورة ص: ﴿صٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾[٢].

وذكر المخللاتي[٣] أن هذه الآية من الآيات التي اختلف عندها علماء القراءات، ومن أسباب اختلافهم عدم مشاكلتها وموازنتها لما بعدها من الآيات[٤].

فاختتام الآية بهذه الفاصلة المنفردة في إيقاعها، والمنتهية بساكنين، والموحية لمعنى الجد والمغايرة لأنغام الفواصل بعدها، قصد به التركيز على أن هذا الوصف: (ذي الذكر)، وهو الوصف الذي صار علمًا للقرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[٥]، ولذلك تكرر هذا الوصف في سورة (ص) في هذه الفاصلة وثلاث آيات غيرها هي: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾[٦] ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ

---

(١) الكشاف، للزمخشري: ٧٢/٤.

(٢) انظر: من أسرار البيان القرآني، د.فاضل السامرائي، دار الفكر، ط٢، الأردن، عمان، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ، ص١٦٤، ١٦٥.

(٣) المخللاتي: رضوان بن محمّدبن سليمان، أبو عيد، المعروف بالمخللاتي (ت١٣١١هـ) عالم بالقراءات، مصري، من مؤلفاته: فتح المقفلات في القراءات العشر، وشفاء الصدور في القراءات السبع، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٧/٣).

(٤) انظر: القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز للمخللاتي، ص٢٧٤.

(٥) سورة الحِجر: الآية ٩.

(٦) سورة ص: الآية ٨.

﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾[١] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[٢] هذا فضلاً عن ورود مادة الذكر في صورة الأمر مع بداية قصص النبوة﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾[٣] ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾[٤] ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٥] ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾[٦]، وهي ظاهرة فريدة في القرآن كله في بداية قصص النبوة، وكأن هذه الفاصلة أريد لها بتفردها أن تكون مقصد الكلام في هذه السورة، بها تبدأ، وبها تنتهي، وهي واسطة العقد، إذ حفل وسط السورة من الآية الحادية والأربعين بتكرار مادة: (الذكر) ست مرات:﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾[٧] ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٨] ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٩] ﴿بِذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[١٠] ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾[١١] ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾[١٢].

فإذا علمنا أن آيات هذه السورة ثمانية وثمانون استبد بنا العجب من هذا التكرار، مع تلاقي مطلع السورة ومقطعها في هذا الوصف للذكر الحكيم، إذ اختتمت السورة بالذكر مرتين: ظاهراً ومضمراً في الآيتين الأخيرتين، وهما: قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾[١٣] مما يؤكد دعوى د.الخضري: "أن انفراد هذه الفاصلة

---

(١) سورة ص: الآية ٤٩.

(٢) سورة ص: الآية ٨٧.

(٣) سورة ص: الآية ١٧.

(٤) سورة ص: الآية ٤١.

(٥) سورة ص: الآية ٤٥.

(٦) سورة ص: الآية ٤٨.

(٧) سورة ص: الآية ٤١.

(٨) سورة ص: الآية ٤٣.

(٩) سورة ص: الآية ٤٥.

(١٠) سورة ص: الآية ٤٦.

(١١) سورة ص: الآية ٤٨.

(١٢) سورة ص: الآية ٤٩.

(١٣) سورة ص: الآيتان ٨٧، ٨٨.

قصد به التركيز على هذا الوصف للقرآن؛ إيماءً إلى أنه سيظل باقيًا بحفظ الله يُذكّر الخلق بما أودع الله فيه، ويذكُرهُ الخلق لا ينسونه، ولا يتسرب إليه الضياع"(١).

٣ – ما صدر بالتنزيه:

قد تأتي الفاصلة المنفردة في مطلع سورة صُدِّرَتْ بالتَّنزيه، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾(٢)، فالمتأمل في هذه الآية يجد أنه اجتمع فيها أمران يعزز كلٌّ منهما الآخر؛ ليجعل المُتلَقي في أعْلى مراتب اليقظة والإصغاء.

الأوَّل: تنزيه في الصدر: "الافتتاح بكلمة التسبيح من دون سابق كلام، متضمن ما يجب تنزيه الله عنه، يؤذن بأن خبرًا عجيبًا يستقبله السامعون دالاً على عظيم القدرة من المتكلم، ورفيع منزلة المتحدَّث عنه"(٣).

والثاني: انفراد الفاصلة: ذلك أن "سورة الإسراء مكيَّة وآياتها: (مائة وإحدى عشرة آية)، وردت جميعها منصوبة منونة ما عدا الآية الأولى منها، فقد وردت بفاصلة الراء المرفوعة: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، ويوقَف عليها بالسكون، أما باقي الفواصل فقد وردت منصوبة منوَّنة، وتعددت فيها حروف الفواصل إلا أن هناك عاملاً صوتيًّا يُوحد بينها هو الوقف على التنوين بالسكون فيتحول إلى حرف المدّ"(٤).

٤ – ما صدر بالنداء:

جاءت الفاصلة المنفردة في فواتح بعض السور، وقد صُدِّرَتْ بالنداء، كما في سورة الممتحنة التي بدأت بذلك النداء الرباني اللطيف الذي يَأْسر النفوس، ويأخذ بالأسْماع، قال تعالى ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ

(١) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، للدكتور محمد الأمين الخضري، ص١١٤٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٩/١٥.

(٤) فواصل الآيات القرآنية (دراسة بلاغية ودلالية)، د.السيد الخضر، ص١٨٢، وانظر: من أسرار البيان القرآني، د.فاضل السامرائي، ص١٦٤.

﴿كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾[1]، بُنِيت الفاصلة في مطلع هذه السورة على حرف اللام، وهو روي غريب وفريد عما جرت عليه فواصل هذه السورة، التي أعقبت هذه الفاصلة، فقد جاءت مبنيَّة على روي متنوِّع مردوف بواوٍ أو ياءٍ مديَّة، نحو: (تكفرون – بصير – حكيم... إلخ)، وأشار صاحب البصائر إلى انفراد هذه الفاصلة بقوله: إن "مجموع فواصل آياتها (لم تردّ) على اللام منها آية: السبيل"[2].

وقد حاكت هذه الفاصلة بانفرادها، تفرد دين الله عن سائر سبل الضلال، "وسواء السبيل" مستعار لأعمال الصلاح والهدى لشبهها بالطريق المستوي الذي يبلغ من سلكه إلى بغيته، ويقع من انحرف عنه في هلكه. والمراد به هنا ضل عن الإسلام وضل عن الرشد"[3].

وهو ما أكده تقدم لفظ (سبيل) في وسط الآية مضافًا إلى ياء المتكلم (سبيلي) في سياق النهي عن موالاة الكفار، واستخدام جميع أسباب التهييج المؤثرة سواء كانت نفسية أو دينية.

وعلى غرار هذه الفاصلة المنفردة في مطلع سورة أخرى صُدِّرَتْ بالنداء جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾﴾[4]، وهي فاصلة واحدة ليس لها شبيه في فواصل سورة المزمل، و"الأصل: الـــمُتَزمل، أُدْغِمت[5] التاء في (الزاي)"[6]، فأصبحت المزّمل، وذكر الفيروز آبادي

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، ٤٦٠/١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٣٩/٢٨.

(٤) سورة المزمل: الآية١.

(٥) الإدغام: هو وصلك حرفًا ساكنًا بحرف آخر بتحرك من غير أن يفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، يرفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة، ويلزم موضعًا واحدًا أو يشتد الحرف. انظر: كتاب الإدغام الكبير، لأبي عمرو الداني، تحقيق: د.عبد الرحمن عارف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـــ، ٢٠٠٣م، ص٩٢.

(٦) إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـــ، ٣٨/٥.

أن جميع فواصل آياتها على الألف، نحو: (تبتيلاً – قليلاً – قيلاً – طويلاً... إلخ)، إلا الآية الأولى، فإنها باللام[١]، المرفوعة (المزّملُ)، يوقف عليها بالسكون فلم تلحقها الألف، و لم تسبقها الياء، كباقي الفواصل التي مضت" على إيقاع موسيقي واحد، هو اللام المطلقة الممدودة، وهو إيقاع وقور جليل يتمشى مع جلال التكليف وجديّة الأمر"[٢].

ولهذا جاءت الفاصلة متميزة عن غيرها من الفواصل في هذه السورة، غير أن هناك فاصلة مقاربة لها افتتحت بها سورة المدثر، فكلتاهما جاءت في أسلوب نداء الرسول ﷺ بصفة من صفاته فلم يُنادَى باسمه صراحة، إلا أن "الفاصلة هنا انفردت في إيقاعها عما بعدها، في حين تواطأت الفواصل مع مطلع سورة المدثر، وكلا الفاصلتين عمد فيهما النظم إلى سرعة الإيقاع، وحدّته بإخفاء التاء من المتزمل والمتدثر، وإدغامها بعد إبدالها فيما بعدها، فجاءت كل مقاطع الفاصلة مقفلة، وكأن القرآن بهذا الإيقاع السريع في الفاصلة يستنهض الرسول ﷺ، ويستحثه على النهوض بالأمر العظيم الذي انتُدِب له، إلى جانب ما دل عليه الإدغام من محاكاة لإخفاء النبي نفسه في ثيابه، التي يداري بها رجفته ورعشته مما شاهد من مفاجأة الوحي"[٣]، وهو ما صرح به برهان الدين البقاعي[٤]: "مع الإشارة على الإخفاء أيضا بإدغام تاء التفعيل"[٥].

وجاء انفراد الفاصلة في مطلع سورة المزمل مصاحبًا لتفرده ﷺ بهذا الوصف، و"متجاوبًا مع الفاصلة المنفردة في ختام السورة؛ لتركز الأولى على المُرسَل إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، ٤٨٦/١.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٧٤٣/٦.

(٣) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، للدكتور محمد الأمين الخضري، ص ١١٤٤.

(٤) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، (ت٨٨٥ هـ)، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٥٦/١).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ٣/٢١.

﴿ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾[١] في الشطر الأول من السورة، وتركز الأخيرة على الـمُرسِل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ٢٠﴾[٢] في الشطر الثاني من السورة"[٣].

٥ – ما صدر بالقسم:

إن المتدبِّر في مطلع سورة البروج: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١﴾[٤]، يلحظ "خروج الفاصلة الأولى (الجيم) عن نسق منظومة صوت الدَّال"[٥] (الموعود – الأخدود – الوقود.. إلخ) فلم يأتِ على نمط فاصلة الجيم فاصلة أخرى في السورة كلها، وقد مُهِّد لهذا الانفراد بالقسم الذي افتتحت به السورة، وما يلازمه من التشويق إلى أمر مهمٍّ سيرِد بعده "في افتتاح السورة بهذا القَسَم تشويق إلى ما يرد بعده وإشعاراً بأهميَّة المقسم عليه"[٦].

٦ – ما صدر بالتعليل:

في بداية سورة "قريش" التي صُدِّرَتْ بالتعليل وانفردت به عن سور القرآن الكريم كلها، ذكرالزركشي أن "الاستفتاح بالتعليل في موضع واحد نحو: (لإيلاف قريش)"[٧]، تطالعنا فاصلة (الشين) المنفردة لتواكب انفراد الصَّدر بالتعليل﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾[٨]، وهذا الانفراد أُريد به إيقاظ المخاطب وتهيئته لمتابعة الخطاب، أما ما أعقبها من الفواصل فقد بُنيت

---

(١) المزّمل: الآيتان ١، ٢.

(٢) المزّمل: الآية٢٠.

(٣) جماليات الإيقاع في الفاصلة القرآنية المنفردة، للدكتور السيد حسونة، ص١٩.

(٤) سورة البروج: الآية١.

(٥) الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، د.عمر عبدالهادي عتيق، نشر في مجلة المنار، المجلد ١٦، العدد٣، ص٩.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٣١/٣٠.

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١٨٠/١.

(٨) سورة قريش: الآية١.

على حرف الفاء في موضعين في قوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾[٢]، والتاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾[٣].

وجاء انفراد الفاصلة في مطلع السورة محاكيًا؛ لتفرد قريش وتميزهم على سائر القبائل العربية فهم أهل البيت وسدنته، وهو ما كفل لهم نعمتين عظيمتين، هما: الأمن والغذاء، "فحرمة البيت في أنحاء الجزيرة العربية قد كفلت لجيرته الأمن والسلامة في هذه التجارة المغرية، وجعلت لقريش بصفة خاصة ميْزة ظاهرة، وفتحت أمامها أبواب الرزق الواسع المكفول، في أمان وسلام وطمأنينة"[٤].

ولأحد الباحثين لفتة جميلة حول مجيء الأصوات مناسبة لمعانيها في هذه السورة حيث قال:لهذه السورة نظامها الصوتي، الذي يعكسُ معانيها على أتمِّ وجه؛ فلو نظرنا في الآية الأولى وجدنا أن الشين تكاد تنفرد بالانتهاء بها في القرآن الكريم؛ فليس هناك سوى آيةٍ واحدةٍ أخرى تنتهي بها، ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾[٥] والشين من الحروف الصوامت الاحتكاكيّة فمن شأنه أن يعكس ما كانت تتمتع به قريش من رغد العيش؛ فقد وفّرتْ لهم تجارتُهم وأمنُهم، في مدينتهم المتحضّرة مكَّة المكرَّمة، رخاء ورفاهية، تعكسهُما لهجتهُم التي تميل إلى الأصواتِ الاحتكاكيّة[٦].

---

(١) سورة قريش: الآية ٢.

(٢) سورة قريش: الآية ٤.

(٣) سورة قريش: الآية ٣.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٩٨٢/٦.

(٥) القارعة: الآية ٥.

(٦) انظر: أطروحة ماجستير بعنوان: (التحليل الصوتي للنصّ: بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا)، إعداد: مهدي عناد أحمد قهبا، إشراف: أ.د.محمّد جواد النوري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،٢٠١١،ص ١١٨-١١٩.

٧ – ما صدر بالشرط:

ونأخذ مثالاً أخيرًا للفاصلة المنفردة في مطلع سورة النَّصر، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾[1]، هذه الفاصلة ليست فريدة في السورة فحسب، وإنما انفردت عن جميع فواصل سور القرآن، فلم تأتِ فاصلة على حرف الحاء في غير هذا الموضع، كما ذكر الفيروز آبادي بقوله: "فواصل آياتها على الحاء والألف، وليس في القرآن آية على الحاء غير الفتح"[2].

والمتدبِّر في فواصل هذه السورة يجد نفسه أمام ثلاث فواصل: انفردت الأولى: (الفتح)، وتماثلت الثانية والثالثة: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[3]، وشارك انفراد فاصلة (الحاء) مجيئها في جملة الشرط المنفصل عن جوابه، ولعلَّ ورودها في هذا الموضع أُريد به شدُّ المتلقي وإثارة انتباهه إلى أن هناك حدثًا مهمًا سيقع، "وهي فاصلة لا يشبهها في إيقاعها إلا الفاصلة التي افتتحت بها سورة(ص)، وكلاهما من الفواصل المنفردة، كما أنها تشبهها في كون الآيتين جزء جملة لا يستقل بالمعنى، الأولى قسم بلا جواب: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾[4]، والثانية شرط مفصول عن جوابه: ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾[5]، والوقوف عليه يوجه اهتمام القارئ إلى الفاصلة الموقوف عليها، وانفرادُها يجعلها كالفريدة في عقدها، وقد قصد القرآن به إبراز أهمية هذا الحدث الجليل، وهو فتح مكة الذي انتظره المسلمون طويلاً، حيث كان تأبِّي أهل مكة عن دخول الإسلام –وهم أهل الرسول ﷺ وأصحاب الزعامة الدينية في الجزيرة العربية– عائقًا عن انتشار الإسلام، ثم إن البشارة بالفتح تعدُّ من دلائل النبوة، في

---

(١) سورة النصر: الآية١.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، ١/٥٥٠.

(٣) سورة النصر: الآيتان ٢، ٣.

(٤) سورة النصر: الآية١.

(٥) سورة ص: الآية١.

الوقت الذي كانت فيه مكة تستعصي على الفتح"[١]، فقد كانوا يقولون: "إن ظهر على قومه فهو نبي "[٢]، وإلى هذه الفاصلة أشار الحسناوي في كتابه: (الفاصلة في القرآن) في معرض حديثه عن مجيء بعض الفواصل منفردة في فواتح السور[٣].

ويحين الآن وقت انتقال البحث إلى الحديث عن الفاصلة المنفردة في وسط السورة.

*****

(١) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، للدكتور محمد الأمين الخضري، ص ١١٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،١٤١٩هـ، ٥١٣/٨.

(٣) انظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ص٢١٠.

المبحث الثاني

الفَاصِلَـة المنفردة

في

وسط السُّـوْرَةِ

المبحث الثاني
الفَاصِلَـة المنفردة في وسط السُّـوْرَةِ

إنَّ المتأمِّلَ في سور القرآنِ الكريم يجد نفسَه يتنقلُ بكل انسيابيَّةٍ وانسجامٍ بين الفَاصِلَـة المنفردة في وسط السورَةِ.

فواصلَ متغايرة، وهو ما يمتاز به النظم الحكيم، ليس في الفواصل فحسب، بل في العدول في الأساليب والصيغ والتَّراكيب، فنجد أن المفرد يجري مجرى الجمع، والجمع يجري مجرى المفرد، ويقع الماضي موقع المضارع، ويقع المضارع موقع الماضي، ويعبّر بلفظ الغيبة بدلاً من لفظ الخطاب، ويُعبّر بالخطاب عن الغيبة، فيستميل معه القلوب ويستعطف معه الأسماع.

وهو ما صرح به الزمخشري عندما ذكر فائدة الالتفات بقوله: "لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"(١)، وهو ما علل به محمد رشيد رضا مجيء الفواصل القرآنية متغيرةً وجعله وجهًا من وجوه الإعجاز: "ومن اللطائف البديعة التي يخالف بها نظم القرآن نظم كلام العرب من شعر ونثر، أنك ترى السور ذات النظم الخاص والفواصل المقفَّاة، تأتي في بعضها فواصل غير مقفاة، فتزيدها حُسنًا وجمالاً، وتأثيرًا في القلب"(٢).

هذا ما توصَّل إليه علماؤنا، فقد صرَّحوا بأن الفواصل القرآنيَّة المتغيرة تكسر حدة الإلف وتحول دون الملل الذي تسبِّبه وِحْدة النغم الناتجة عن تماثُل الفواصل وتقاربها، وهو ما سنتناوله من خلال دراستنا للفواصل المنفردة في وسط السورة، وما تحدثه من مفاجأة تلفت الحسَّ والقلب، إلى معنى تُومِي إليه الفواصل المنفردة.

ويمكن الوقوف على ثلاثِ صور للفواصل المنفردة في وسط السورة:

١- فقد تكون الفاصلة المنفردة واقعة بين فواصل متماثلة.

٢- أو بين فواصل متقاربة.

٣- أو بين فواصل متغايرة.

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ١/٥٦.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ١/١٦٧.

ونبدأ بالحديث عن الفواصل في سورة آل عمران، والتي بُنيت فواصلها على رويٍّ متغاير مردوف بالألف أو الواو أو الياء: (القيوم، قدير، العالمين، حساب... إلخ) ومن بين هذه الفواصل تطالعنا فاصلة الطاء في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[1]، ولم تأتِ فاصلة على نمطها في السورة كلها، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا عدل النظم القرآني عن مراعاة الفواصل في هذا الموضع، مع أنه من الممكن أن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، إذ إن أغلب فواصل السورة جرت على روي النون؟!.

وللإجابة عن السؤال أقول: جاءت هذه الفاصلة منفردة على الطاء؛ "لأنهم يقدمون الأهم، والذي هم بشأنه أعنَى، وليس المقصود هاهنا بيان كونه – تعالى- عالمًا، فجميع أعمالهم معلومة لله- تعالى- ومُجازيهم عليها، وإطلاق لفظ: (المحيط) على الله مجازًا؛ لأن المحيط بالشيء هو الذي يحيط به من كل جوانبه، وذلك من صفات الأجسام، لكنه – تعالى- لما كان عالمًا بكل الأشياء، قادراً على كل الممكنات جاز في مجاز اللغة أنه محيط بها"[2].

فتَلاقَى انفراد الفاصلة مع انفراد الله -تعالى- بالإحاطة بجميع الأشياء، وجاء بهذه الفاصلة المنفردة بإيقاعها عندما أراد لفت انتباه المؤمنين إلى انتفاء الضُّرِّ الأعظم الذي يحتاج في دفعه إلى شديد مقاومة من القتال وحراسةٍ وإنفاقٍ، وإرشادهم إلى كيفية تلقي ما بقي من أذى العدوِّ، وذلك بالصبر على الضُّرِّ، وعدم الاكتراث به، مع الحذر منهم[3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.

(٢) التَّفسير الكبير، للرازي، ٣٤٤/٨.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور،٦٨/٤.

وهذه الفاصلة المنفردة على حرف الطاء بين فواصل متغايرة وردت بنفسها، وللغاية عينها في سورة الأنفال، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾(١).

ومن تلك المواضع الفاصلة المنفردة في سورة البروج قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾(٢)، فقد جرت أغلب فواصلها في منظومة صوت الدّال: (الجنود، ثمود، مجيد،... إلخ) وخرجت فاصلة الطاءعن نسق المنظومة، فلم يأتِ على نمطها فاصلة أخرى في السورة كلها.

وفي سورة النساء "وهي أطول سور القرآن بعد البقرة"(٣)، "وعدد آياتها مائة وسبعون وست آيات"(٤)، جرت أغلب فواصل آياتها على حرف متحرك مسبوق بياء أو واو مدّيّة، ومتبوع بألف المد،"وقد تعاون المدان بطول البعد الزماني في نطقهما على خلق إيقاع رخي هادئ، يتسم بالوقار والجلال، ويتناسب مع جلال التشريعات والأحكام، وثقلها على الطباع والأنفُس، وهي تتحول مما ألفته من نُظُم وعادات الجاهلية إلى نُظُم وقوانين محكمة، شاء الله أن يبنى بها المجتمع الراشد في ظل الدولة الجديدة، وأن يقيم بها العدالة في حكم الفرد والأسرة والمجتمع، ولاشك أن قيام العدل، وإنصاف الضعفاء والمظلومين، وخاصة اليتامى والنساء يُمثل حجر الزاوية في هذه السورة الكريمة "(٥).

وإليك بعض الآيات التي تجسد الهدف الأسمى الذي تسعى السورة إلى تحقيقه في المجتمع المسلم، وهو إقامة العدل المستمد من شرع الله وهديه قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

(٢) سورة البروج: الآية ٢٠.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥٥٤/١.

(٤) التّفسير الكبير، للرازي، ٤٧٥/٩.

(٥) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٤٥-١١٤٦.

أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾[١] ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ﴾[٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٣] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ﴾[٤] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ﴾[٥] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾[٦] ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾[٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾[٨].

ويتوسط تماثل فواصل السورة وانسجامها ثلاث فواصل منفردة، اثنتان في صلبها والثالثة في ختامها، أما اللتان في صلبها فهما فاصلتا الآيتين: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾[٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾[١٠].

---

(١) سورة النساء: الآيتان ٢، ٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٥) سورة النساء: الآية ٧٥.

(٦) سورة النساء: الآية ١٠٥.

(٧) سورة النساء: الآية ١٢٩.

(٨) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٩) سورة النساء: الآية ٣.

(١٠) سورة النساء: الآية ٤٤.

وهو ما سبق إلى ذكره أحد الباحثين عند دراسته للإعجاز في فواصل سورة النساء، وأشار إلى أنها تسير على حرف واحد وهو الألف، وأن هناك بعض المواضع جاءت على حروف أخرى، وهي ما نحن بصدد دراسته[١].

وعندما أراد النظم الحكيم أن يفصح عن الحكمة من الإجراءات و التشاريع التي فرضها، جاء بفاصلة منفردة في الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾[٢]؛ ليلفت انتباه المتلقي إلى الغاية المراد التركيز عليها، وهي اتقاء الجور وتحقيق العدل؛ ليبين أن البحث عن العدل والقسط، هو رائد المنهج الرباني، وهدف كل جزيئة من جزيئاته، والعدل أجدر أن يراعى في المحضن الذي يضم الأسرة، وهي اللبنة الأولى للبناء الاجتماعي كله، ونقطة الانطلاق إلى الحياة الاجتماعية العامة[٣]، ولما كان (العول) يعني: "الميل في الحكم إلى الجور"[٤]، اختار النظم الحكيم حرف (الواو)، وهو حرف رخو ليِّن[٥] يخرج من أقصى الحنك، مع استدارة الشفتين حين النطق بها[٦]، لتكون أبلغ في تصوير معنى (العول) ولتلفت القارئ لفتًا شديدًا إلى هذا الميل والجور في الحكم، من خلال حركة الشفتين ولين الحرف ورخاوته.

"وقد تعاون المدَّان في الفاصلة (تعولوا)، وثقل حركة الضم، وتوجيه الخطاب المباشر إلى المتلبِّسين بهذا الجُرْم، وهو ما لم يكن ممكنا مع الفواصل المطَّردة في السورة، حتى يظل المتلقي، على درجة عالية من الوعي والانتباه، حتى إذا ما عادت الفاصلة بعد ذلك إلى إيقاعها المطَّرد كانت تلك الغاية مصاحبة للقارئ، وهو ينصت لكل ما يُلقى إليه من أحكام وتكاليف."[٧]

---

(١) انظر: أطروحة ماجستير بعنوان (الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنيّة، دراسة تطبيقيّة على سورة النساء)، موسى مسلم الحشاش، إشراف، أ.د.عصام العبد زهد، الجامعة الإسلاميّة بغزة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص١٤٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٣.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب،٥٨٤/١.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٤٨١/١١.

(٥) الحرف الرخو: يعني أنه حرف ضعف الاعتماد عليه عند النطق به، فجرى معه الصوت، ولقب بالرخو؛ لأن الرخاوة: (اللين)، واللين ضد الشدة. (انظر: التمييز في علم التجويد، لابن الجزري، تحقيق: الدكتور حسين البواب، مكتبة المعارف، ط١، الرياض، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص٨٨).

(٦) دراسة الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ص٤٥.

(٧) جماليات الإيقاع في الفاصلة القرآنية المنفردة، د. السيد حسونه، ص٢٠.

وجاءت فاصلة الآية الرابعة والأربعين على حرف اللام: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾[١]، فلم يأتِ هذا الانفراد الذي قطع تماثل الفواصل في السورة بمحض الصدفة، وإنما عمد إليه النظم القرآني عمداً؛ لينبه المتلقي إلى أنه انتقل من الحديث عن التكاليف والأحكام الشرعية، والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والعائلية والأخلاقية، ومحو الملامح الجاهلية من المجتمع المسلم، إلى الحديث عن أعداء الإسلام اليهود، وتحذير الجماعة المسلمة من مكرهم بأسلوب تعجُّب مُستنكر، يخلب معه لُبَّ المتلقي إلى أن هناك خطراً قادماً يجب التصدي له، وللرازي لفتة جميلة حول هذا الانتقال يقول فيها: "اعلم أنه تعالى لما ذكر من أول السورة إلى هذا الموضع، أنواعاً كثيرة من التكاليف والأحكام الشرعية، قطع –هاهنا– ببيان الأحكام الشرعية وذكر أحوال أعداء الدين وأقاصيص المتقدمين؛ لأن البقاء في النوع الواحد من العلم مما يُكلُّ الطبع ويُكدر الخاطر، فأما الانتقال من نوعٍ من العلوم إلى آخر، فإنه ينشِّط الخاطر ويقوِّي القريحة"[٢].

وهذه الفاصلة بانفرادها" حاكت الشاردة من القطيع، المهددة بالضياع، وهو شأن كلّ من يضل السبيل، ويخرج عن هدى الله –تعالى–، الذي يظلل السائرين في موكب الحق، وهذا هو دأب اليهود، المتمردين دائماً على الطاعة، الخارجين عن قانون الله، وهم يريدون للمؤمنين أن يتنكبوا طريق الحق، فكان انفراد الفاصلة إيماء إلى هذا الشذوذ، ونذيرا بالضياع والهلكة في صحراء التيه والحيرة والضلال"[٣].

وجاءت الفاصلة المنفردة بين فواصل متقاربة في صلب سورة الأنعام، قال تعالى ذكره: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾[٤]، بنِيَت الفاصلة في هذه الآية على حرف الظّاء، وهو روي غريب وفريد عما جرت عليه فواصل هذه السورة التي سبقت هذه الآية، والتي أعقبتها، فقد جاءت أغلب فواصلها

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٤.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ٩١/١٠.

(٣) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٤٦–١١٤٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٤.

مبنيَّة على روي النون والميم المردوفتين بالواو أو الياء المدية: (العليم، مستقيم، يعمهون، المعتدين،... إلخ)، وجاءت أربع فواصل منها على حرف الراء وثلاث فواصل على حرف اللام.

والمتأمل في هذه الآية يجد أن انفراد الفاصلة جاء مصاحبًا لانتقال الحديث على لسان الرسول ﷺ؛ لينبِّه المتلقي ويرسخ في ذهنه أن مهمة الرسول ﷺ التَّبليغ فقط. "﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1]، وهو وارد على لسان الرسول ﷺ، لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾[2]"[3]، فالملاحظ أن القرآن قصد العدول عن قوله: (بوكيل) بدلاً من: (بحفيظ)، فلم يراعِ الفواصل على الرغم من مجيء فاصلة اللام (بوكيل) ثلاث مرات في السورة نفسها: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾[4] ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[5] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾[6]؛ لأن "الوكيل يكون مجعولاً له الحفظ من جانب الشيء المحفوظ، والحفيظ أعم لأنه يكون من جانبه ومن جانب مواليه"[7] ولما أراد أن ينبههم إلى أن مهمة الرسول ﷺ هي الإنذار فقط، وأن الله وحده هو الحفيظ عليكم، جاء بفاصلة منفردة؛ لتجسد تفرده –سبحانه– بهذه المهمة التي لا تكون لغيره.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٤.

(٢) الموضع السابق.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٥٥/٢، وانظر: فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، الكلم الطيب، ط١، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٧٠/٢، البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٦٠٦/٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٦.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٦) سورةالأنعام: الآية ١٠٧.

(٧) التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، ٤٢١/٤٧.

وفي سورة التَّوبة فاصلتان منفردتان في أثنائها، وهما فاصلتا الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ (١)، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ (٢) فقد توسطتا فواصل متقاربة بنيت أغلبها على روي النون والميم المردوفتين بواو أو ياء مدَّية: (المشركين، عظيم، يظلمون، حكيم... إلخ).

الفاصلة الأولى جاءت على روي اللام (قليل) في المقطع الذي بدأ فيه النظم الحكيم "النعي على المتثاقلين الذين دُعوا إلى التَّجهيز للغزوة فتثاقلوا إلى الأرض، وتكاسلوا عن النفير"(٣)، ففي هذا الخطاب الذي عاتب الله – سبحانه – المتخلفين عن الجهاد في غزوة تبوك وقعت هذه الفريدة على حرف اللام، فلم تأتِ فاصلة اللام في السورة كلها إلا في هذا الموضع؛ لتلفت بانفرادها الأنظارَ إلى تفاهة السبب الذي جعلهم يركنون إليه وحقارته، ويفضلون البقاء لأجله.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "إن المتاع اسم مصدر (تمتع)، وهو الالتذاذ والتَّنعم ووصفه بـــ (قليل) بمعنى ضعيف ودنيء واستعير قليل للتفاهة"(٤) ومهد النظم الكريم لهذا التغير في الفاصلة باستفهامين في الآية:

الأول: استفهام إنكاري صُدِّرت به الآية: ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ (٥)؟! بما فيه من نبرة ملامة وعتاب.

---

(١) سورة التَّوبة: الآية ٣٨.

(٢) سورة التَّوبة: الآية ٧٨.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ١٠٦٦/٣.

(٤) ويحتمل أن يكون المتاع هنا مرادًا به الشيء الممتع به، من إطلاق المصدر على المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق، فالإخبار عنه بالقليل حقيقة، انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٩٨/١٠.

(٥) سورة التَّوبة: الآية ٣٨.

والثاني: استفهام إنكاري في وسط الآية: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾[١]؟! مصحوبًا بتوبيخ المؤمنين المتخلفين عن الجهاد، فتعاون انفراد الفاصلة، مع تغير الأسلوب في مفاجأة السَّامع واستثارة وجدانه، وتجديد نشاطه ليميل إلى الإصغاء ومتابعة الأحداث، وهو في قمة الإثارة والمتعة.

والفاصلة المنفردة الثانية في السورة نفسها مبنيَّة على حرف الباء (الغيوب) في السياق الذي يكشف فيه القرآن المنافقين ويبين "أن الله مطلع على السرائر، عالم بما يدور بينهم من أحاديث، ليحسبوها سرًّا بينهم لأنهم يتناجوْن بها في خفيَة عن الناس، وأن الله يعلم الغيب الخافي المستور، فيعلم حقيقة النوايا في الصدور"[٢]، وجاءت هذه الفاصلة منفردة لتشير إلى تفرده – سبحانه – بعلم الغيب والاطلاع على السرائر والنيات، فهو خاصٌّ به لا يكون لغيره.

لقد اعتمدت الفواصل في سورة يوسف –عليه السَّلام– على روي النون والميم المردوفتين بالواو أو الياء المديَّة نحو: (تشكرون، كريم، تأكلون، أليم... إلخ)، وهي الفاصلة الأثيرة التي تسير عليها معظم الفواصل في القرآن الكريم، ومن بين هذه الفواصل المتقاربة جاءت الفاصلة المنفردة، في قوله تعالى:﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[٣] تسبقها فاصلتان على حرف النون المردوفة بالواو، وتعقبها فاصلة منتهية بالنون المردوفة بالواو، وهو إيقاع يتناسب مع محاولة يوسف –عليه السلام– كسب ثقة صاحبيه ليدخلهما في دينه، فبدأ باستعراض قدرته على تأويل رؤياهما، ليجد له مدخلاً يتوغل من خلاله في نفوسهما بأسلوبٍ ليِّنٍ لطيف ممزوج بشيء من الحذر، حتى إذا ما أحسَّ منهما استئناسًا إلى حديثه أفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحًا كاملاً، وكشف عن فساد اعتقادهما

---

(١) سورة التَّوبة: الآية ٣٨.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ١٦٧٩/٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣٩.

واعتقاد قومهما[١]، وإليك الآيات في سياقها: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٢]،

والمتأمل في هذه الآيات يلاحظ أنه عندما انتقل من الحديث عن نفسه، إلى خطاب صاحبيه "استخدم الاستفهام الذي ينقل المتلقي من طور المشاهِد إلى طور المشارِك، ويهيئه للإجابة عن هذا السؤال الذي لا يقبل إلا إجابة واحدة، هي وحدانية الله، وقد صاحب هذا السؤال تغيُّر الفاصلة اللافتة بإيقاعها المنفرد إلى هذه الوحدانية"[٣].

وعدل النظم الحكيم إلى حرف الروي: (الراء) المردوف بألف المد؛ "ليكون هذا الإيقاع الصاعد إلى الأعلى، المجلجل في قضاء الله -تعالى- مع ما في حرف الراء من الترجيع والتكرار، ليملأ اسم الله كل أطباق الوجود، فلما عاد الحديث إلى التقرير، وانتقل من خطاب الصاحبيْن إلى خطاب الجمع عادت الفاصلة إلى النون المردوفة، الملائمة لإصدار الحكم بجهل القوم، حين عبدوا من دون الله أسماء لم ينزل بها الله من سلطان"[٤].

وفي سورة الحجرات تطالعنا فاصلة الراء المنفردة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/١٩٨٨-١٩٨٩.

(٢) سورة يوسف: من الآية ٣٧ إلى ٤٠.

(٣) جماليات الإيقاع في الفاصلة القرآنية المنفردة، د. السيد حسونة، ص٢٤.

(٤) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٤٩.

﴿خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1]، لقد سارت جميع فواصل الآيات السابقة لهذه الفاصلة واللاحقة على سنن الفواصل الغالبة في القرآن الكريم، والمعتمدة على روي النون والميم المردوفتين بالياء أو الواو المديَّة: (عليم، تشعرون، رحيم... إلخ)، والملاحظ أن أغلب هذه الفواصل المتقاربة صُدِّرت بذلك النداء الحبيب الذي تجيش له النفوس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ....﴾، إلا الفاصلة المنفردة (خبير) صُدِّرت بنداء منفرد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ....﴾، "ونودوا بعنوان الناس دون المؤمنين رعاية للمناسبة بين هذا العنوان وما صدر به الغرض من التَّذكير بأنه من أصل واحد، أي أنهم في الخِلقة سواء؛ ليتوصل بذلك إلى أن التَّفاضل والتَّفاخر إنما يكون بالفضائل، وإلى أن التَّفاضل في الإسلام لزيادة التَّقوى، فقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾"[2]، وبما أنه -سبحانه وتعالى- وحده المطَّلع على حقيقة النيات في الصدور ختمت الآية بفاصلة منفردة؛ لتجسِّد بانفرادها انفراده — سبحانه وتعالى- بالاطِّلاع على ما في النفوس، وهو خبير بعباده لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وفي سورة الرعد جاءت الفاصلة المنفردة بين فواصل متغايرة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾[3]، فقد جرت فواصل السورة على حروف متنوعة مردوفة بالواو حينًا: (يؤمنون، يتفكرون، القلوب...إلخ) وبالألف في معظم الأحيان: (القهار، الأمثال، الدار...إلخ).

وبعد أن استعرض-سبحانه وتعالى- مآل المؤمنين ومآل الكافرين، أراد أن ينبه السامعين إلى أن سعة الرزق للكافرين بالحياة الدنيا، لا تعني كرامتهم في الحياة الآخرة، فجاء بفاصلة العين المنفردة، مصاحبة للتَّنكير في قوله: (متاع) لتصور الغرض الذي عدل إليه القرآن، وهو تحقير الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة فـ "المتاع: ما يتمتع به وينقضي وتنكيره للتقليل"[4].

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، ٢٥٨/٢٦.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٦.

(٤) التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، ١٣٥/١٣.

وفي نهاية قصة موسى-عليه السلام- مع فرعون في سورة طه قطعت الفاصلة المنفردة تآخي الفواصل التي التزمت حرف الألف رويًّا لها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾[1]، وهو إيقاع رخي ندي يتناسب مع أجواء القص، وما جرى بين موسى وفرعون، ويصور الحالة النفسية التي كان عليها السحرة لما ظهرت معجزة موسى، وما ترتب عليه من سجود السحرة وإيمانهم، واستكبار فرعون، وما يوحيه من سرعة في الأحداث.

وحين شارفت المعركة على الانتهاء، معلنة هزيمة فرعون، عدل النظم الحكيم عن فاصلة الألف، إلى فاصلة الميم لتخلُب لُبَّ المتلقي، إلى هذه النهاية المروعة، فيعيش هول الموقف، وكأنه ماثل أمامه ، فقوله- سبحانه تعالى-: (غشيهم) يفيد ما أفاده قوله: (فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ)، إذ المعلوم أنهم غشيهم غاش، فتعيَّن أن المقصود منه التَّهويل، أي بلغ من هول ذلك الغرق أنه لا يستطيع وصفه"[2].

وقد التفت الدكتور فاضل السامرائي إلى هذه الفاصلة المنفردة: "في سورة طه بقوله: تأتي الآية﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾[3]، مغايرة للفاصلة القرآنيَّة في باقي آيات السورة: (تزكى، يخشى، الهدى،... إلخ)"[4].

---

(١) سورة طه: الآيات من ٧٧ إلى ٨٠.

(٢) التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، ٢٧٢/١٦.

(٣) سورة طه: الآية ٧٨ .

(٤) أسرار البيان القرآني، د.فاضل السامرائي، ص١٦٤، وانظر: لمسات بيانيَّة في نصوص من التَّنزيل – محاضرات – فاضل السامرائي، أعده للشاملة، أبو عبد المعز (هذا تفريغ للحلقات وفيه اختلاف وزيادة عن الكتاب المطبوع بن بالاسم نفسه)، وأطروحة ماجستير بعنوان(المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقيَّة لسورتي مريم وطه)، محمد بكر العف، الجامعة الإسلاميَّة، كليَّة أصول الدين، غزة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص١٢٧.

وأحسن بعض الباحثين القول وهم يعللون لانفراد هذه الفاصلة عن غيرها من فواصل السورة، فمنهم من علل بقوله: إن فواصل الآيات التي تحكي قصة موسى مع فرعون جاءت جميعها على هيئة المقطع المفتوح[١]، حتى إذا ما وصلنا إلى نهاية القصة عدل القرآن في الفاصلة التي تحكي غرق فرعون وجنوده إلى هيئة المقطع المغلق[٢]، ولو كان مراد القرآن مراعاة الفواصل لاستبدل بـــ (يغشى) (غشيهم)، أو ما إلى ذلك من مفردات، لكنّه لما كان القرآن يؤثر المعنى على تناسب الإيقاع، عدل في الآية التي تجسد نهاية القصة إلى ذلك المقطع المغلق المنتهي بصامت.

ولعل في انغلاق الشفتين عند النطق بالميم الساكنة من (غشيهم) مناسبة شكلية مع هيئة انطباق جانبي البحر على فرعون وجنوده، وما ساد من سكون لفّ الكون في تلك اللحظة الفارقة بين الحق والباطل، فبإغراق فرعون وجنوده انتهى فصل من فصول الصراع بين الحق والباطل، وعاد إيقاع الفواصل مرة أخرى إلى هيئة المقطع المفتوح، لتحكي الآيات فصلاً آخر من الصراع بين الحق والباطل، ولكنّه هذه المرة بين موسى -عليه السلام- والسامري، ولمّا كان موسى طرف حقّ في القصتين كلتيهما جاءت الفواصل في آيات القصتين على نمط واحد[٣].

ومن الباحثين من جعل تحول هذه الفاصلة بسبب تحول المشهد إلى رصد فرعون وهو يلاحق موسى وقومه، ويركض خلفهم، ويندفع إلى اليم بجنوده فيتمرد عليهم، وينقلب هدوؤه ثورة عاصفة غاضبة تلتهم فرعون وجنوده، تحولت الفاصلة إلى الإيقاع العنيف، الملائم لهذه النهاية المرعبة، فكانت الفاصلة المنتهية بذلك المقطع المقفل، والسكون الحي؛ لتجسد هذه النهاية السريعة الحاسمة، وتلفت القارئ لفتًا شديدًا إلى العاقبة المروّعة التي انتهى إليها هذا الطاغية، وقد تعاون إيقاع الفاصلة المفردة مع الالتفات من ضمير الخطاب (فاضرب... لا تخاف... لا تخشى) إلى الغائب (فأتبعهم) ليتوارى مشهد موسى وقومه بعد نجاتهم، ويبرز

---

(١) المقطع الصوتي: هو وحدة صوتية تتكون من عدة أصوات، والمقطع المفتوح هو الذي ينتهي بصائت. (انظر: معجم علم الأصوات، محمدعلي الخولي، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص١٦٠، ١٦١).

(٢) المقطع المغلق: مقطع منته بصامت، والفاصلة المنفردة في هذه الآية مختومة بمقطع مغلق وهو الميم الساكنة التي تمثل قفلا يغلق المقطع وفاصلة له. (انظر: المرجع السابق، ١٦١).

(٣) انظر: إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، للدكتور محروس السيد بريك، ص١٨٧-١٨٨.

مشهد الهلاك الرهيب، الذي هوّل النظم من شأنه بهذا الإبهام، الذي تذهب معه النفس كل مذهب (ما غشيهم)[١].

وفي السورة نفسها ووسط هذا الإيقاع الملائم للقص، جاءت فاصلة أخرى مفردة بإيقاع فريد في الموضع الذي تَحوّل فيه خطاب موسى – عليه السلام — من قومه إلى أخيه هارون: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾﴾[٢].

فالملاحظ أن الإيقاع كان أكثر استقراراً عندما كان الحوار بين موسى وقومه، وحين تحول إلى محاورة أخيه وهو "في فورة غضبه، يؤنّبه على ترك قومه يعبدون العجل، دون أن يبطل عبادتهم له، ويستنكر موسى على أخيه عدم تنفيذه لأمره"[٣]، وقد استخلفه على قومه، فتحولت الفاصلة من حركة الفتح المطلقة إلى حركة الضم؛ ليشير بهذا الانفراد بما فيه من مدٍّ وثقلٍ في حركة الضم إلى شناعة الفعلة التي قاموا بها جماعة، وأن هارون انفرد عن قومه بأنه لم يعبد العجل لذلك "خصَّه بخطاب يناسب حاله بعد أن خاطب عموم الأمة بالخطاب الماضي، وهذا خطاب توبيخ وتهديد على بقائه بين عبدة الأصنام"[٤].

وقد مهَّدَ لهذا الانفراد بالاستفهام الإنكاري؛ ليلفت حس المتلقي فيتشوق لسماع الإجابة عن هذا السؤال، والتي صدرت من هارون بذلك النداء الهادئ الرقيق (يا ابن أمّ) الذي تحوّل معه الإيقاع نديًا شجيًا فهو يلمس في مشاعر أخيه نقطة حساسة، وهو يعتذر له ويعرض وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره، ويجيء له من ناحية الرحم، فلم يقل: (يا أخي)؛ لأن الأم أشد حساسية، فهو يذكره بأن الولادة كانت من بطن واحد، والرضاعة من لبن واحد.

---

(١) انظر: كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص ١١٥٤-١١٥٥.

(٢) سورة طه: الآيات من ٩١ إلى ٩٣.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢٣٤٨/٤.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٩١/١٦.

وقد سبقنا الحسناوي إلى رصد هذه الفريدة بقوله: سورة طه قد غلبت عليها الفواصل المطلقة بحركة الفتح، على حين جاءت فاصلة واحدة متحركة بالضم(١).

وفي سورة الأنبياء، التي تسعى بنظمها، وإيقاعها إلى تقرير العقيدة، وربطها بالآيات الكونية الدالة على وحدانية الله، وتدعو إلى التأمل باستعراض قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما واجهوه من تكذيب، وسوء عاقبة هؤلاء المكذبين، نجد "نظم هذه السورة من ناحية بنائه اللفظي وإيقاعه الموسيقي نظم التقرير، الذي يتناسق مع موضوعها، ومع جو السياق في عرض هذا الموضوع، ويبدو هذا واضحاً بموازنته بنظم سورتي: مريم وطه مثلاً. فهناك الإيقاع الرخي الذي يناسب جوها، وهنا الإيقاع المستقر الذي يناسب موضوع السورة وجوها"(٢).

ووسط هذا الإيقاع المستقر جاءت الفاصلة المنفردة بين فواصل متقاربة جرت على روي النون أو الميم المردوفتين بواو أو ياء مدّية في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾(٣) "مغايرة لباقي آيات السورة:(يشهدون، ينطقون، تعقلون)، وليس لها ارتباط بما قبلها وما بعدها"(٤)، فقد جاءت جميع الفواصل مردوفة بحرف المد: الواو أو الياء، ما عدا هذه الفاصلة لم تلتزم بحرف الردف، وإنما جاءت خالية منه، منتهية بمقطع مقفل، وهو ما يدعونا إلى البحث عن سر هذه المغايرة.

ولعل حالة الغضب التي سيطرت على موسى –عليه السلام–، واستغرابه من إقبال قومه على عبادة أصنام لا تنفع ولا تضر، كان سبباً في تغير الفاصلة وكسر الإيقاع، لتشير" غُربة

(١) انظر: مقالاً بعنوان: ملامح الفواصل في السور الأربع: لمحمد الحسناوي، رابطة أدباء الشام، www.adabasham.net.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢٣٦٦/٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآيات من٦١ إلى٦٧.

(٤) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، محاضرات للدكتور فاضل السامرائي، إعداد: أبو عبد المعز، ص٥٣٩.

الفاصلة وانفرادها بين الفواصل إلى غرابة تفكير القوم وشذوذه، بعد أن قام إبراهيم -عليه السلام- بتحطيم الأصنام، ودُعي لمحاكمته أمام الأشهاد، مما يؤكد روعة الإعجاز في جمال الإيقاع، ومغايرة نظم الفاصلة إيماء إلى شذوذ الفكر وغرابته لدى المشركين"[١].

وقد وقع الدكتور الخضري على سر دقيق يؤازر انفراد الفاصلة وهو أن انتقال الخطاب من الخبر إلى الإنشاء، مُؤْثرًا الاستفهام المشحون بالإنكار، مهَّد لانفراد الفاصلة، لتبدأ الآية الأخيرة، التي أُهي بها إبراهيم حواره بما يدل على قمة ضجره، ونفاد صبره، وهو الصبور الحليم (أف لكم) و(أف) كما يقول الزمخشري: "صوت إذا صُوّت به عُلم أن صاحبه متضجر، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها، بعد انقطاع عذرهم، ووضوح الحق وزهوق الباطل"[٢]، فلما أفرغ إبراهيم شحنة غضبه بهذا الصوت، بعد الفاصلة المثيرة الموقظة، عاد إلى الإيقاع المعتاد في السورة مصدّرًا بالاستفهام، الداعي إلى الـــتأمل والمراجعة (أفلا تعقلون)[٣].

وتطالعنا الفاصلة المنفردة في سورة الحج، بين فواصل متغايرة، اعتمدت على الروي الساكن المتنوع المردوف بالواو حينًا وبالياء في معظم الأحيان، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾[٤].

---

(١) جماليات الإيقاع في الفاصلة القرآنية المنفردة، د. السيد حسونة، ص٢٥.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ١٢٥/٣.

(٣) انظر: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٥١.

(٤) سورة الحج: الآيات من ١٧ إلى ١٩.

والمتأمل في هذه الآيات يتضح له أن حرف الردف في الفاصلتين الأولى والثالثة (الياء) في:(شهيد، الحميم)، وحرف الردف في الفاصلة الثانية منفرد، حيث انتهت بالهمزة المردوفة بألف المد: (يشاء)، يجسد تفرد الفاصلة بما فيها من امتداد الصوت بالألف إلى انفراد مشيئة الله المطلقة بلا حدود أو قيود.

وفي بداية الآية مهد لتغير الفاصلة بالاستفهام الإنكاري (ألم تعلم)" لينكر على المخاطبين عدم علمهم بدلالة أحوال المخلوقات على تفرُّد الله بالإلهيَّة"[١].

وفي نهاية الآية "قدم لفظ الجلالة (إن الله يفعل) ليدل على اختصاص الله وحده بطلاقة الفعل والإرادة، وهو ما ينسجم مع السياق السابق للفاصلة من سجود المخلوقات جميعها لخالقها طوعًا أو تسخيرًا"[٢].

ونستعرض فيما يلي رأي أحد الباحثين وهو يعلل لانفراد هذه الفاصلة بقوله: وردت فواصل آيات السورة مردوفة بالواو أو الياء سوى هذه الفاصلة مردوفة بالألف، وبذلك تعد فاصلة منفردة، ولو كان الأمر مجرد تناسب الفواصل لعبر القرآن بالفعل (يريد) بدلاً من الفعل (يشاء)؛ لتتساوى المقاطع ويطَّرد الإيقاع، مع فواصل الآيات السابقة، وبخاصة فاصلة الآية الرابعة عشرة من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾[٣].

إن العدول عن التعبير بالفعل (يريد) إلى التعبير بالفعل (يشاء) يصرف الانتباه إلى ضرورة بيان الفروق الدالة بين الفعلين، ومناسبة كل فعل لسياق الآية، ويفرّق ابن تيمية[٤]-رحمه الله- بين الإرادة والمشيئة بقوله: "الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢٦/١٧.

(٢) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٤٩.

(٣) سورة الحج: الآية ١٤.

(٤) ابن تيمية: تقيّ الدين أحمد بن تيمية الحرّاني(٦٦١-٧٢٨هـ)، الإمام شيخ الإسلام، ولد في حرّان، داعية إصلاح في الدين، الآية في التفسير والأصول، له تصانيف عديدة، نذكر منها: السياسة الشرعية، والإيمان، والجمع بين النقل والعقل (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٤٤/١).

قدرية: فالأول: كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[٣] قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[٤]، فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضا، وهي الإرادة الدينية، وإليه أشار بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٥].

وأما الإرادة الكونية القدرية فمثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[٦]، ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر، ولا عُرف ولا نكر، وهذه الإرادة والمشيئة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي، وأما الإرادة الدينية فهي مطابقة للأمر الشرعي لا يختلفان"[٧].

إذن الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، ولا بد من وقوعها، وأما الإرادة الدينية: فيحبها الله -تعالى- ويرضاها لعباده، لكن العبد قد يتمثلها فيأتي ما يوافق مراد الله الشرعي وقد لا يتمثلها.

ومعنى ذلك أن الإرادة في الآية الرابعة عشرة إرادة كونية مرادفة للمشيئة في الآية الثامنة عشرة، ولكن القرآن عبر بالمشيئة في موطن يمكن فيه التعبير بالإرادة الكونية؛ لكي تتحقق المخالفة بين ما يرضاه الله لعباده وما لا يرضاه لهم، وتأكدت المخالفة بالعدول الإيقاعي إلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٦.

(٤) سورة النساء: الآية ٢٧.

(٥) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٧) مجموعة الفتاوى، لابن تيمية، اعتنى بها وخرّج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، ١٨/٧٧-٧٨.

الفاصلة المنفردة بسبب الردف، ولا شك في أن انفراد الفاصلة يعد سببًا رئيسًا في لفت الانتباه إلى ما وراءه من مخالفة دلالية مرادة.[١]

وخذ مثالاً لفاصلة منفردة توسَّطت فواصل متقاربة في سورة السجدة، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٢]، فقد بُنيت الفاصلة المنفردة على حرف الروي: (اللام)، وهو روي غريب وفريد عما تواترت عليه فواصل هذه السورة التي سبقت هذه الفاصلة والتي أعقبتها، فقد جاءت مبنيَّة على حرف الميم حينًا وعلى حرف النون أحيانًا كثيرة، وقد حاكت الفاصلة بانفرادها تفرد بني إسرائيل بالتَّوراة من بين الأمم، فقد "جعل الله التَّوراة هدى لبني إسرائيل خاصة"[٣].

وقد اطردت فواصل سورة الزخرف على نمط فواصل سورة السجدة، فجاءت فاصلة: (اللام) منفردة بين فواصل متقاربة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾[٤]، وجاءت أغلب فواصل السورة السابقة واللاحقة لفاصلة: (اللام) المنفردة على حرف النون والميم المردوفين بواو أو ياء مديَّة، لتلفت نظر المتلقي بإيقاعها المنفرد، إلى تفرد بني إسرائيل بدعوة عيسى -عليه السلام- فهو مبعوث لهم خاصة.

---

(١) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، د. محروس السيد، ص ٢٠٣- ٢٠٥.

(٢) سورة السجدة: الآيات من٢٢إلى٢٤.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٥٢٣/٣.

(٤) سورة الزخرف: الآيات من ٥٨إلى٦١.

وهذا التغير المفاجئ في الفاصلة أُريد به تنبيه من اتبعوا عيسى من غير بني إسرائيل في عصور الكفر إلى هذه الخاصية، وفي هذه المناسبة يقول ابن عاشور: "وفي قوله (لبني إسرائيل) إشارة إلى أن عيسى لم يبعث إلا إلى بني إسرائيل، وأنه لم يدعُ غير بني إسرائيل إلى اتّباع دينه، ومن اتبعوه من غير بني إسرائيل في عصور الكفر والشرك فإنما تقلّدوا دعوته لأنها تنقذهم من ظلمات الشرك والوثنية والتعطيل"(١)، إلى نور الهدى والإيمان.

وإن كان أحد الباحثين لا يرى وجود دلالة وراء هذه الانفراد ومخالفة الإيقاع في السورتين فيقول: وعلى الرغم من ورود اللام رويًّا منفرداً بين الميم والنون في قوله – تعالى- في سورة السجدة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾(٢)، وقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(٣)، إلا أنه لا دلالة وراء ذلك العدول الإيقاعي؛ إذ إن "بني تميم يقولون: إسرائين بالنون"(٤)، فاللام تعاقب النون، إذ إن التعاقب بين النون والميم واللام إنما جوزه كون هذه الأصوات تتسم بسمة واحدة هي كونها أصواتًا صامتة، لكن التقارب بين النون والميم أشد، فكلاهما أنفي مجهور، ولا يختلفان إلا في كون الميم شفويًّا، والنون أسنانيًّا لثويًّا، أما اللام فيتفق معهما في كونه مجهوراً، لكنه أقرب إلى النون منه إلى الميم؛ في كونه أسنانيًّا لثويًّا كذلك.(٥)

ولكسر الإيقاع بالفاصلة المنفردة إيماءة لافتة في سورة الزمر، أزالت توهم تكرار المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٤١/٢٥.

(٢) سورة السجدة: الآية ٢٣.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٥٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة،١٣٤٨هـ-١٩٦٤م، ٣٣١/١.

(٥) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، د. محروس السيد، ص١٩٦-١٩٧.

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[1]، فقد بُني إيقاع الفواصل التي سبقت الفاصلة المنفردة والتي أعقبتها على روي: (النون والميم) المردوفتين بواو أو ياء مديَّة، فلم تأتِ فاصلة على ياء المتكلم مسبوقة بحركة الكسر إلا في الآية الرابعة عشرة: (ديني)، والذي سوَّغ هذا الانفراد في الفاصلة هو أنه- صلى الله عليه وسلم- صرف دينه لله منفرداً دون غيره.

والسؤال الأهم هنا لماذا حذفت ياء المتكلم في الآية الحادية عشرة، وأثبتت في الآية الرابعة عشرة مع أن الألفاظ واحدة في كلا الآيتين لقد كشف أحد الباحثين عن سر المخالفة بقوله: بينما كانت الآية الأولى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ استجابة منه –عليه السلام– لأمر ربه بعبادته وإخلاصه له، جاءت الآية التي انفردت بفاصلتها واتحدت معها في ألفاظها: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾، رفضًا لدعوة المشركين له إلى عبادة آلهتهم واتخاذها قربة إلى ربه على ما يدينون به، لذلك اختلف النسق[2] في نظم الآيتين، فقُدِّم الفعل في الأولى، وقُدِّم المعبود في الثانية، وأطلق الدين في الأولى (مخلصًا له الدين)، وقيد بالإضافة في الثانية (مخلصًا له ديني)، لتتعاون المغايرة في النسق مع المغايرة في الفاصلة في تبديد توقع التكرار في المعنى[3].

وهو ما صرح به الزمخشري في كشافه بجلاء في قوله: "فإن قلت: ما معنى التكرير في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[4]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[5]؟ قلت: ليس بتكرير؛ لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والإخلاص، والثاني: إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصًا له دينه، ولدلالته على ذلك قدَّم

---

(١) سورة الزمر: الآيات من١١ إلى١٥.

(٢) النسق: من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، وقد نسَّقته تنسيقًا، ويخفَّفُ فيقال: نسقته نسقًا، ويقال: انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسَّقت، وحروف العطف عند النحويين حروف نسق لأن الشيء إذا عطفته على شيء صار نظامًا واحدًا. (انظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ٣١٣/٨).

(٣) انظر: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٥٩.

(٤) سورة الزمر: الآية١١.

(٥) سورة الزمر: الآية١٤.

المعبود على فعل العبادة، وأخَّره في الأول، فالكلام أولاً واقع في الفعل إيجاده، وثانيًا فيمن يفعل الفعل لأجله"(١).

وفي سورة الواقعة جاءت فاصلة (الباء) منفردة بين مقطعين مختلفين، جرى الأول على روي الدال، وجرى الثاني على روي الهاء في سياق الحديث عن نعيم أهل الجنة ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ (٢)، فلما جاء وصف الماء في الجنة مخالفًا لما عهده السامعون في الدنيا جاءت الفاصلة منفردة لتحاكي هذا الاختلاف؛ "لأن العرب أكثر ما يكون عندهم الآبار والبرك فلا سكب للماء عندهم"(٣).

فالملاحظ أن القرآن يعمد إلى المخالفة في نسق الفاصلة ليلفت الحسَّ والقلب إلى معنى تومئ إليه الفواصل المنفردة، إذ كان من الممكن أن يقول: (غزيرة) فتتسق الفاصلة مع ما بعدها ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾، ولكن النظم اختار "كلمة: (مسكوب) مكان: (غزيرة) أدق في بيان غزارته، فهو ماء لا يقتصد في استعماله، كما يقتصد أهل الصحراء، بل هو ماء يستخدمونه استخدام من لا يخشى نفاده"(٤).

ومن هنا نرى أنه استخدم اسم المفعول للدلالة على الثبات والدوام وأن هذا الماء دائم لا ينقطع(٥).

وفي سورة المدثر نلاحظ تنوع الروي من مقطع إلى مقطع، كما جاءت المقاطع مفصلة على المعاني والأغراض، فكل مقطع يحتفظ بروي واحد، مع التقارب في الفواصل، ولكن قد يعدل القرآن إلى فاصلة منفردة تقطع تناغم المقطع، ثم يعود إلى الروي السابق مرة أخرى.

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ١١٩/٤.

(٢) سورة الواقعة: الآيات من ٢٨ إلى ٣٤.

(٣) التفسير الكبير، للرازي ٤٠٥/٢٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٠٩/١٧.

(٤) مقال بعنوان (الكلمة في القرآن عاشقة لمكانها)، وأُضيف في ٤ نوفمبر، ٢٠٠٩م، بواسطة إسلاميات islamiyyat.com2009.090.04.

(٥) انظر: أطروحة ماجستير بعنوان (سورة الواقعة: دراسة أسلوبية)، بلال سامي إحمود الفقهاء، إشراف الدكتور:عثمان مصطفى الجبر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١/٢٠١٢م، ص٦٥.

ولسيد قطب كلام طيب يصف فيه إيقاع هذه السورة بقوله: "وهذه السورة قصيرة الآيات، سريعة الجريان، منوعة الفواصل والقوافي، يتّئد إيقاعها أحيانًا، ويجري لاهثًا أحيانًا، وبخاصة عند تصوير مشهد هذا المكذّب، وهو يفكّر ويقدّر، ويعبس ويبسر، وتصوير مشهد سقر: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾[1]، ومشهد فرارهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[2]، وهذا التنوع في الإيقاع والقافية بتنوع المشاهد والظلال، يجعل للسورة مذاقًا خاصًا، ولاسيما عند رد بعض القوافي ورجعها بعد انتهائها، كقافية الراء الساكنة: (المدثر.. أنذر.. فكبر..)، وعودتها بعد فترة: (قدّر.. بسر.. استكبر.. سقر)، وكذلك الانتقال من قافية إلى قافية في الفقرة الواحدة مفاجأة، ولكن لهدف خاص"[3].

وهذا الهدف هو ما نحاول الكشف عنه من خلال الفاصلتين المنفردتين في هذه السورة.

الفاصلة الأولى: جاءت وسط مقطع اعتمد على ألف المد المنقلبة عن التنوين بعد حرف الروي، ومدُّ اللين الواقع قبل حرف الروي، وهو إيقاع يتناسب مع نبرة التهديد الموجهة للوليد ابن المغيرة على ما جاء في أكثر الروايات[4] في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾[5]، "وكأنه يضغط بهذا الإيقاع الممتد على نفس المكذّب، ويُطبق على أنفاسه. ولعل هذا هو السر في اختيار الدال، وهو حرف شديد مجهور ليكون رويَّ هذا المقطع، وربما هو السبب الذي من أجله أطال الله وصف هذا الجاحد العنيد"[6].

---

(١) سورة المدثر: الآيتان ٢٨، ٢٩ .

(٢) سورة المدثر: الآيتان ٥٠، ٥١.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٧٥٣، ٣٧٥٤.

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٤/٦٤٧، ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، ط١، دمشق- بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، ص ١١٣.

(٥) سورة المدثر: الآيات من١١إلى ١٧.

(٦) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ١١٥٥.

وفي وسط هذا الإيقاع المطلق الطويل، جاءت هذه الفاصلة المنفردة على روي الدال الساكنة: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؛ لتلفت بغرابتها وسط هذا المقطع المتَّحد الروي، غرابة طلب الوليد بن المغيرة وكفرانه بآلاء الله، وهو ما أشار إليه صاحب التحرير والتنوير بقوله: "لأنه طمع في زيادة النعمة، غير متذكر أنها من عند الله، فيكون إسناد الزيادة إلى ضمير الجلالة إدماجاً بتذكيره بأن ما طمع فيه هو من عند الذي كفر هو بنعمته، فأشرك به غيره في العبادة. ولهذه النكتة عدل عن أن يقال: يطمع في الزيادة أو يطمع أن يزداد"(١)، ولذا صدرت هذه الآية بحرف العطف (ثم) لدلالته على الاستبعاد والاستنكار لطمعه وحرصه(٢).

أما الفاصلة المنفردة الثانية: فقد جاءت على حرف الهاء، بين مقطعين مختلفين، **الأول:** انتهى بروي (الراء) بما يحدثه من تكرار عند النطق به، وهو إيقاع سريع يتناسب مع حالة التوتر العاصفة، التي جعلت الآيات تلجأ إلى القسم بمخلوقات الله التي تخاطب الحس، وتحرك الوجدان للتأمل والنظر(٣)، **والثاني:** انتهى بروي (النون) المردوفة بالواو أو الياء، وهو إيقاع رخي ندي يتناسب مع حالة الهدوء والاستقرار التي تلف أصحاب اليمين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾(٤)، وجاءت هذه الفريدة وسط هذه الإيقاعات المثيرة الخطيرة لتعلن انفراد كلِّ نفس بعملها، "فكلُّ فرد يحمل هم نفسه وتبعتها، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها، يتقدم بها أو يتأخر، يكرمها

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠٥/٢٩.

(٢) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٦٤٨/٤.

(٣) انظر: من عطاءات الإيقاع الكمي للجملة في القرآن الكريم (سورة المدثر أنموذجاً)، للدكتور شوادفي أحمد السيد علام، مجلة كلية اللغة العربية في المنصورة، جامعة الأزهر، ع٢٦، القاهرة، ٢٠٠٧م، ٣١٧/٤.

(٤) سورة المدثر: الآيات من٣٢ إلى٤٠.

أو يهينها، فهي رهينة بما تكسب، مقيدة بما تفعل، وقد بيّن الله للنفوس طريقه لتسلك إليه على بصيرة"[١].

وانفراد الفاصلة في هذه الآية دليل على سقوط القول بمراعاة الفواصل في القرآن، إذ لو كان غرض القرآن تحقيق التناسب في الفواصل فحسب، لقال مثل قوله في سورة الطور: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[٢]، حتى تتسق الفاصلة مع ما بعدها: (إلا أصحاب اليمين).

ولقد أنكر أبو بكر البقاعي القول بمراعاة الفواصل، ورد على من يزعم أن القرآن يعدل عما يقتضيه السياق لأجل الفاصلة بهذه الآية في قوله: "ولو كانت الفواصل التي يعبرون بها عن السجع تأدبًا تُراعى في القرآن بوجه، لقيل (رهين) لأجل (يمين)، ولكن لا نظر فيه لغير المعنى"[٣]، وهذا كلام طيب ومثله يجب أن ننظر إلى فواصل القرآن.

وفي سورة المرسلات الغنية بتنوع فواصلها، على شكل مقاطع يحتفظ فيها كل مقطع بوحدة الروي، في إيقاع عنيف حاد، شديد الطرق، ويحسن هنا أن أنقل كلامًا لسيد قطب أجمل فيه إيقاع هذه السورة بقوله: هذه السورة حادة الملامح، عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة من نار. وهي تقف القلب وقفة المحاكمة الرهيبة، حيث يُواجَه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات، تنفذ إليه كالسهام المسنونة، وتعرض السورة من مشاهد الدنيا والآخرة، وحقائق الكون والنفس، ومناظر الهول والعذاب ما تعرض، في مقاطع متوالية، وفواصل سريعة عنيفة، متعددة القوافي، كل مقطع بقافية.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٧٦١.

(٢) سورةالطور: الآية ٢١.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ٢١/٧١.

ويعود السياق أحيانًا في بعض القوافي مرة بعد مرة، ويتلقى الحس هذه المقاطع والفواصل والقوافي بلذعها الخاص، وعنفها الخاص، واحدة إثر واحدة، وما يكاد يفيق من إيقاع حتى يعاجله إيقاع آخر بنفس العنف وبنفس الشدة[١].

وبعد الفواصل السريعة اللاهثة، والجو العاصف الثائر، في بداية السورة، جاءت الفاصلة المنفردة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ [٢]، في ختام المقطع المطلق،المنتهي بألف المد، بما فيه من امتداد الصوت إلى أعلى، وهو إيقاع يتناسب مع الجو العاصف، والمشاهد العنيفة، ليفاجئنا بعد هذا الإيقاع السريع اللاهث المفتوح، بفاصلة مقيدة في جملة جواب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ انتهت بحرف العين وهي من أنصع الأصوات وأوضحها لأنها مجهورة[٣]؛ ليؤكد بهذا الإيقاع المستقر الحقيقة التي طالما أنكرها المشركون "أي ما كنتم توعدون به من العقاب بعد البعث واقع لا محالة وإن شككتم فيه أو نفيتموه"[٤].

ولزيادة تأكيد وقوع الجزاء يوم القيامة، مهَّد للفاصلة المنفردة بحرف التَّأكيد (إنَّ) التي صدرت به جملة جواب القسم لتكون أبلغ في تحقق وقوع الجواب، وليتنبهوا بعد هذه المفاجأة إلى التفاصيل التي تسبق موقف البعث، وهي التي بدأ القرآن بتصوير أحداثها العنيفة، التي توحي بانفراط عقد هذا الكون، بعد هذه الفاصلة الفريدة في مقطع جديد ينتهي بفاصلة: (التاء) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾[٥].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٧٨٩/٦.

(٢) سورة المرسلات: الآيات من١إلى ٧.

(٣) انظر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٦، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٨٩، والأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ص ٧٥.

(٤) التَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، ٤٢٣/٢٩.

(٥) سورة المرسلات: الآيات من٧ إلى ١٠.

وفي سورة النازعات يتنوع إيقاع الفواصل بتنوع أجواء السياق، على صورة موجات متتابعة، تبدأ بإيقاع راجف لاهث، يناسب حركة الطوائف التي أقسم الله بها، وفي ظل هذا الجو المبهور المذعور تنتقل الفاصلة من الألف إلى الهاء الساكنة، في جواب القسم لتصور تقطع الأنفاس ذعرًا وانبهارًا من أهوال يوم القيامة، ثم يهدأ الإيقاع ويسترخي شيئًا ما، حينما ينتقل إلى فواصل الألف المقصورة؛ ليناسب جو الحكاية والقص بأسلوب لين رقيق، وهو بعرض ما كان بين موسى وهارون، تسلية له ﷺ، وتأسيًا بأولي العزم من الرسل، ثم ينتقل السياق إلى خطاب المشركين المكذبين بالبعث، مستخدمًا أسلوب الاستفهام، الذي لا يقبل إلا إجابة واحدة وهي التسليم الذي لا يقبل الجدل، منكرًا عليهم اغترارهم بقوتهم، مشيرًا إلى عظمة قدرة الله في المظاهر المكشوفة لهم.

واختار النظم الهاء الممدودة ذات الإيقاع الضخم الطويل؛ ليمنح المتلقي فرصة التأمل في عظمة تقدير الله في ملكه، فإن بناء السماء على هذا النحو، ودحو الأرض على هذا النحو أيضًا، لم يكونا فلتة ولا مصادفه، وإنما كان محسوبًا فيهما حساب هذا الخلق الذي يستخلف في الأرض، والذي يقتضي وجوده ونموه ورقيه موافقات كثيرة جدًا، في تصميم الكون، وفي تصميم المجموعة الشمسية بصفة خاصة، وفي تصميم الأرض بصفة أخص[1].

وفي نهاية الحديث عن هذا الكون المفتوح، يعمد النظم الحكيم إلى فاصلة منفردة، في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[2] تنتهي بمقطع مقفل، على حرف الميم الذي تنضم فيه الشفتان؛ لتلفت بهذا الانغلاق انتهاء الحديث عما يخص الحياة الدنيا، والبدء بالحديث عن الآخرة، ووصف أهوال الساعة وأحداثها، وما تنتهي إليه من حساب وجزاء، وهذه الفاصلة المنفردة تجسِّد الحكمة من هذا الخلق العظيم، وهي تسخيره لنفع الإنسان، والتمكين له في الأرض، معلنة له انقضاء وقت

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، ٦٩٢/٤، ٦٩٦، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٧٣/٣٠، ٧٤، ٨٣، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ٣٨١١/٦-٣٨١٩.

(٢) سورة النازعات: الآيات من ٢٧ إلى ٣٣.

العمل، وابتداء وقت الحصاد: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾﴾[1].

وفي سورة "عبس" التي تسير على خطا سورة "النازعات" في تعدد مقاطعها، وتنوع فواصلها بتنوع أجواء الحديث فيها، وردت فاصلة منفردة وهي التي رأيناها وحيدة في سورة النازعات نفسها، بألفاظها ودلالتها، وللغاية ذاتها، فبعد أن أمر الله الإنسان بالتفكير في أطوار تكوُّن الحبوب والثمار التي بها طعامه وهو أقرب شيء إليه، وألزم شيء له، وقد وصف له تطور ذلك بصورة مفصلة مرحلة مرحلة؛ ليتأمل ما أودع إليه في ذلك من بديع التكوين سواء مما يراه ببصره أو مما خفي عليه، وهي معجزة كمعجزة خلقه ونشأته، فكل خطوة من خطواتها، تلفتنا إلى وجود اليد القادرة وراء هذا الصنيع المبدع[2].

وقد جاءت فواصل السورة بألف المد؛ ليتيح بما فيه من امتداد الصوت إلى الأعلى التأمل والتفكر في جمال هذا الكون الفسيح، وبعد هذا التفصيل في قصة طعام الإنسان يفاجئنا النظم الحكيم بالفاصلة المنفردة، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[3]؛ ليركز انتباه المتلقي على الغاية من خلق الإنسان، ولتلفت الفاصلة بانفرادها إلى نهاية الحديث عن الحياة الدنيا وابتداء الحديث عن الآخرة.

ووقف أحد الباحثين عند هاتين الفاصلتين بقوله: في سورة النازعات تنتهي قصة موسى –عليه السلام– بفاصلتها، ويبدأ السؤال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾، فتتغير معه الفاصلة في الآيات: (٢٧ –٢٨)؛ لتأتي فاصلة واحدة بميم ساكنة: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾، ثم تبدأ لوحة أخرويَّة بفاصلة جديدة هي الألف المقصورة (٣٤ –٤١).

---

(١) سورة النازعات: الآيتان ٣٤، ٣٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٢٩/٣٠، ١٣٠، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٨٣٢/٦.

(٣) سورة عبس: الآيات من ٢٤ إلى ٣٢.

وفي سورة عبس جاءت فاصلة: (الألف المنونة) في الآيات: (٢٥ -٣١)، في موضع واحد، وهو بيان تدريج الرزق من إنزال الماء فإنبات الريح، ثم تأتي فاصلة: (الميم الساكنة) التي رأيناها وحيدة كذلك في سورة النازعات: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾، فإذا بدأت لوحة أخرويَّة وهددت متوعدة تغيرت الفاصلة فصارت هاء في الآيات من: (٣٣ -٤٢)[١].

وكما بدأ حديث الآخرة في سورة النازعات، بعد تلك الفاصلة مباشرة بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[٢]، بدأ حديث سورة عبس بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾[٣]، وهو دليل واضح على أن هذه الفواصل يوزعها الله -تعالى- في نظمه بقدرٍ، ولا تخضع للصُّدف واستطرادات الكلام.

وقد كان للدكتورة بنت الشاطئ فضل الإشارة إلى الانتقال من الاستدلال على قدرة الله في خلق السماء والأرض إلى بيان فضل الله ونعمته على الإنسان، والشبه القائم بين السياقين وطرائق النظم في سورتي: النازعات وعبس، وإن لم تقف عند مواكبة هذا الانتقال بتغير الفاصلة الذي مهد للحديث عن أجواء الآخرة، بعد الحديث عن آثار قدرة الله ونعمه في الدنيا[٤].

وفي سورة "الزلزلة" اختار القرآن الكريم فاصلة: (الهاء) المردوفة بالألف المعقّبة بألف المد؛ ليجتمع لها مدان يطيلان زمن الفاصلة، مما يمكن للمخاطبين تأمل هذا الانقلاب الهائل الذي يحدث في الأرض، في إيقاع مطلق يلهث فزعًا ورعبًا، ودهشة وعجبًا، فهو أمر جديد لا عهد لهم به، ليس له شبيه ولا نظير في الزلازل الطبيعية، التي تقع في مكان معين من الأرض دون الأماكن الأخرى، إنه زلزال مهول غير محدد المعالم[٥]، يهيئ الإنسان ليوم عظيم.

---

(١) انظر: فواصل الآيات القرآنيَّة دراسة بلاغيَّة، للدكتور السيد الخضر، ص١٥٥،١٥٦.

(٢) سورة النازعات: الآية ٣٤.

(٣) سورة عبس: الآية ٣٣.

(٤) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبدالرحمن، دار المعارف، ط٧، القاهرة، ١/١٥٣، وكسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص ١١٦٢، ١١٦٣.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٩٥٥.

ثم ينتقل من الفاصلة المطلقة على الألف، إلى فاصلة منفردة مقيدة على حرف الميم الساكنة، مجسدة لانفراد الإنسان ووحدته في يوم البعث من القبور عند لقاء ربه، ومهد لانفراد الفاصلة بلفظ (أشتاتًا) الموحي بالتشتت والتفرق[١]، فجاء هذا اللفظ متناسبًا مع انفراد الفاصلة، في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦﴾[٢]، وهي فاصلة وحيدة بين مقطعين مختلفين، جرت فاصلة المقطع الأول على روي الألف المناسب لتصوير الهزة العنيفة المزلزلة للأرض ومن عليها يوم القيامة.

وجرت فاصلة المقطع الثاني على روي الهاء، وهو صوت رخو مهموس، يسمع فيه نوع من الحفيف[٣]، يحاكي لحظة التسليم، وقراءة نتيجة الأعمال، فكل إنسان منشغل بنفسه لا يستطيع أن يقدم لها خيرا أو شرا، فبعد الخروج من وقف الارتجاج والدوي إلى وقف الهدوء وعرض الأعمال اختار النظم الحكيم هذا الإيقاع الرخي الهادئ، في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[٤].

ولأحد الباحثين وجه في هذا الانفراد لا يبعد عن بلاغة النظم يقول فيه: وفي محاولة استقصاء علة الانتقال إلى فاصلة أخرى، ومخالفة الفاصلة التي سبقتها، يتضح أن أسلوب النص القرآني دقيق في وصف المقام، فتتشكل ملامح الصورة وفق الحدث، فيبدو أن الانتقال من (الألف) إلى (الميم)، أسهم في سحب المتلقي من هزة الزلزال العنيفة إلى وقفة تأمل يشغلها العمل بقطبيه المتناقضين، وكأن الصورة ذات الحركة العنيفة التي رسمتها الآيات السابقة، سكنت وهدأت، فمنح المخاطب فرصة لاستقصاء تلك الأعمال الموثَّقة وانشغاله في مقارنة

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠/٤٩٤.

(٢) سورة الزلزلة: الآيات من١ إلى ٦.

(٣) انظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٧٦.

(٤) سورة الزلزلة: الآيتان ٧ ، ٨.

ذهنية نفسية دنيوية أخروية طبقًا لما يراه من التوثيق، وكل تلك الأمور تفرض الهدوء في الإيقاع.

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن الميم جاءت؛ لتعبر عن شمولية الموقف على الناس من دون استثناء؛ فهم سواسية في رؤية الموقف؛ لذا قال: (الناس) ولم يقل: (المؤمنون) أو: (الكافرون) أو: (المنافقون) أو غير ذلك من الخطاب المتنوع في القرآن الكريم.

ولوكان الخطاب القرآني يريد توظيف خاصية الجمع فقط، لقال: (يومئذ يصدر الناس أشتاتًا لترى أعمالها)، وبذلك يتحقق التماثل الصوتي مع الآيات السابقة، لكن الخطاب القرآني وظف الفاصلة إلى ما هو أبعد من ذلك، فاختار فاصلة: (الميم)؛ لتستوعب الإيقاع الصوتي في الحدث، لكونها أوقع في النفس، وأدق في رسم الصورة؛ لما يتميز به حرف الميم من إيقاع رخو هادئ، فكانت لمسة بيانية مُتْقنة أَرْخَت بظلالها على الدلالة[1].

وقد تأتي الفاصلة المنفردة غاية في التأثير في آخر السورة؛ لأنه آخر ما يقع في السمع، وهذا هو موقع المبحث التالي.

*****

(١) انظر: التصوير الصوتي في سورة الزلزلة، هادي سعدون هنون، جامعة الكوفة، ع١٨، ٢٠١٠م، ص٥ – ٧.

المبحث الثالث

الفَاصِلَـة المنفردة

في

آخر السُّـوْرَةِ

المبحث الثالث

الفاصلة المنفردة في آخر السورة

ينبغي للمتكلم أن يختم كلامه بكلام مُسْتعذب حسن، يُشعر المتلقي بأنه شارف على الانتهاء، فيلفته إلى غايات ومقاصد تجبر "ما عساه وقع فيما قبله من التقصير"(١)؛ لذلك اهتم البلاغيون بحسن المقطع؛ لأنه "آخر ما يبقى من الأسماع، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بها، فلا جرم وقع الاجتهاد في رشاقتها وحلاوتها، وفي قوتها وجزالتها، وينبغي تضمينها معنى تامًا، يؤذن السامع بأنه الغاية والمقصد والنهاية"(٢)، فتتعلق نفسه به ويتأثر به أيما تأثير، وغاية الغايات في حسن الختام خواتيم السور القرآنية التي وردت في "أحسن وجوه البلاغة وأكملها"(٣).

يقول ابن أبي الإصبع(٤): "جميع خواتيم السور الفرقانيّة في غاية الحسن ونهاية الكمال؛ لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ وقواعد، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوُّف إلى ما يقال"(٥).

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للصعيدي، ٤/٧١٣.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي، ٣/١٠٤، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ١/٢٣٩، وأنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد علي الصدر الدين ابن معصوم المدني، تحقق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ٧/٣٢٤.

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، للصعيدي، ٤/٧١٤.

(٤) ابن أبي الإصْبع: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصْبع العدوانيّ، البغدادي ثم المصري(٥٨١-٦٥٦هـ)، شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته في مصر له تصانيف حسنه، منها: بديع القرآن، والتحرير والتحبير، والخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٤/٣٠).

(٥) بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري، ص٣٤٦، وانظر الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن قيم الجوزية، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، ط١، مصر، ص١٣٨، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣/٣٦٦.

ومما يدخل في ذلك الفواصل المنفردة في خواتيم السور، بما تحدثه من مفاجأة تحرك نظر المتلقي إلى أهداف ومقاصد مراده، يقول صاحب الصناعتين: "ومن حسن المقطع جودة الفاصلة، وحسن موقعها وتمكنها في موضعها"(١).

وقد وقعت الفواصل المنفردة في خواتيم السور التالية: آل عمران، النساء، ويونس، والنجم، والمزمل، والانفطار، والضحى، والعلق، والمسد، وهي في جميع السور تخالف الفواصل التي قبلها، إما في الوزن والروي معًا أو في الروي فقط.

ففي سورة النساء جاءت الآية الأخيرة، بعد مائة وخمسٍ وسبعين آية؛ لتتجاوب مع مطلع السورة، وتُؤكد على عدم مخالفة التكاليف والشرائع التي سنها الله -تعالى- لحفظ حقوق الأقارب من رجالٍ ونساء، وكان فخر الرّازي من أوائل من تنبه إلى هذه المشاكلة بين المطلع والمقطع بقوله: "اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول، في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾(٢).

وهنا تلاقت الآية الأخيرة مع الآية الأولى في دلالتها، أولها مشتمل على كمال قدرة الله، ومراقبته لعبادة لا تخفى عليه خافية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٣)، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾، وهذان

(١) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ٤٤٥/١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١.

الوصفان هما اللذان تثبت بهما الربوبية والإلهية والجلالة والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعًا للأوامر، والنواهي منقادًا لكلِّ التكاليف[١].

والملاحظ أن القرآن الكريم أنهى الحديث في هذه السورة التي اعتمدت فواصلها على المد بالألف، بفاصلة منفردة في الختام، تنتهي بروي مُقفل، تنضم معه الشفتان؛ ليعلن بهذا الانغلاق انتهاء السورة، وهذا الانفراد في الفاصلة أمر قصد إليه النظم الكريم قصدًا، فقد كان من الممكن أن يحافظ على تماثل الفواصل بإضافة ألف المد بعد الميم لتصبح: (عليمًا) كما حدث في أربعة مواضع في السورة نفسها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[٢]، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾[٣]، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[٤]، ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾[٥].

وجاء هذا الانفراد في الفاصلة الختامية لفتًا إلى انفراده -سبحانه وتعالى- بالعلم وحده، فهو "عالم الغيب والشهادة والأمور الماضية والمستقبلية، ويعلم حاجتكم إلى بيانه وتعليمه، فيعلمكم من علمه الذي ينفعكم على الدوام في جميع الأمور والأمكنة"[٦].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، ١١/٢٧٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٠.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٧.

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٧.

(٥) سورة النساء: الآية ١٤٨.

(٦) أطروحة ماجستير بعنوان: (الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية دراسة تطبيقية على سورة النساء) موسى الحشاش، ص١٦٨.

فـ"ناسبَ ختم الآية بالعلم، وهو دعوة لهم إلى أن يطمئنوا إلى أن الله -تعالى- عندما يشرع الأحكام، فإنما يكون ذلك عن علمه بما يصلح للبشر"(١).

وهذا ما نبَّه إليه د. الخضري بقوله: "جاءت المفاجأة في إيقاع الفاصلة الأخيرة من السورة التي بُنيت فواصلها على المد بالألف المنقلبة عن التنوين، وهو إيقاع يناسب سمة التشريعات التي تحقق عدالة السماء والارتفاع بأحكام السماء عن قوانين أهل الأرض التي تحكمُها الأهواء، ويعتورُها العجز والقصور، فكان انفرادُ الفاصلة بالوقوف على الميم الساكنة بعد المد، إيماء إلى الاستقرار الذي يحققه شرع الله، وتستريح إليه النفوس المؤمنة، استراحتها إلى النغم بهذا المد الطويل العارض للسكون، والتلويح بانفراد الله -تعالى- بالعلم المحيط لمن خلق، ولما يصلح هذا الخلق؛ قطعًا للألسنة التي توشك أن تفتات على العليم الحكيم، وتقضي في المواريث بغير ما قضاه"(٢).

وهذه فاصلة منفردة في ختام فواصل متقاربة في سورة يونس، التي بنيت فواصلها جميعًا على روي النون والميم المردوفتين بالواو والياء الممدودتين، في ثمانٍ ومائة آية، لم يختلف هذا إيقاعها إلا في فاصلة واحدة، وهو ما يدفع إلى البحث عن سر هذه المخالفة وكسر وحدة النغم في السورة.

ولعل سر هذه المخالفة -في نظري- أن هذه السورة الطويلة نسبيًا يدور موضوعها حول العقيدة، في مسائلها الكبرى: إثبات رسالة محمد ﷺ وإبطال استحالة المشركين أن يرسل الله رسولاً بشرا، وإثبات الربوبية والألوهية، ونفي الشركاء والشفعاء، ورجعة الأمر كله إلى الله، وسننه المقدرة، التي لا يملك أحد تحويلها ولا تبديلها، والوحي وصدقه، والبعث واليوم الآخر، والقسط في الجزاء، واستعراض قصص الأمم السابقة التي كذبت بالرسل وما حلَّ بها من العذاب، "في إيقاع رخي، ونبض هادئ، وسلاسة وديعة" (٣)، تتناسب مع جو تقرير الحقائق السابقة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٢١٧.

(٢) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص ١١٦٧، ١١٦٨.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ١٨٢٤/٣، ١٨٢٥، ١٧٤٦، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٧٨/١١ ، ٧٩.

حتى إذا اقتربت السورة من نهايتها عدَل النظم في الآية قبل الأخيرة إلى تغيير الفاصلة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [(١)]؛ ليلفت الناس بهذه الفاصلة المنفردة إلى "الإعلان الأخير، والكلمة الفاصلة، والمفاصلة الكاملة، ولكلٍّ أن يختار لنفسه، فهذا هو الحق قد جاءهم من ربهم، وليس الرسول مُوكَّلاً بالناس يسوقهم إلى الهدى سوقًا، إنما هو مبلِّغ، وهم موكولون إلى إراداتهم، وإلى اختيارهم، وإلى تبعاتهم وإلى قدر الله بهم في النهاية"[(٢)].

ويؤكد ابن عاشور أن الفاصلة المنفردة جاءت في هذه الآية: كذيل لما مضى في السورة كلها، وحوصلة لما جرى من الاستدلال والمجادلة والتخويف والترغيب؛ ولذلك جاء ما في هذه الجملة كلامًا جامعًا وموادعة قاطعة، وافتتاحها بـــ: (قل) للتنبيه على أنه تبليغ عن الله – تعالى– فهو جدير بالتلقي، وافتتاح القول بالنداء لاستيعاب سماعهم لأهمية ما سيقال لهم، وجملة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾؛ لتحقق أن النبي ﷺ غير مأمور من الله بأكثر من التبليغ[(٣)]؛ لذلك جاءت الفاصلة باللام مغايرة لما قبلها لشد انتباه المتلقي لهذه الحقيقة، فانفرادها يشير إلى انفراد كل نفس بمصيرها؛ لتتحمل تبعة اختيارها.

وسورة النجم، التي صُدّرت بالحديث عن رحلة معراج النبي ﷺ إلى الملأ الأعلى، وتأكيد رؤيته للوحي، والاستنكار على المشركين تكذيبهم لمصداقيته ﷺ، في إيقاعٍ رخي هادئ متسلسل، اعتمد على ألف المد المقصورة: (هوى، يرى، الهدى، المنتهى...)، في ست وخمسين آية، وهو إيقاع يتناسب مع لمسات الحنان والرضا، الذي أفاضها الله على نبيه ﷺ.

---

(١) سورة يونس: الآيات من١٠٦إلى ١٠٨.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ١٨٢٦/٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠٨/١١-٣٠٩.

ويحسن بي أن أنقل كلاماً لصاحب الظلال يصف فيه إيقاع هذه السورة بأنه لون خاص، يُلحظ فيه التموج والانسياب، وهو يتناسق بتموجه وانسيابه مع الصور والظلال الطليقة المرفرفة، ومع المعاني واللمسات التي تشع من المجال العلوي، الذي تقع فيه الأحداث النورانية، والمشاهد الربانية، متناسقة مع حركات جبريل وهو يتراءى للرسول الكريم، إنه جو روحي أثَّر في الإيقاع التعبيري، فامتزج به وتناسق معه[١].

حتى إذا شارفت السورة على نهايتها عاد القرآن الكريم إلى فواصل متغايرة، في إيقاع قوي عنيف سريع في خمس آيات: (الآزفة، كاشفة، تعجبون، تبكون، سامدون....)؛ إنها طرقات إنذار وتهديد ووعيد للمستهزئين المشككين برسالة محمد ﷺ ليصل إلى فاصلة ختامية منفردة على هيئة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾[٢]، أي "فاخضعوا لجلال الله، واعبدوه، فهذا ما ينبغي أن يكون موقف المخلوق من خالقه، ولاء وطاعة، وحمد، وتسبيح وعبادة"[٣]، ولأن العبادة بجميع أنواعها وصفاتها لا تصرف إلا لله – تعالى– جاءت الفاصلة منفردة؛ لتحاكي إفراده –سبحانه وتعالى– بالعبادة، وهي نتيجة حتمية بعد إبطال ادعاءات المشركين وافتراءاتهم أمرهم بالسجود لله وعبادته، فجاءت صيحة مدوية مزلزلة مذهلة، تصرخ في آذانهم وقلوبهم في هذا السياق، وفي هذا الظلال، وبعد هذا التمهيد الطويل الذي ترتعش له القلوب[٤].

ولعل القرآن الكريم عدل إلى الفاصلة المنفردة في آخر السورة إيثاراً للمعنى على تناسب الإيقاع، وجاءت الفاصلة مخالفة فيما يشبه إسدال الستار في نهاية المشهد، وإيحاءً بأن لا أقول بعد هذا القول الفصل، ولا حجة لهم بعد هذا البيان ألا يسجدوا لله ويعبدوه.

ولكن لماذا لم يُظهر القرآن الضمير فيقول: (**فاسجدوا لله واعبدوه**) ففي ذلك عدول إيقاعي كذلك؟

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٤٠٤، ٣٤٠٥.

(٢) سورة النجم: الآية ٦٢.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، ١٤/٦٢٥.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٤١٨، ٣٤١٩.

الملاحظ أنها لو جاءت الفاصلة بإظهار الضمير لكانت أقل عدولاً عن الفاصلة الحالية التي اختارها القرآن؛ إذ إنها ستتوافق مع الفاصلة في الآيات السابقة: (تعجبون، تبكون، سامدون)، في طول المقطع المقفل: لذلك القرآن اختار الفاصلة الختامية: (فاعبدوا) من غير ضمير لتصبح أشد عدولاً عن الفاصلة السابقة من جهة الإيقاع، وبخاصة أن المعنى مفهوم دون ذكر الضمير إذ المراد: "فاسجدوا لله واعبدوا ولا تعبدوا الآلهة"(١).

إن هذا العدول الإيقاعي يوحي بمخالفة ما هم عليه — من عجب وضحك وضلال ولهو- لما يأمرهم الله -تعالى- به من جد وحق وامتثال لله -تعالى- بالسجود له وعبادته وحده دون سواه. إنه التباين الذي يصل إلى حد التناقض(٢).

وفي سورة المزمل تمضي فواصلها منتظمة ومتحدة الوزن، وتكاد تكون "على روي واحد هو اللام المطلقة الممدودة، وهو إيقاع رخي وقور جليل، يتمشى مع جلال التكليف وجديّة الأمر، ومع الأهوال المتتابعة التي يعرضها السياق"(٣).

وهذا الإيقاع المطلق الطويل، بما فيها من مد الصوت يحاكي القول الثقيل، والعبء الكبير، والجهد البدني الشاق، الذي كلف به الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾(٤)وتحكي صوت القارئ وهو ينطق بحروف القرآن في تأنٍ وببطء: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾(٥)، وتجسِّد القيد الثقيل، والعذاب الطويل للمشركين المكذبين: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾(٦).

---

(١) الكشاف، للزمخشري، ٤/٤٣٠، وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٣/٣٩٨.

(٢) انظر: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية د.الخضري، ص١٩٤ ، ١٩٥.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٧٤٣.

(٤) سورة المزمل الآيات من ٥ إلى ٧.

(٥) سورة المزّمل: الآية ٤.

(٦) سورة المزّمل: الآيتان ١٢، ١٣.

ولما علم الله إخلاصهم وامتثالهم لأمره، عدل عن الفاصلة المطلقة إلى الفاصلة المقيدة في الآية الأخيرة من السورة، في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[1].

وجاءت الفاصلة -هنا- منفردة على حرف الميم المردوفة بالياء؛ لتكون بمثابة: "لمسة التخفيف الندية، تمسح على التعب والنصب والمشقة، ودعوة التيسير الإلهي على النبي ﷺ والمؤمنين"[2]، وذكر العلّامة المخللاتي أن قاعدة فواصل سورة المزمل هي: (مال)[3] جاء على الميم فاصلة واحدة: (رحيم)، وعلى اللام فاصلة واحدة وهي: (المزمل)، أما باقي فواصل السورة، فقد جرت على حرف الألف: (تبتيلاً، قليلاً، ترتيلاً....).

وهذا الانفراد في الفاصلة الختامية مهد له بآية طويلة، مشحونة بمعاني الرضا والود والتطمين، والوعد بحسن العاقبة والأجر العظيم؛ ذلك لأن: "الآية الأخيرة التي تمثل الشطر الثاني، قد نزلت بعد عام من قيام الليل حتى ورمت أقدام الرسول ﷺ، وطائفة من الذين معه، والله يُعدّه ويعدّهم بهذا القيام لما يعدّهم له، فتزل التخفيف ومعه التطمين، بأنه اختيار الله لهم وفْق علمه وحكمته بأعبائهم وتكاليفهم التي قدرها عليهم. أما هذه الآية فذات نسق خاص،

---

(١) سورة المزمل: الآية ٢٠.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٧٤٨.

(٣) القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، للمخللاتي، ص٣٢٨.

فهي طويلة وموسيقاها متموجة وعريضة، وفيها هدوء واستقرار، وقافية تناسب هذا الاستقرار، وهي: الميم وقبلها مدّ الياء: (غفورٌ رحيم) "[١].

وهي "ناسخة للأمر الذي في أول السورة"[٢]، يقول القرطبي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾[٣]، هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٢ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٣﴾[٤]، وهي الناسخة لفرضية قيام الليل"[٥].

وهذه الآية من سورة المزمل شبيهة بالفاصلة المنفردة في ختام سورة (النساء) فكلاهما مهد الله لتغير الفاصلة فيهما بآية طويلة لكي يفصل بين الفاصلة المنفردة والفواصل التي قبلها، وجاءت الفواصل في كلا السورتين -كذلك- مطلقة على مد الألف، وخُتمتا بفاصلتين منفردتين مقيدتين على حرف الميم المردوفة بالياء، وفي كلا السورتين تتلاقى الآية الأخيرة مع الآية الأولى في دلالتها، ففي سورة النساء تأكيد وتفصيل، وفي سورة المزمل تخفيف وتيسير.

ومن سحر البيان في النظم القرآني ذلك الترابط الساري بين مطلع سورة الانفطار ومقطعها، وما للفاصلة المنفردة المدهشة العجيبة في إيقاعها، وفي تصويرها للمعنى، وفي دلالة تفردها في ختام السورة من جمال فريد، يشهد بإعجاز القرآن، فقد صُدِّرت السورة بتصوير مشهد الانقلاب الكوني المثير، في مقطع جرت فيه الفواصل على حرف الروي: (التاء)، في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾[٦]، وفي وسط السورة تبدأ الفواصل تتنوع

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤٧٤٣/٦.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٧٨/٢٩.

(٣) سورةالمزّمل: الآية ٢٠.

(٤) سورة المزّمل: الآيات من ٢ إلى ٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٥٢/١٩.

(٦) سورة الانفطار: الآيات من ١ إلى ٥.

تبعًا لتنوع أجواء الحديث؛ لتصل إلى الفاصلة الأخيرة المنفردة على حرف (الهاء): ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[1].

وقد اعتمدت فواصل السورة التي سبقت هذه الآية على فاصلة: (الميم) المردوفة بالياء في ثلاث آيات: (الكريم، نعيم، جحيم)، وعلى روي الكاف في آيتين: (فعدلك، ركبك)، وجرت بقية فواصل السورة على روي النون المردوف بالياء أو الواو "ففواصل الياء والنون أو الواو والنون تتماثل مع نفسها، وتتقارب مع فواصل الياء والميم، وهي جميعها تختلف عن فاصلتي الكاف، وإن انتظمت على حد سواء في الوقف على السكون، أما الفاصلة الأخيرة: (لله) فانفردت بحرف الروي: (الهاء) كما انفردت بنوع المد الذي سبق الهاء"[2].

وهذا الانفراد في الفاصلة الختامية جاء مناسبًا لتفرده -سبحانه وتعالى- يوم القيامة بالأمر وحده، لافتًا إلى تجاوب المطلع المعبِّر عن فناء كلِّ من على وجه الأرض، والمقطع المعبر عن انفراد الله بالبقاء.

"﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: يتفرد به - سبحانه وتعالى-، وهو المتفرد بالأمر في الدنيا والآخرة، ولكن في هذا اليوم -يوم الدين- تتجلى هذه الحقيقة التي قد يغفل عنها في الدنيا الغافلون المغرورون، فلا يعود بها خفاء، ولا تغيب عن مخدوع ولا مفتون، ويتلاقى هذا الهول الصامت الواجم الجليل في نهاية السورة، مع ذلك الهول المتحرك الهائج المائج في مطلعها، وينحصر الحس بين هولين: وكلاهما مذهل مهيب رعيب!"[3].

وينسج الحسناوي على المنوال نفسه، فقد كان حسه مرهفًا، وتسمعه لهمس هذه الفاصلة دقيقًا، وعينه بلمح إشارات السياق بصيرة عندما قال: "تلك الفاصلة التي تركز الانتباه بانفرادها **أولاً**: وتميزها **ثانيًا**، وانتهاء النص عندها **ثالثًا**، لنكتة بلاغية دينية، ترمي إلى رد الأمر كله إلى

---

(١) سورة الانفطار: الآية ١٩.

(٢) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ص٢٠٧، وانظر: دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم دراسة تحليلية، للدكتور محمد رمضان البع: مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٠هـ، ص٧.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٨٥٢/٦.

الله -تعالى-، الذي كانت الفاصلة متضمنة اسمه- عز وجل- في الوقت الذي كان النص بمجموعه ومضمونه يمهد لهذه الخاتمة الشامخة باستقرار القرار على السكون بعد ألف المد"[١].

ومن المشكاة ذاتها يقول الخضري: "فلم يقدم لفظ الجلالة للاختصاص على عادة النظم القرآني، كما في مثل قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢]، حتى لا يَفُوت هذا السحر في الأداء إيقاعًا؛ وليبقى الاسم العظيم ملء الأسماع والقلوب، وآخر ما يدوي في الآذان"[٣].

وفي سورة العلق نلحظ أن إيقاعها جاء متدرجًا وفقًا لتدرج معانيها، فبعد أن بدأت السورة بإيقاع قوي يتناسب مع إعلان بداية الرسالة المحمدية من خلال الخطاب الموجه للنبي ﷺ خاصة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[٤]، بدأ يهدأ الإيقاع قليلاً ليشير إلى أن تعليمه- صلى الله عليه وسلم- سهل ميسر على الله الذي ألهم البشر القراءة والكتابة والعلم، في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[٥].

ثم بدأ المعنى ينساب تدريجيًا في الآيات التي انتهت بحرف المد الألف: (ليطغى، صلى، الهدى...)، ليشتد مرة أخرى في سياق التهديد والوعيد للكافر: (الناصية، خاطئة، ناديه، الزبانية)؛ ليصل إلى قمة الإثارة في الفاصلة الختامية المنفردة، وهي تلفت بانفرادها إلى وجوب إفراد الله بالطاعة والعبودية، والسجود لوجهه الكريم: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾[٦]، وهي بمثابة النتيجة الحتمية التي مُهد لها في بداية السورة بالأمر بالقراءة والحث على العلم، والتفكر في خلق الله؛ ليصل إلى إفراد الخالق بالعبودية وطاعته والسجود له.

---

(١) الفاصلة في القرآن، للحسناوي، ص٢٠٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ٤٩.

(٣) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٦٩، ١١٧٠.

(٤) سورة العلق: الآية ١.

(٥) سورة العلق: الآيات من ٣ إلى ٥.

(٦) سورة العلق: الآية ١٩.

وهو ما استلهمه أحد الباحثين بقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ هذان الأمران اللذان ختمت بهما السورة هما حسن ختام بديع، عمل مع حسن الابتداء، على تأكيد الرابطة المعنوية بينهما، بما يحقق الوحدة العضوية لنص السورة الكريمة، فالابتداء كان أمرا بالقراءة باسم الرب الذي علّم وأنعم وكرّم، فهو المستحق وحده للسجود والتقرب، فالقراءة تبصر العبد بالخلق وتقربه من الخالق، كذلك السجود يكون من أكثر الأشكال الأخرى تعبيراً عن التقرب من الله، كما أن حسن الابتداء بالقراءة والعلم والانتهاء بالسجود والاقتراب يوحي بأن أداء التكاليف الشرعية في أسمى صورها(السجود) يستند إلى دلالة الابتداء، فهو السجود التحقيقي المستند إلى العلم واليقين[١].

ويحسن بي أن أشير هنا إلى أن هذه الآية التي خولف فيها إيقاع الفاصلة تتشارك مع الآية التي اختتمت بها سورة النجم، من حيث كون السورة مصدرة باتصال الرسول ﷺ بالمجال العلوي، ومختومة بآية احتوت على فعلي أمر: تأمر بإفراد الله بالعبادة والسجود له وحده، إلا أن الفارق بينهما أن سورة النجم جاء فيها الأمر بالسجود والعبادة بصيغة الجمع: (فاسجدوا لله واعبدوا)، فهو عام يشمل جميع المخاطبين، أما سورة العلق فجاء فيها الأمر مفرداً ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ موجه للنبي ﷺ خاصة، ولأمته عامة.

وفي سورة المسد التي بدأت بإعلان الحرب النفسية ضد أبي لهب وامرأته، تهاجم أبا لهب مهاجمة ساخرة عنيفة تحطم سيادته ومجده وقوته، وهو صاحب العز والمال والبنين، القوي المتسلط الذي يملأ قلوب أتباعه إعجاباً وإكباراً، تحطمه السورة وتمسخه، وتصور امرأته بأبشع صور العذاب –في الدنيا والآخرة– وهي صاحبة العزة التي لا تُمَس، والقوة التي لا تُقهر في مجتمعها، في إيقاع قوي عنيف اعتمد على حرف الروي: (الباء) وهو"صوت شديد مجهور"[٢]،

---

(١) انظر: سورة العلق: قراءة بلاغية، أ.م.د. أحمد فتحي رمضان، آداب الرافدين (العراق)، ع٦٨، ١٤٣٥هـ–٢٠١٣م، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٤٧.

في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾[١].

وهو إيقاع يتناسب مع هذه الحرب التي تحطمهم روحًا ومعنى، قبل أن تحطمهم مادة: وصورة، وهذا هو ديدن القرآن وتخطيطه في مواجهة أعدائه، يستخدم معهم السخرية سلاحًا، ويقصد بها هدفين: **أحدهما**: ضد العدو بمهاجمته وتحطيمه، **والآخر**: يخدم المسلمين فيقاومون به الحرب النفسية التي يشنّها الأعداء عليهم، وما السخرية إلا لونٌ من ألوان الحرب النفسية[٢].

فإذا ما وصلت السورة إلى الآية الأخيرة، وهي تسترسل بالسخرية من أم جميل زوجة أبي لهب وتصورها وهي مكبلة بالأغلال، غيَّر النظم الكريم روي الفاصلة، وجاءت الفاصلة الختامية على حرف الروي: (الدال) ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [٣].

وغرابة الفاصلة وانفرادها في ختام السورة جاء ليلفت إلى غرابة هذا الحبل، فهو حبل مميز مختلف عن الحبال الأخرى، قد فُتل"من أشياء شتى: من ليف وحديد ولحاء، وجعل في عنقها طوقا كالقلادة من ودع"[٤]، وهذا شأن القلائد التي توضع في أعناق البهائم، وفي هذا إظهار لحقارتها وخستها ما كان ليظهر لو لم يقل (مسد)[٥].

ولبعض الباحثين وجه في هذه الفاصلة المنفردة يقول فيه: جاءت الفاصلة الأخيرة: (مسد) بحرف الروي: (الدال) فهي فاصلة منفردة، ولا شك في أن غلبة فواصل: (الباء) أتاحت

---

(١) سورة المسد: الآيات من ١ إلى ٤.

(٢) انظر: التصوير الساخر في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٧.

(٣) سورة المسد: الآية ٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٦٨٣/٢٤.

(٥) انظر: التفسير البياني لسورة تبت يدا أبي لهب وتب، د.محمد رضا الحوري، جامعة القصيم(السعودية)، مجلة العلوم الشرعية، ع ٢، م.ج ٩، ٢٠١٦م، ص ٥٠٠، ٥٠١.

لفاصلة: (الدال) مزيداً من البروز، وفي ضوء ذلك فإن الفاصلة الأخيرة: (مسد) ركزت الانتباه بانفرادها وانتهاء السورة عندها فحققت بذلك نكتة بلاغية من خلال هذا الانفراد، والتغيير في إيقاع السورة الكريمة، يعمل على "إحداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجأة، وذلك بظهور شيء جديد يثير الاهتمام على نحو مؤكد، إذ يتولد في نفوسنا أثر الشيء الجديد، فهو تنويع ومراوحة تؤذن بإثارة اليقظة وتجديد الانتباه"[١]، عن طريق إيقاع السورة بمجموعها، ترمي إلى تركيز الانتباه للنهاية المفجعة لكل من أبي لهب فضلاً عن زوجة أم جميل[٢].

ومن عجيب النظم الحكيم ذلك الترابط الساري بين الفواصل في مطلع هذه السورة ومقطع السورة السابقة لها من ناحية، وبين الفاصلة في مقطع السورة ومطلع التي تليها من ناحية أخرى،فالسورة "السابقة لسورة اللهب: (سورة الفتح) انتهت فاصلتها الأخيرة بصوت الباء المطلقة: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾[٣]، والسورة اللاحقة لسورة اللهب: (سورة الإخلاص) ابتدأت وانتهت فواصلها بصوت الدال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤]، فكانت هذه السورة مرتبطة موسيقيًا مع ما قبلها وما بعدها"[٥]، في بناء متماسك، ولعل هذا ما سوف أبينه بصورة أوسع في الفصل التالي.

*****

(١) الفاصلة في القرآن، للحسناوي، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) انظر: في سورة اللهب: دراسة بلاغية، د. أحمد فتحي رمضان، أدب الرافدين (العراق)، ع٣١، ١٩٩٨، ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) سورة النصر: الآية ٣.

(٤) سورة الإخلاص: الآيات من ١إلى٣.

(٥) سورة اللهب: دراسة في إعجاز القرآن الصوتي، د. عزة عدنان أحمد عزت، آداب الرافدين(العراق)، ع٣٧، ٢٠٠٣م، ص٣٧٨.

الفصل الثاني

بِناء الفَاصِلَة المنفردة

في القرآن الكريم

المبحث الأول: **بناء الفاصلة المنفردة في الحرف الأخير.**

المبحث الثاني: **الكسر الإيقاعي في الفاصلة المنفردة.**

المبحث الثالث: **الفاصلة المنفردة والسياق.**

المبحث الأول

بـنـاء الفَاصِلَـة المنفردة

في الحرف الأخير

المبحثُ الأوَّلُ

بـنـاء الفَاصِلَـة المنفردة في الحرف الأخير

إن أول طريق نستطيع أن نقف من خلاله على بلاغة الكلام تذوق أصوات الحروف، ومعرفة طبيعتها النغمية التي تصور للذهن أدق المعاني من خلال إيقاعها على الأذن، فلكل حرف من حروف العربية مميزات خاصة به، وأنغام لا تكون لغيره، وهذا ما يميز اللغة العربية عن غيرها، وهي مهيَّأة تمامًا "لأن تكون لغة شاعرة، فهي لغة إنسانية ناطقة، يستخدم فيها جهاز النطق الحي أحسن استخدام يهدي إليه الافتتان في الإيقاع الموسيقي، وليست هناك أداة صوتية ناقصة تحس بها الأبجدية العربية" (١).

والتعرف إلى أصوات الحروف في النظم يُعد حجر الأساس في البناء النصي والنظام الذي تبنى عليه أنظمة اللغة الأخرى، لذلك يعد دراسة أصوات الحروف في اللغة مهمًّا جدًا؛ إذ يساعد كثيرًا في سبر أغوارها وفهمها فهمًا دقيقًا، ومعرفة مميزاتها وخصائصها، فقد عَدّ علماء اللغة قديمًا وحديثًا: "دراسة الأصوات أول خطوة في أية دراسة لغوية؛ لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة، وتُعْنَى بها الأصوات التي هي المادة الخام للكلام الإنساني"(٢).

وللبناء الصوتي في فواصل القرآن الكريم أهمية كبيرة، ومكانة مميزة؛ فهو أحد أركان الإعجاز فيه، "فالحرف الواحد في القرآن -كما يقول الرافعي- معجز في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها، ليمسك الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازًا أبديًا " (٣).

---

(١) اللغة الشاعرة، لعباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٠.

(٢) البحث اللغوي عند العرب، لندكتور أحمد مختار عمر، ص٩٣.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرفاعي، ص١٤٦.

ولهذا جاء الإعجاز الصوتي في فواصل القرآن الكريم من حيث المخارج والصفات، ترقيقًا[١] وتفخيمًا[٢] وهمسًا[٣] وجهرًا[٤]، وشدة[٥] ورخاوة، مما جعل للنظم الحكيم وقعًا خاصًا لا مثيل له في تصوير المعاني، ولفْت القارئ إلى دلالات وأغراض يومئ إليها النظم القرآني، لذلك فإن للقرآن لغة صوتية خاصة تترك أثراً عميقًا في قلب المتلقي وفكره، مما أدى إلى بلوغ "القرآن الكريم الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه، وذلك بعذوبة جرسه وجمال إيقاعه ونغْمه، ولذلك صلة بدلالته"[٦].

وبناء عليه آثرنا أن ندرس المستوى الصوتي لفواصل القرآن الكريم المنفردة بوصفها معجزة خارجة عن المألوف، فقد حرص البيان القرآني حرصًا شديداً على اختيار الكلمة المناسبة للفظها ومعناها معًا في موقعها المحدد، وأن إبدالها بأخرى يُخل بالنظم الذي بُني عليه القرآن الكريم[٧].

---

(١) الترقيق: التنحيف، وهو عبارة عن تحول يدخل على صوت الحرف عند النطق به فلا يمتلئ الفم بصداه. (انظر: غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، دار التقوى، ط٧، القاهرة، ص١٥٧).

(٢) التفخيم: التسمين، وهو عبارة عن سمن يدخل على صوت الحرف عند النطق به فيمتلئ الفم بصداه. (انظر: المرجع السابق، ص ١٥٧).

(٣) الهمس: يعني خفاء الصوت وضعفه، ومعنى الحرف المهموس أنه حرف جرى معه النفس عند النطق به، لضعفه وضعف الاعتماد عليه عند خروجه. (انظر: التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص٨٦).

(٤) الجهر: يعني الظهور والقوة، والحرف المجهور حرف قوي، منعَ النفسَ أن يجري معه عند النطق به لقوته وقوة الاعتماد عليه في موضع خروجه. (انظر: المرجع السابق، ص٨٦).

(٥) الشدة: معنى حرف شديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه، وقوي فيه حتى منع الصوت أن يجري معه عند التلفظ به. (انظر: المرجع السابق، ص٨٦).

(٦) الإيحاء الصوتي في التعبير القرآني، للدكتور قاصد ياسر الزيدي، ملتقى أهل التفسير، ١٤٢٧/٢/٥هـ، ٢٠٠٦/٣/٥م، vb.tfsir.net.

(٧) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي، ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، ط١، الأردن، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٨٠.

ومن هنا عمدت الدراسة في هذا المبحث إلى النظر في الأصوات التي وردت عليها الفواصل المنفردة، ووصْف هذه الأصوات بحسب مخارجها وصفاتها، ومقارنتها بما قبلها وما بعدها من الفواصل؛ ليكون تصور كل صوت منفرد عن الذي قبله وبعده جاهزاً في الذهن لحظة تحسُّس دلالته في الكلام، والتي يمكن أن تتفلت من بين يدي القارئ لو تواترت الفواصل على صوت واحد.

ولعلنا نبدأ بالحديث عن الفاصلة المنفردة في سورة الإسراء التي ارتكزت فواصلها على حرف متحرك مردوف بواو أو ياء، مشفوع بألف المد المنقلب عن التنوين: (وكيلاً، شكوراً، أليماً، لفيفاً،...)، "وصوت الألف عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل ولا موانع"[(١)]، فهو "صوتٌ ممتد إلى الأعلى ، إلا أن النظم الحكيم عدل عن الفاصلة المطلقة بالألف في آيات السورة جميعها إلى الفاصلة المقيدة في المطلع فحسب في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾[(٢)]، فقد جاءت الفاصلة منفردة مقيَّدة على حرف (الراء) "اللثوي المكرَّر المجهور"[(٣)].

والملاحظ أن مفارقة هذه الفاصلة وورودها غير موصولة بالألف، في حين أن بقية آيات السورة كلها موصولة بالألف أمر قَصد إليه النظم الحكيم قصداً، فقد كان من الممكن أن يحافظ على وحدة الفاصلة بإضافة ألف المد فتصبح: (البصيرا) إذ إن كلمة: (بصيراً) وردت فاصلة موصولة بالألف ثلاث مرات في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

(١) الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس، ص٢٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١.

(٣) علم الأصوات، للدكتور كمال بشر، دار غريب، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٣٤٦.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٧.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾[2].

والسؤال الذي يلح علينا هو: لِمَ لحقت الألف هذه الفواصل، وعدل عنها في الآية الأولى لولا أن هناك غرضًا أريد من وراء هذا العدول، فهو يوحي إلى دلالة، أو يرجِّح معنى دون آخر، فالضميران في (إن) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ "عائدان إلى النبي ﷺ – قاله بعض المفسرين – لكن جمهرة المفسرين على أنه عائد إلى الله –تعالى–، ولعل احتماله للمعنيين مقصود.

وأيًّا ما كان الأمر فموقع (إن) يؤدي إلى التوكيد والتعليل، كما يؤذن به فصل الجملة عما قبلها، وهي إما تقليل لإسناد فعل (نريه) إلى فاعله، وإما تعليل لتعلقه بمفعوله، فيفيد أن تلك الإراءة من باب الحكمة، وهي إعطاء ما ينبغي مَنْ ينبغي، فهو من إيتاء الحكمة من هو أهلها.

أما التعليل على اعتبار مرجع الضمير إلى النبي ﷺ فهو أوقع؛ إذ لا حاجة إلى التعليل بإسناد فعل الله –تعالى–؛ لأنه محقق معلوم، وإنما المحتاج للتعليل هو إعطاء تلك الإراءة العجيبة من شك المشركين في حصولها له ممن يحسبون أنه لا يطيقها مثله، على أن الجملة مشتملة على صيغة قصر بتعريف المسند باللام، وبضمير الفصل قصراً مؤكداً، وهو قصر موصوف على صفة قصراً إضافيًا للقلب، أي هو المدرك لما سمعه وأبصره، لا الكاذب ولا المتوهم كما زعم المشركون، وهذا القصر يؤيد عود الضمير إلى النبي ﷺ؛ لأنه المناسب للرد، ولا ينازع المشركون في أن الله سميع بصير، إلا على تأويل ذلك بأنه المسمع والمبصر لرسوله الذي كذبوه، فيؤول إلى تنـــزيه الرسول ﷺ عن الكذب والتوهم"[3].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٩٦.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢/١٥.

ومجيء الفاصلة المنفردة على صوت الراء مضافًا إليها صفة السمع (السميع البصير) ومجيئ فواصل الآيات الثلاث الأخر "مضافًا إليها صفة أخرى هي كونه تعالى خبيراً (خبيراً بصيراً)، إن هذا كله يؤكد أنه لما كان صاحب هذه الصفة في الآية الأولى هو النبي ﷺ، ولما كان المشركون يكذبونه فيما سمع ورأى من آيات ربه الكبرى جاء وصفه بالسمع والإبصار على جهة التعريف دون أن تتصل به ألف الإطلاق، هذا فضلاً عن أنه لما كانت الآية تتحدث عن أمر خارق للعادة، جاءت الفاصلة مخالفة إيقاعيًا لآيات السورة كلها، في إشارة إلى أنه ينبغي أن تُفهم الآية في سياقها الخاص بها، وهو كون الإسراء والمعراج معجزة لا تخضع لنواميس الكون"(١).

ولعلنا نورد بعض الأحاديث التي تؤكد أن للنبي ﷺ بصراً خارقًا للعادة، وتعزِّز هذا التأويل الذي يرجحه التقييد في الفاصلة، منها ما رواه مسلم(٢) وأبو داود(٣) والترمذي(٤) عن ثوبان(٥) رضي الله عنه أنه ﷺ قال: " **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**،..." (٦).

---

(١) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، د.محروس السيد، ص١٨٦، وانظر: فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، للدكتور السيد الخضر، ص١٨٣-١٨٤.

(٢) مسلم: هو الإمام الكبير، الحافظ، المجوّد، الحجة، الصادق، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، صاحب (الصحيح)، فلعله من موالي قشير، قيل: إنه ولد سنة أربع ومائتين، وأول سماعه في سنة ثماني عشرة من يحيى بن يحيى التميمي، وحج في سنة عشرين وسمع بمكة من القعنبي –فهو أكبر شيخ له– وسمع بالكوفة من أحمد بن يونس وجماعة، سمع في العراق، والحرمين، ومصر، روى الحديث عن مجموعة كبيرة من الرجال. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي،١٢/٥٥٧-٥٥٨).

(٣) أبو داود: سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني، شيخ السنة، مقدم الحفاظ، محدث البصرة، ولد سنة اثنتين ومائتين، ورحل، وجمع، وصنف، وبرع في هذا الشأن، سمع في مكة والعراق والشام ومصر كتابه السنن جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثماني مائة حديث. (انظر المرجع السابق، ١٣/٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٠).

(٤) الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الحافظ، العلم، الإمام، البارع، الضرير، ولد: في حدود عشر ومائتين، وارتحل فسمع بخرسان والعراق والحرمين، ولم يرحل إلى مصر والشام. (انظر: المرجع السابق، ١٣/٢٧١، ٢٧٠).

(٥) ثوبان: أبوعبدالله، ثوبان بن بجدد، من أهل السراة وقيل: إنه من حمير، اشتراه الرسول ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه في الحضر والسفر حتى توفي الرسول ﷺ حفظ عن الرسول ﷺ وأدى ما وعى، وروى عنه جماعة من التابعين منهم: جبير بن نفير و أبو إدريس الخولاني وأبوسلام الحبشي وأبو أسماء الرحبي وغيرهم. (انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت،١٤١٢هـ-١٩٩٢، ١/٢١٨).

(٦) صحيح مسلم، ٤/٢٢١٥، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث٢٨٨٩. وانظر: سنن أبي داود، لأبي داود الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٤/٩٧، باب=

ومنها ما رواه أحمد[١] عن جابر بن عبدالله[٢]، قال: فقدتُ جملي ليلة فمررت على رسول الله ﷺ وهو يشد لعائشة، قال: فقال لي: "مالك يا جابر؟" قال: قلت: فقدتُ جملي، أو ذهب جملي في ليلة ظلماء، قال: فقال لي: "هذا جملك اذهب فجده"، قال: فذهبت نحواً مما قال لي فلم أجده، قال: فرجعت إليه، فقلت: يا نبي الله، ما وجدته، قال: فقال لي: "هذا جملك اذهب فجده"، فذهبت نحواً مما قال لي فلم أجده، قال: فرجعت إليه، فقلت: بأبي وأمي يا نبي الله، والله ما وجدته، قال: فقال لي: "على رسلك" حتى إذا فرغ أخذ بيدي فانطلق بي حتى أتينا الجمل، فدفعه إلي، قال: "هذا جملك..."[٣].

فلما كانت حادثة الإسراء والمعراج أمراً خارقاً للعادة، ناسبها مجيء الفاصلة غريبة منفردة عن فواصل السورة التي لحقتها ألف الإطلاق.

ولو تأملنا قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾[٤] لتبين لنا خروج فاصلة الآية الثامنة من سورة الذاريات عن نسق منظومة

=ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث ٤٢٥٢، وسنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: ط٢، مصر، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ٤٧٢/٤، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته، رقم الحديث ٢١٧٦.

(١) أحمد بن حنبل: هو الإمام حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن إدريس بن عبدالله الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، مات أبوه شابًا له نحو ثلاثين سنة، رُبي يتيمًا، ولد سنة أربع وستين ومائة، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، حزرت كتبه يوم أن مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً. (انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٧٧/١١، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٨).

(٢) جابر بن عبدالله: بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري السلمي- يكنى أبا عبدالله وأبا عبدالرحمن، أحد المكثرين عن النبي – صلى الله عليه وسلم- وروى عنه جماعة من الصحابة، وله ولأبيه صحبة، غزا مع الرسول تسع عشرة غزوة، كان آخر أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم- موتًا بالمدينة، قيل: مات جابر سنة ثمان وسبعين، وقيل: أربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين، ويقال: إنه عاش أربعا وتسعين سنة. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ، ٥٤٦/١، ٥٤٧.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف د.عبدالله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، ١٤٨/٢٣، الحديث رقم ١٤٨٦٤.

(٤) سورة الذاريات: الآيات من٧ إلى ٩.

صوت (الكاف) الخارج من أقصى الحنك، وهو حرف شديد مهموس يتكون باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة فلا يتحرك الوتران الصوتيان، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباساً كاملاً لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فلا يسمح بمرور الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالاً مفاجئًا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثًا صوتًا انفجاريًا[١] هو ما نسميه بالكاف[٢].

وفي وسط هذه المنظومة الصوتية والروي المتحد تأتي هذه الفاصلة المنفردة ": ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾على صوت (الفاء) "الشفوي الأسناني المهموس الاحتكاكي[٣]، المتكون باندفاع الهواء ماراً بالحنجرة دون أن يتذبذب معه الوتران الصوتيان، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، وهو بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويضيق المجرى عند مخرج الصوت، فنسمع نوعًا من الحفيف الذي يميز الفاء بالرخاوة"[٤].

لقد صورت هذه الفريدة المخالفة لجاراتها التي قبلها والتي بعدها اختلاف أقوال الكافرين تجاه محمد ﷺ، والقرآن الكريم، فصوت (الفاء) يشعرنا بالهواء النافث والمتدفق من بين الشفتين والأسنان عند النطق به، فهو يوحي بتباين أقوالهم في "محمد ﷺ والقرآن، فمن مصدِّق ومكذِّب، وقيل: نزلت في المقتسمين، وقيل: اختلافهم في قولهم ساحر، بل شاعر، بل افتراه، بل هو مجنون، بل هو كاهن، بل هو من أساطير الأولين، وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر، ومنهم من شك فيه، وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام، يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره"[٥].

---

(١) الصوت الانفجاري: يتكون عندما يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسًا تامًا في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثًا صوتا انفجاريًا (انظر: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٢٨).

(٢) الدراسات الصوتية، إبراهيم أنيس،ص ٧١.

(٣) الأصوات الاحتكاكية: تتكون بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع ويمر من خلال منفذ ضيق نسبيًا يحدث في خروجه احتكاكًا مسموعًا (انظر: علم الأصوات، للدكتور كمال بشر، ص٢٩٧).

(٤) علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، للدكتور محمود السعران، ص١٧٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٣/١٧.

وصاحَب هذا الانفراد في الفاصلة "ورود عدة مؤكدات في الآيات تتمثل في القسم و(إن) و(اللام) المؤكدة الداخلة في خبر (إن)، هذا فضلاً عن وقوعها في جواب القسم، فقد اختار الله القسم ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾؛ ليؤكد معنى الاختلاف"(١)؛ إذ "الحبك جمع حبيكة، أي: طرائق النجوم"(٢)، فكما أن طرائق النجوم مختلفة متباينة، كذلك أقوال الكافرين مختلفة متباينة.

وفي سورة الواقعة التي تنوعت فواصلها بتنوع أحداثها، فقد بدأت بسرد أحداث يوم القيامة المروِّعة، وتفصيل مصائر الناس "السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة"، فتصف ما يلقون من نعيم وعذاب وصفًا مفصلاً، وفي أثناء عرضها لأدق تفاصيل نعيم أهل الجنة وكأنها معروضة للعيان، تطالعنا الفاصلة المنفردة مسبوقة بمقطع جرت فواصله على صوت (الهاء) وهو صوت حلقي "رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطًا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار"(٣)، ومتبوعة بمقطع آياته على صوت (الألف) في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾(٤).

وبين المقطعين جاءت فاصلة: (الهمزة) منفردة، (فالهمزة) صوت حلقي "يخرج من المزمار نفسه؛ إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقًا تامًا فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما يُعبر عنه بالهمزة، فالهمزة إذًا صوت شديد، لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقًا تامًا، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يُسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهواء"(٥).

---

(١) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، للدكتور محروس السيد، ص١٩٥-١٩٦.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٤٠٨/١٠.

(٣) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٧٦.

(٤) سورة الواقعة: الآيات من ٣٢ إلى ٣٧.

(٥) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٧٧.

فالهمزة والهاء صوتان حلقيان "ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين"(١)، التي منها الألف، فالأصوات الثلاثة -إذن-متقاربة، إلا أن انفراد هذه الفاصلة على الهمزة و ما يصاحبها من انحباس الصوت عند النطق بها، يوجه اهتمام القارئ إلى الفاصلة الموقوف عليها. وقد قصد القرآن بهذا الانفراد الإشارة إلى تفرد نساء الجنة بالإنشاء "فقد خلقهن وأوجدهن دون أن تقع عليهن الولادة"(٢)، على خلاف المعتاد في أطوار خلق الإنسان في الحياة الدنيا، فلما كان الإنشاء غريباً جاء بفاصلة غريبة تتجاوب معه وتحاكيه.

ومما يؤكد أن المقصود بنساء أهل الجنة "ذكر الفرش وهي مما يعد للاتكاء والاضطجاع وقت الراحة في المنزل، يخطر بالبال بادئ ذي بدء مصاحبة الحور العين معهم في تلك الفرش فيتشوق إلى وصفهن فكانت جملة: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ بياناً أن الخاطر بمنزلة السؤال عن صفات الرفيقات، فضمير المؤنث من (أنشأناهن) عائد إلى غير مذكور في الكلام، ولكنه ملحوظ في الإفهام... فيكون لفظ الفرش في الآية مستعملاً في معنييه، ويكون (مرفوعة) مستعملاً في حقيقته ومجازه أي الرفع الحسي والمعنوي"(٣).

وقيل: المعنى بالإنشاء "عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقًا جديدًا، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا، وقيل: إنهن فُضِّلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا، وقيل: هن

---

(١) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس ، ص٧٦.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ٤٦١/٤، وانظر: تفسير القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث الإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار مكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ، ص٦٢٢، وتفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، دار الحديث، ط١، القاهرة، ٧١٥/١، وروح البيان، لإسماعيل الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت، ٣٢٥/٩، والتفسير القرآني للقرآن، لعبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ٧١٤/١٤، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى للزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق، ١٤١٨هـ، ٢٥٣/٢٧.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣٠٠/٢٧-٣٠١، وانظر: الكشاف، للزمخشري، ٤٦١/٤، وروح البيان، للخلوتي، ٣٢٥/٩.

الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة"[١].

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الإنشاء يقع على كلا الصنفين، فلا يختص به صنف دون آخر، "فالحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف، بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة، فلا يتوهم انفراد الحور العين بما ذكر من الصفات، بل هن أحق به منهن، فالإنشاء واقع على الصنفين"[٢].

إن كسر المألوف من نواميس الكون في هذه الآية ناسبه كسر الانسجام الصوتي وانفراد الفاصل على الهمزة.

وفي قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾[٣]، جاءت الفاصلة مطلقة موصولة بالألف (أبكارًا) بين فواصل مقيدة، فقد سبقت بصوت (الراء) في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾[٤]، وهو صوت ذلقي[٥]، لثوي مجهور، متوسط، تكراري[٦]، والتكرير صفة تحدث عنها علماء العربية القدماء، وخصوا بها صوت

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ، ٢٣٧/٤، وانظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس الصوفي، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ، ٢٩٣/٧.

(٢) تفسير القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية، ٥٢١/١، وانظر: التحرير والتنوير ٣٠١/٢٧، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٢٤٤/٥.

(٣) سورة التحريم: الآية ٥.

(٤) سورة التحريم: الآية ٤.

(٥) ذلقي: لخفته وسرعة النطق به، وخروجه من ذلق اللسان أي طرفه. (انظر: غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ص١٤٣).

(٦) صوت الراء عند سيبويه ومن تابعه صوت شديد مكرر. ينظر: الكتاب، لسيبويه، ٤٣٥/٤، والمقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩١/١، وعند ابن جني صوت مجهور مكرر. انظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٢٠٣/١، أما=

الراء، وتابعهم في ذلك علماء التجويد[١]، وعلماء اللغة المحدثون[٢]، فصوت الراء عندهم يتكون بالتقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا، وفي النطق يتكرر كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرْقًا ليناً مرتين أو ثلاثة لتكوين الراء العربية[٣].

واتبعت الفاصلة المنفردة بصوت (النون) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[٤]، وهو صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، فهذه الفاصلة المطلقة المنفردة على صوت (الألف) وقعت بين صوتين مختلفين، لكنهما متقاربان، فكلاهما يشترك في نسبة الوضوح الصوتي فجميعها ليست شديدة لا يسمع معها انفجار ولا رخاوة، فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة.

فالمتأمل في فاصلة: (الراء) التي سبقت الفاصلة المنفردة، يدرك أن النظم الحكيم قد عدل عن صيغة الجمع إلى صيغة المفرد (ظهير) هنا بلفظ الواحد في معنى الجمع، ولو خرج بلفظ الجمع لقيل: (والملائكة بعد ذلك ظهراء)[٥]وإن كان بعض العلماء[٦] يرى أن صيغة (فعيل) مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع.

=المحدثون فيعدّونه من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة. انظر: علم اللغة، د.محمود السعران، ص٩٢، وعلم الأصوات، لكمال بشر، ص٣٤٥، ٣٤٦.

(١) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحان، دار عمان، ط٢، الأردن، عمان: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٩٥-١٩٦، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ٢٠٤/١، وأسباب حدوث الحرف، لابن سيناء، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص٨٢.

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٥٧-٥٨، وعلم اللغة، د.محمود السعران، ص١٧١، ومناهج البحث في اللغة، لتمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٠٤.

(٣) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٥٧-٥٨.

(٤) سورة التحريم: الآية ٦.

(٥) انظر: دلالات العدول في أصل الصيغ الصرفية في الفواصل القرآنية، د. عصام عبد المنصف أبو زيد، ص١١٠.

(٦) انظر: معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ٢٥٨/١، والهدالآية إلى بلوغ النهالآية في علم معاني القرآن وتفسير أحكامه وجمل من فنون علومه، للقيرواني، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٧٥٧٢/١٢، ومعالم التنزيل في=

ومن ثم يصلح الإخبار بها عن المفرد والجمع إذا أريد بها الجنس كالصديق والخليط، والعرب تقول: هم في صديق، ولعل الإفراد هنا والوقوف على صوت الراء التكراري قد يساعد في تصوير كثرة الملائكة وتعاونهم وكأنهم يد واحدة على من يعادي الرسول ﷺ أو يريد مساءته[١] مما يحدث أثرًا في السامع يتضح ذلك من خلال الضربات المتلاحقة التي تصحب حرف الراء الذي خلق إيقاعًا صوتيًا منتظمًا، وواضحًا في نفوس سامعيه.

وكما عدل النظم الحكيم عن صيغة الجمع وجاءت هذه الفاصلة مقيدة، نجد أنه في الفاصلة التي تليها جاءت بصيغة الجمع: (أبكارًا) وقد لحقتها ألف الإطلاق مع أن أكثر "زوجات النبي ﷺ ثيبات وعائشة هي التي تزوجها بكرًا"[٢] إلا أنه لما كان السياق سياق موعظة وتوبيخ لزوجات الرسول ﷺ جاء بصيغة الجمع عندما وصف الزوجات الثيبات وإن كان في الواقع لم يتزوج إلا عائشة بكرًا[٣]؛ ليخبرهن أن الله سيبدله بهن زوجات خيرًا منهن.

وقال: (أبكارًا) بالألف، ولم يقل (أبكار)؛ لأن صوت الألف عبارة عن حركة الفتحة المشبَعة التي تكمن قيمتها التعبيرية في استطالته وامتداده إلى أعلى، فيتطاول النفَس عند ترديده، وهذا التطاول يُسْهم في تجسيد حالة العلو والارتفاع والإطلاق، فيحكي هذا الصوت المقام المرفوع، والمكانة العالية التي حظي بها الرسول ﷺ، فهو يَنكح ما طاب له من النساء دون شرط أو قيد.

=تفسير القرآن، للبغوي، تحقيق: عبدالرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٢٢/٥، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٩٢/١٨.

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٥٦٦/٤.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٦٢/٢٨.

(٣) فقد جاء في صحيح البخاري أن ابن أبي مُليكة قال: قال ابن عباس لعائشة: (لم ينكح النبي ﷺ بكرًا غيرك)، وحدثنا إسماعيل بن عبدالله قال: حدثني أخي عن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديًا فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرًا لم يؤكل منها، في أيها كنت تُرتع بعيرك؟ قال: "في الذي لم يرتع منها" تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها. (انظر: صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط٢، ١٤٢٢هـ، ٥/٧، باب نكاح الأبكار، رقم الحديث ٥٠٧٧).

وهذا العدول في الفواصل عما جرت عليه العادة وألِفته الأذن هو من ديْدن النظم الحكيم، ومن مظاهر إعجازه-أيضًا- أنه يوقظ المشاعر والمدارك بهذه الطرقات الخفيفة التي من شأنها أن تبعد الفتور عن النفس، فإذا جاءت الفاصلة على غير ما يتوقعه السامع فإنها تُحدث تغييراً في مجرى النغم، فيتنبه المتلقي ويستيقظ من إغفاءاته.

وفي سورة البروج تطالعنا الفاصلة المنفردة على صوت (الجيم) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾ [(١)]، لقد خرج صوت (الجيم) على نسق منظومة صوت (الدال)، والجيم صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة، فالهواء معه يبدأ انفجاريًا ثم يصبح احتكاكيًا، فهو ذو طبيعة مركبة أو مزدوجة، حيث يتكون باندفاع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين إلى المخرج وهو عند التقاء وسَط اللسان بوسط الحنك الأعلى، التقاءً محكمًا، بحيث ينحبس هناك مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئًا تسمع صوتًا يكاد يكون انفجاريًا هو صوت (الجيم)[(٢)].

أما صوت (الدال) الذي شكل منظومة صوتية في الآيات الثمانية التي تلت هذه الفاصلة فهو صوت شديد مجهور، يتكون باندفاع الهواء مارًا بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثم

---

(١) سورة البروج: الآيات من١إلى ٩.

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه،٤/٤٣٣-٤٣٤، والعين، للفراهيدي، ٥٨/١، والمقتضب، للمبرد ١٩٢/١، والأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٧٠، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، للدكتور رمضان عبدالتواب، ص٥١، ومناهج البحث في اللغة، لتمام حسان، ص١٠٤، والتحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، ط١، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م، ص١٤٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص١٧٢-١٧٣.

يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك فترة قصيرة جداً لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا يسمع صوت انفجاري نسميه بـــ: (الدال)[١].

"واستئناساً بما تقدم فإن صوت الجيم (الفاصلة الأولى) ينسجم مع صوت الدال (المنظومة الصوتية) من حيث المخرج والملامح الصوتية، فالجيم والدال صوتان انفجاريان مجهوران، وهما من أصوات القلقلة[٢]"[٣].

إلا أن انفراد الفاصلة في مطلع السورة التي صُدرت بالقسم، جاء ليشدَّ انتباه المتلقي ويشحذ طاقات الوعي لديه إلى ما يقع بعد هذه الفاصلة، فقد جاء في ظلال القرآن أن استفتاح السورة بهذا القسم أريد به إلقاء ظلال الاهتمام والاحتفال والاحتشاد بضخامة على الجو الذي يعرض فيه بعد ذلك حادث الأخدود، كما توحي بالمجال الواسع الشامل الذي يوضع فيه هذا الحادث وتوزن فيه حقيقته ويصفى فيه حسابه، وهو أكبر من مجال الأرض وأبعد من مدى الحياة الدنيا وأجلها المحدود[٤].

بالإضافة إلى أن هذه الفريدة لها وقعها المثير في توجيه الفكر والقلب إلى ما تلوح به الفاصلة، فانفرادها يشير إلى انفراد تلك البروج بالضخامة، فهي ليست كغيرها من المخلوقات "فالإعجاز القرآني في الفلك أكبر من الإعجاز القرآني في الطب والإنسان"[٥].

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه، ٤٣٣/٤، والأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٥١. والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: للدكتور رمضان عبدالتواب، ص٤٦، وعلم اللغة، للدكتور محمود السعران، ص١٥٥، والتحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني، ص١٤٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، ص١٧٩.

(٢) القلقلة: اضطراب الصوت عند النطق بالحرف، حتى يُسمع له نبرة قوية (انظر: غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ص١٤٥).

(٣) الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، للدكتور عبدالهادي عتيق، ص١٠.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٨٧٣/٦.

(٥) التفسير المنير، للزحيلي ٩٩/٢٧.

وفي سورة الضحى اعتمدت آياتها صوت (الألف) فاصلة لها من الآية الأولى إلى الثامنة، قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨﴾ [(١)]؛ لأن المقام مقام تطمين لرسول الله ﷺ بعد انقطاع الوحي، وإخباره بعدم التوديع والقِلى، لذلك لم يكن هناك صوت أنسب من صوت المد: (الألف)؛ ليكون فاصلة، وقد وقع عليه الاختيار دون غيره من أصوات المد؛ لأنه يوحي بالرقة والعذوبة واللين، فقد تناسب مع المفردات الرقيقة المختارة: (الضحى، سجى،.. إلخ)، وهو روي رخي هادئ، فالألف هو الصوت الذي يمثل الوضوح السمعي الأعلى في أصوات العربية لامتداده[(٢)]، وهو السر في اختيار (الضحى) قسمًا، "فدلالة الوضوح هي الملحوظة في كل الاستعمالات الحية للمادة: (ضحى) فالضاحية السماء، وقيل لكل ما ظهر وبدا ضاحية"[(٣)].

وفي قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ حيث حذف الضمير العائد على الرسول ﷺ في: (قلى)؛ إذ الأصل: (قلاك)، ذهبت بنت الشاطئ مذهب الزمخشري والطبري[(٤)] وأبي حيان[(٥)]، من أن الحذف للاختصار اكتفاءً بفهم السامع للمعنى؛ فعُرِف أن المخاطب به النبي ﷺ[(٦)]،

---

(١) سورة الضحى: الآيات من ١إلى ٨.

(٢) علم الأصوات العام، لبسام بركة، مركز الإنماء القومي، لبنان، بيروت، ص١٤٠.

(٣) التفسير البياني، لعائشة عبدالرحمن، ١/٣٠.

(٤) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمال طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، وعرض عليه القضاء والمظالم فامتنع وأبى، من مؤلفاته: أخبار الرسل والملوك وجامع البيان في تفسير القرآن (انظر: الأعلام، للزركلي،٦/٦٩).

(٥) أبوحيان: محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي(٦٥٤-٧٤٥هـ)، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، من كتبه: البحر المحيط والنهر ومجاني العصر (انظر: الأعلام، للزركلي، ٧/١٥٢).

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٤/٧٦٦، وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ٢٤/٤٨٥، والبحر المحيط، لأبي حيان، ١٠/٤٩٦.

وهناك سببٌ ألطف وأدق، وهو "تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى ﷺ في مقام الإيناس: (ما قلاك)، لما في (القلي) من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما (التوديع) فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بالفرق (على كرهٍ) مع رجاء العودة"(١).

وكان هذا الملحظ السبب في رفض بنت الشاطئ تعليل الحذف برعاية الفاصلة فقط؛ إذ ليس من المقبول عندها أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل؛ لأن البيان القرآني لو كان مما يتعلق بمثل هذا لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى(٢).

ثم انتقلت الفاصلة من صوت (الألف) الممتد إلى صوت (الراء) – ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾(٣) – المكرر الذي يشير بصوته إلى الأمر مع الإلزام والتأكيد، خصوصًا وأن صوت (الراء) جاء بعد صوت (الهاء) الحلقي ثاني أبعد مخرج صوتي في أصوات العربية(٤)، مما يعني امتدادًا في النفس لمسافة طويلة نسبيًا، إلى أن يقطع تمامًا عند النطق بـ (الراء) نتيجة انطباق اللسان على اللثة(٥)، ثم عدل عن صوت الراء إلى صوت الثاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾(٦)، علمًا أنه "ليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق"(٧).

---

(١) التفسير البياني، لعائشة عبدالرحمن، ١/٣٥.

(٢) انظر: السابق نفسه.

(٣) سورة الضحى: الآيتان ٩- ١٠.

(٤) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد،ص١٤٨.

(٥) علم الأصوات العام، لبسام بركه، ص١٢٨.

(٦) سورة الضحى: الآية١١.

(٧) الإعجاز البياني ومسائل ابن أبي الأزرق، لعائشة عبدالرحمن، ص٢٦٩.

وقد يسأل سائل: لماذا انفردت هذه الفاصلة عما قبلها، وتغير فيها حرف الروي: من الراء إلى الثاء، مع أنه من الممكن أن يقال: (**وأما بنعمة ربك**) فخبر؟ لتتواطأ الفواصل على روي واحد، وتتحقق المشاكلة اللفظية.

ولعل القرآن الكريم آثر هذه المخالفة وقصد إليها قصداً لأسباب قد تتعلق بدواعي النظم وأغراضه:

أولها: لو استبدلنا (خبِّر) مكان: (حدِّث) لكانت موافقة للفاصلة قبلها: (**فلا تنهر، فلا تقهر**)، بالحرف فقط، لا بالصفة الصوتية؛ لأن: (فخبِّر) – ساكنة الراء لغير الوقف مكسور ما قبلها –، ستكون مرققة؛ لأن الكسرة لازمة غير عارضة، متصلة بالراء في كلمتها، وليس بعد الراء حرف استعلاء[١]، وهذه شروط ترقيق الراء الساكنة لغير الوقف بعد الكسر[٢] في حين أن الراء في: (تنهر، تقهر) مفخمة لوقوعها بعد الفتحة، وهذا شرطها[٣]، فصوت الثاء من حروف التفشي[٤]، وهو صوت ما بين الأسنان، احتكاكي مهموس[٥]، لا يتحرك معه الوتران الصوتيان[٦].

وثانيها: ما أشار إليه الرازي: "واختار قوله: (فحدِّث) على قوله: (فخبِّر) ليكون ذلك حديثًا عنده لا ينساه، ويعيده مرة أخرى"[٧]، ولعل هذا راجع إلى مادة الحديث، وما تشيعه

---

(١) الاستعلاء: سميت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك (انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ص٩٠).

(٢) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د.غانم قدوري حمد، ص٤٨٢.

(٣) السابق نفسه، ص٤٨٣.

(٤) التفشي: كثرة خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها، حتى يتصل الحرف بمخرج غيره. (انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ص٩٧).

(٥) انظر: علم الأصوات، للدكتور كمال بشر، ص٢٩٨.

(٦) انظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٥٠.

(٧) التفسير الكبير، للرازي، ٢٠١/٣١.

من دلالات خاصة في السياق، أشار إليه ابن فارس[١] في معجمه بقوله: "والرجل الحدث: الطريّ السن، والحديث من هذا؛ لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء"[٢]، ففي الحديث إيحاء بتتابعه وتكراره؛ لأنه يحدث عن إقبال النفس، ورغبة في الإفضاء بما تكنه، وهذا يتناسب مع جلال التبليغ بالرسالة، ورغبة الرسول ﷺ الشديدة في إيصال كل ما علمه عن ربه، إلى من أرسل إليهم، ومن ثم كانت عناية القرآن بإظهار هذا المعنى فوق عنايته بتجانس الفواصل[٣].

ثالثها: إن تأخير التحدث بالنعمة ليقع في ختام السورة، وآخر ما يقرُّ في الأسماع مقصود إليه، وهو لذلك جرى على خلاف الأصل في تقديم الأهم؛ لأن حق الله مقدم على حقوق العباد، حتى ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا الترتيب جاء رعيًا للفاصلة[٤]، بناء على أن الترتيب لم يجئ على نسق الألف في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ فكان حق الترتيب أن يُقدم النهي عن قهر اليتيم، في مقابل إيواء الله لنبيه يتيمًا، ويُثنّي بالتحدث بنعمة الله في مقابل هداية الله له، ويؤخّر النهي عن نهر السائل، في مقابل إغناء الله له من العيْلة، فلو قُدمت الآية الأخيرة، لذهب التلاؤم بين الفاصلتين: (تَقهر، وتَنهر)"[٥].

وهو ما جعل الشهاب الخفاجي يرد على مثل هذا القول: "ولم يَرْع الترتيب، لتقديم حقوق العباد على حقه –تعالى، فإنه غني عن العالمين، لا لرعاية الفواصل، فإنه يحدث بالعكس"[٦].

---

(١) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين الرازي (٣٢٩ –٣٩٥هـ)، من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب بن عباد وغيرهما من أعيان البيان، من تصانيفه: مقاييس اللغة والمجمل والحماسة المحدثة (انظر: الأعلام، للزركلي، ١/١٩٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢/٣٦.

(٣) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٧١.

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٥/٣٨٤.

(٥) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٧٢.

(٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت، ٨/٣٧٢.

أن تأخير التحدث بالنعمة الذي وقع في ختام السورة مقصود إليه قصدًا، ليكون آخر ما يقرع الأسماع، "فيثير الاهتمام ويلفت الانتباه إلى المقصد الأسمى من السورة، وهو حث الرسول ﷺ على الانصراف والإقبال بكليته على تبليغ دعوة ربه، وأداء رسالته على وجهها الأكمل، وتلك هي نعمة الله الكبرى عليه"(١).

وهذا ما ذكرته بنت الشاطئ عن التحدث بقولها: "وإنما التحدث هنا هو صريح ما تعلق به، مما يتحصل بمهمة الرسول ﷺ التي اصطُفي لها، وهو أن يبلِّغ رسالة ربه، ومن هنا تؤثر أن تكون النعمة هنا – مهما يكن من دلالتها المعجمية اللغوية – هي الرسالة، أكبر النعم التي يؤثر بها نبي مرسل"(٢).

لقد تجاوب انفراد الفاصلة في الآية الأخيرة من سورة الضحى مع إفراد الله -تعالى- بالحديث عن نعمته.

ولا يخفى على المتأمل لسورة الماعون: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾(٣) أن صوت النون هنا قد شكل منظومة صوتية في فواصل آياتها، وأن الميم في فاصلة الآية الثانية قد خرج عن المنظومة، ولا يعني خروج صوت الميم عن منظومة النون انقطاعًا صوتيًا؛ لأن بين صوتي النون والميم علائق صوتية مستمدة من آلية النطق والملامح، فمن المعلوم أن صوت النون يخرج "من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا"(٤).

وظاهر أن صوت النون مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركًا الوترين الصوتيين، ثم أقصى الحنك الأعلى، فيسد بهبوطه فتحة الفم، ويتسرب

(١) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ١١١/٢.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبدالرحمن، ٥٤/١.

(٣) سورة الماعون: الآيات من ١ إلى ٧.

(٤) الكتاب، لسيبويه، ٤٣٣/٤.

الهواء من التجويف الأنفي محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع، وهذا الكلام ينطبق على حرف الميم كذلك، فهما صوتان متقاربان إلا أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم معها هما الشفتان(١).

ولكن انفراد صوت الميم وما يصاحبها من انطباق الشفتين عند النطق بها ساعد على رسم صورة عميقة التأثير حين يتراءى للخيال موقف ذلك اليتيم الذي فقد أباه، فانفرد عمن يعوله، وكما نرى أن هذه الفاصلة المنفردة وقعت في جواب ذلك التساؤل المثير الذي استُهلت به السورة، فالأصل أن يكون السؤال من سائل يطلب الفهم، ويستفسر عما يجهل، أما حين يكون المستفهِم على علم بما يستفهم عنه، فإن الاستفهام يخرج بذلك عن أصل معناه في الوضع اللغوي إلى المجاز البلاغي.

ولعل السر في خروج الاستفهام عن معناه الأصلي أن الاستفهام فيما يبدو للناس واضحًا غير خفي، ويحسبونه معلومًا غير مجهول؛ إذ ليس التكذيب بالدين مظنة خفاء، والناس يحسبونه أنه يكفي المرء تصديق بالدين لأن ينطق بالشهادتين ويؤدي العبادات المفروضة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

ومن ثَمَّ يأتي الاستفهام عما يحسه الناس مستغنيًا عن كل بيان، فيثير أقصى اليقظة والانتباه، ويرهن الدهشة والترقب انتظارًا لجواب غير متوقع، وتطلعًا إلى معرفة ماذا يكون التكذيب بالدين غير الذي يعلمون منه بالضرورة(٢)؟

---

(١) انظر: الكتاب، لسيبويه ٤/٤٣٣-٤٣٤، وجمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، ١/٤٥-٤٦، والأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس، ص٤٨-٥٨، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، لندكتور رمضان عبدالتواب، ص٤٩، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية، للدكتور عبدالعزيز الصيغ، دار الفكر، ط١، دمشق، سورية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ص٩٩-١٠٠.

(٢) انظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبدالرحمن، ١/١٨.

لتأتي أول إجابة بفاصلة منفردة تقف عند صرخة مدوية، وجلجلة متأججة ليستيقظ المتلقي على حقيقة طالما جهلها، تقارن بين التكذيب بيوم القيامة، وبين من يدع اليتيم في معاملته بخشونة، وصده بجفاف وغلظة.

وتتجلى في سورة القارعة فاصلتان منفردتان هما فاصلتا: (الثاء، والشين)، قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾[1].

حيث توزعت فواصلها على ثلاثة أصوات، هي الهاء في الآيات الثلاث الأولى، وفي الآية السادسة إلى نهاية السورة وصوت الثاء في الآية الرابعة، وصوت الشين في الآية الخامسة.

ففي الآيات الثلاث الأولى تكرر لفظ (القارعة)؛ "ليتأكد شدة هولها ومزيد فظاعتها حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تنالها دراية أحد منهم"[2].

"والقارعة تقرع القلوب بالفزع"[3]، والقرع من أسماء يوم القيامة، ويعني القرع: الضرب بشدة على جسم صلب، فهذا المعنى يتفق مع الملامح الصوتية للهاء في الفواصل الثلاث ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾.

وقد يقال: إن صوت الهاء مهموس، والهمس يتنافى مع هذه المعاني الشديدة، ولكن إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية) وضح ذلك بقوله: "والهاء عادة صوت مهموس يُجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة، وفي هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان، كما يسمع لهذه الهاء المجهورة نوع من الحفيف لولاه لكانت هذه الهاء صوتًا لينًا عاديًّا، وعند النطق بالهاء

(١) سورة القارعة: الآيات من ١ إلى ١١.

(٢) فتح القدير، للشوكاني، ٥/٥٩٤.

(٣) السابق نفسه، ٥/٥٩٣.

المجهورة يندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع مع الأصوات الأخرى، فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطًا بذبذبة الوترين الصوتيين"(١).

وتتوزع فاصلة الهاء في القرآن الكريم بين مشهدين متناقضين:

المشهد الأول: مشهد الفرح في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ "وهو مشهد الناجي الآخذ كتابه بيمينه، والدنيا لا تسعه من الفرحة وهو يدعو الخلائق كلها لتقرأ كتابه في رنة الفرح والغِبطة"(٢).

والمشهد الثاني: مشهد الحزن في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ "وهو مشهد الهالك الآخذ كتابه بشماله، والحسرة تئن في كلماته ونبراته وإيقاعاته"(٣)، وفي الآية الرابعة والخامسة من سورة القارعة فاصلتان منفردتان، ففي الآية الرابعة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤﴾ صورت الفاصلة المنفردة الناس حينما يبعثون من القبور بالفراش يوم القيامة، من حيث "الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار"(٤)، ويتفق معنى الانتشار مع الخصائص الصوتية لفاصلة الثاء، فهي صوت أسناني يتم إنتاجه حينما يوضع طرف اللسان بين الأسنان، فيخرج الهواء منتشراً متطايراً من الأسنان إلى الخارج، وقد نص ابن جني على أن الثاء من حروف النفث(٥).

ومعنى النفث: "بعثرة النَّفَس ببطء أثناء خروجه بين طرف اللسان والأسنان العليا عند حدوث الصوت، مما يماثل الأحداث الطبيعية التي تتضمن البعثرة والتخليط"(٦).

---

(١) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٧٦.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٦٧٦/٦.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الكشاف، للزمخشري، ٧٨٩/٤.

(٥) انظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني، ١٨٣/١.

(٦) خصائص الحروف العربية ومعانيها، لحسن عباس، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، ١٩٩٨م، ص٦١.

ويتفق المعنى المعجمي في مادة: (بثث) مع الخصائص الصوتية للثاء، "نقول: بث الشيء وانبث، فرقه فتفرق ونشره، وانبث الجراد في الأرض انتشر"(١).

وفي الآية الخامسة خاصة: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ صورت الفاصلة المنفردة على حرف الشين، حركة الجبال التي تتحول من الصلابة إلى الليونة والتفرق والانتشار، حتى تصبح كالصوف المنفوش "فقد شبه الجبال بالعهن، وهو الصوف المصبغ ألوانًا لأنها ألوان، وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها"(٢)، وصوت الشين "صوت رخو مهموس، عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق، ثم الفم، فإذا وصل الهواء مخرج الشين، وهو عند التقاء أول اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى، فلا بد أن يترك التقاء العضوين بينهما فراغًا ضيقًا يسبب نوعًا من الصفير(٣)"(٤).

وقد اتفق القدماء والمحدثون بأن صوت الشين يوصف بالتفشي(٥)؛ لأن الانتشار والتفشي تتفرق معه جزيئات الهواء، "كما أن بعثرة النَّفَس أثناء خروج صوت هذا الحرف يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط" (٦)، وفي هذه السورة على الرغم من تنوع أصوات الفواصل إلا أنه تحقق معها التناغم الصوتي.

وفي سورة الفلق جاءت الفاصلة المنفردة في صلب منظومتين صوتيتين، جرت المنظومة الأولى على صوت (القاف)، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١١٤/٢.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ٧٩٠/٤.

(٣) الصفير: سمي بذلك لأن الصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير، فالصفير من علامات القوة (انظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري، ص٩١).

(٤) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٦٩.

(٥) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري الحمد، ص٢٧٢.

(٦) خصائص الحروف العربية ومعانيها، لحسن عباس، ص١١٥.

﴾[١]، وهو صوت لهوي مهموس انفجاري عند المحدثين[٢]، قد دل معنى الاصطدام والانفصال مقترن بحدوث صوت انفجاري تصوره (القاف) في شدها[٣]، وهو صوت ينتج باندفاع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم، وهناك ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق (بما في ذلك اللهاة) بأقصى اللسان، ثم ينفصل العضوان انفصالاً مفاجئًا، فيحدث الهواء صوتًا انفجاريًا شديدًا[٤].

وجرت المنظومة الثانية على صوت (الدال)، قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[٥]، وهو صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق[٦]، وفصل بين هاتين المنظومتين صوت فريد في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾[٧]، فصوت (الباء) كما يراه القدماء صوت شفوي مجهور، انفجاري عند النطق به، يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفًا تامًا عند الشفتين؛ إذ تنطبق هاتان الشفتان

(١) سورة الفلق: الآيتان ١، ٢.

(٢) التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية المستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: الدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص١٦-١٧، وانظر: علم الأصوات، لكمال بشر، ص١٨٠، وأصوات العربية بين التحول والثبات، للدكتور حسام سعيد النعيمي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ص٢٥-٢٦.

(٣) فقه اللغة وخصائصه العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التحديد والتوليد، لمحمد المبارك، دار الفكر، ص١٠٤.

(٤) الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٧٣-٧٤.

(٥) سورة الفلق: الآيتان ٤، ٥.

(٦) سر صناعة الإعراب، لابن جني، ١/١٩٧، وانظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٥١، ودراسة الأصوات اللغوية، للدكتور أحمد مختار عمر، ص٧١-٧٦، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، لرمضان عبدالتواب، ص٤٦.

(٧) سورة الفلق: الآية ٣.

انطباقًا كاملاً، ثم تنفرج الشفتان فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا، وهذا عينه ما يراه المحدثون من دراسة الصوتيات(١).

لقد عدل النظم الحكيم إلى هذه الفاصلة مع وجود أخرى تحقق الانسجام الصوتي للفاصلة مع ما قبلها؛ وذلك وفاء للمعنى، فقد تنبه أحد الباحثين لمثل هذا بقوله: فلماذا عدل النظم في هذه الفاصلة إلى صوت: (الباء) في: (وقب) مع أنه بالإمكان أن يحافظ على الانسجام الصوتي مع الفواصل السابقة، فيقال: إذا (غسق)، فتكون الصياغة (ومن شر غاسق إذا غسق)، لا سيما وأن مثل هذا التكرار قد استعمل في السورة نفسها ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(٢)، فـــ"يقال: غسق الليل وأغسق إذا أظلم"(٣)، وهم يفسرون (إذا وقب) بالليل "إذا دخل في كل شيء وأظلم، ويقال: غسق وأغسق"(٤)، أو دخل وهجم بظلامه(٥).

فإذا كانت اللفظتان متقاربتين إلى هذه الدرجة من الدلالة فما سبب العدول إلى صوت الباء: (وقب) دون صوت القاف: (غسق) مع أن الثانية هي التي تحقق الجرْس الصوتي المتشاكل مع ما هو موجود من الفواصل؟ ولقد تنبه الشيخ الشعراوي إلى المزية الإعجازية من وراء هذا العدول في الفاصلة القرآنية في هذه الآية، فقد أفاد من الإيحاء الدلالي: (وقب) اعتمادًا على أصلها في المعنى ليرسم بهذا الفعل صورة قرآنية لا تتأتى مع استخدام الفعل: (غسق).

فالأصل في الغاسق الدافق، والأصل في الوقب النقرة في الجبل تجمع فيها الماء ثم يسيل، فإذا بلغ من شدة الخطر أنه يعمل حفرة في الجبل فهو إذن مطر غزير شديد جدًا، وهذا المطر لا ينشأ بهذه الصورة إلا من غيم وسحاب، وهذا الغيم سيكون لذلك كاسيًا للسماء، والإنسان

---

(١) ينظر: العين، للفراهيدي، ٥٨/١، والكتاب لسيبويه، ٤٣٣/٤، والمقتضب، للمبرد، ٩٣/١، والأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص ٤٧. وعلم اللغة، لمحمود السعران، ص١٦٥.

(٢) انظر: مقالاً بعنوان (الفاصلة القرآنية)، د.أبو عائشة، ملتقى أهل التفسير.

(٣) فتح القدير، للشوكاني، ٦٣٩/٥.

(٤) معاني القرآن، للفراء، ٣٠١/٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٧٠٢/٢٤.

يستغرب منه في النهار والشمس طالعة، ثم يكسوها السحاب، وبعد ذلك يترل المطر، والظُّلمة في النهار لافتة، وأما في الليل فلا وجه للاستغراب أو الخوف.

لذلك عدل القرآن الكريم إلى صوت (الباء) الذي يستدعي جهداً أكبر عند النطق به ليحاكي هذه الأحداث القوية والشديدة، فكأنهم أخذوا (الغاسق) الذي هو الليل المظلم حين يتدفق ويسيل، ويشمل الكون من الماء الذي يترل (ينقر في الجبل) وهو لا ينقر في الجبل بهذه القوة إلا إذا كان غزيراً ودائماً وطويلاً؛ لأنه يحتاج إلى مدة طويلة ليفعل ذلك، إذن فالغيم حجب الشمس مما أدى إلى الظلام، الظلام الذي هو في غير موضعه[١].

وهنا تبرز القيمة التعبيرية لصوت: (الباء) في محاكاته لهذه الشدة والرهبة، وهذا ليس ببعيد؛ إذ إن مدار قول أغلب المفسرين؛ أن المقصود مجيء الظلام بعد النور، يقول ابن القيم: "والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستفادة"[٢]، وهذا يعني أن تأويل الشعراوي الذي يرجحه العدول في الفاصلة يؤكده قول الرسول ﷺ للسيدة عائشة -رضي الله عنها- عن القمر: **"استعيذي بالليل من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب"**[٣]، إذ هو اختفاء مصدر الضوء، ولم يرتض ابن القيم تفسير الحديث بأنه الخسوف؛ لأنّ أحداً من أهل اللغة لم يقل بذلك[٤].

ويحسن بي أن أنتقل إلى الكسر الإيقاعي للفاصلة المنفردة، لعل ذلك يوضح بناء الفاصلة بجلاء أكثر.

*****

(١) انظر: المختار من تفسير القرآن الكريم، للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، ١٨٢/٣.

(٢) تفسير المعوذتين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: السيد إبراهيم، دار الحديث، ١٩٨٩م، ص٣٦، وانظر: تفسير القرآن الكريم، لابن قيم، ص٦٢٢.

(٣) سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، ٤٥٢/٥، باب ومن سورة المعوذتين، رقم الحديث٣٣٦٦.

(٤) انظر: تفسير المعوذتين، لابن قيم الجوزية، ص٣٩.

المبحث الثاني

الكسر الإيقاعي

في الفاصلة المنفردة

المبحث الثاني

الكسر الإيقاعي في الفاصلة المنفردة

جاء في لسان العرب أن "الإيقاع من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبينها"(١)، أو يبنيها(٢)، كما جاء في القاموس المحيط، وكلا اللفظين يشير إلى معنى الانتظام في الوحدات الصوتية واطرادها، وهو ما وضحه صاحب المخصص حين عرف الإيقاع على أنه "حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية، واللحن صوت ينتقل من نغمة إلى نغمة أشد وأحط" (٣)، وهذه الحركات المنتظمة وفق مسافات متساوية تحدث أثرًا نفسيًا وأنسًا روحيًا تسمو إليه النفس الإنسانية التي فطرها الله على حب الجمال، الذي يخلفه التَّوافُق الصوتي، وتكرر النغمات وفق نسق محدد وترتيب منظم.

أما الإيقاع عند العياشي فهو: "ما توحي به حركة الفرس في سيره وعدوه، وخطوة الناقة وما يشاكل ذلك، لخضوع تلك الحركة في سيرها إلى مبادئ لا تفريط فيها هي النسبية في الكميات والتناسب في الكيفيات، والنظام والمعاودة الدورية، وتلك هي لوازم الإيقاع" (٤).

وهذا التعريف أعطى وصفًا دقيقًا لهذا المفهوم؛ فهو من أميز التعاريف التي قيلت في الإيقاع، وذلك من خلال إدراجه لعدة كلمات تعد من لوازم الإيقاع، وهي: الحركة، النسبية، التناسب، النظام، المعاودة، الدورية، "فالإيقاع متصل بالحركة وغير منفصل عنها، ولا ينفصل إلا إذا كانت عشوائية، وغير مثبتة، ومن ثم فهي من لوازمه، والنسبية تهدف إلى تحقيق العلاقة بين شيئين متناسبين في الحركة والزمان، والأداء، والتناسب يعمل على التوافق بينهما، والنظام يعني الترتيب والتناسق، والمعاودة" (٥).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٤٠٨/٨.

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ٧٧٣/٨.

(٣) المخصص، ٩/٤.

(٤) نظرية إيقاع الشعر العربي، لمحمد العياشي، المطبعة العصرية، تونس،١٩٧٦م، ص٤٣.

(٥) البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، ص١٣٢.

وإذا كان الإيقاع في مفهومه اللغوي يعني "اتفاق الأصوات" [١]، فهو في مفهومه الفني والأدبي: "مبدأ أقرته العبقرية الفنية والخيال الخلاق لنظم الحركة الفنية طبق مثال من الحركة ونموذج من الحس" [٢]، وهو في واقعه العملي: يقوم في تأليفه على مبدأ النظام، وهو ما به يتميز الإيقاع عن الحركة العادية ومبدأ التناسب، وهو ما يضمن له الجمال، ومبدأ المعاودة الدورية، وهو ما يتم به التبليغ والتعبير وتسليط أنواع التأثير[٣].

وبما أن العربي يأنس بالفصول المتسقة من الكلمات والشذور المنتظمة من العبارات نزل الكلام الرباني مشعراً المتلقي بمتعة نفسية "تلبي رغباته الوجدانية وحاجاته الإنسانية بفضل تنغيمه الإيقاعي، وترديده الجرسي، الذي يبعث في النفس طاقة روحية لها تأثيرات شعورية تصادف ما يتوخاه السامع من صوت جميل وإيقاع رتيب، يلامس شغاف القلوب ويرهف أحاسيسها الوجدانية ويوقظ طاقاتها التأملية" [٤].

فالإيقاع في نظم القرآن الكريم يعد سرًّا من أسرار إعجازه وتأثيره الصوتي المعتمد على تآخي الفواصل في رويها على حرف واحد، وهو إيقاع خاص بالقرآن الكريم، فهو بلا شك "إيقاع في نطاق التوازن، لا إيقاع في نطاق الوزن، فالوزن في العربية للشعر، والتوازن في الإيقاع للنثر، فالذي في القرآن-كما يرى د. تمام حسان- متوازن لا موزون" [٥]، حيث يمد السامع بروافد إيحائية وظلال تصويرية بفضل إيقاعه الجرسي وترديده الصوتي، فيشعر بانسياب لفظي وتواتر نغمي تصغي له الآذان، وتخشع له القلوب والأبدان.

وهذا الأثر النفسي الذي يتركه الإيقاع الصوتي في الفواصل القرآنية لا يمكن أن تحقق غرضه النفسي وإيناسه الوجداني إذا كان على طبقة صوتية واحدة، لذلك نجد أن الفاصلة القرآنية سلكت طرقًا عدة للحفاظ على الجمال الإيقاعي، والتآلف الصوتي دون أن يشعر

---

(١) المعجم الوسيط، ٢/١٠٥٠.

(٢) نظرية إيقاع الشعر العربي، لمحمد العياشي، ص٤٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٢٩.

(٤) الإيقاع القرآني أثره الفني وإعجازه البلاغي، للدكتور أسامة شكري العدوي، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص١٤٥٧.

(٥) البيان في روائع القرآن، للدكتور تمام حسان، ص٢٦٩.

المتلقي بالملل ورتابة الإيقاع، حيث وزعت إيقاعاتها وأنغامها بعناية وفق المواقف والأحداث، فتارة تمضي السورة كلها على روي واحد، وتارة تتنوع السورة في رويها من مقطع إلى مقطع، وفي بعض الأحيان يُقطع هذا التناغم ويُكسر الإيقاع بفاصلة منفردة تجدد نشاط السامع، وتركز انتباهه إلى معنى جليل يريد النظم الحكيم لفته إليه.

ولنتأمل معًا سورة آل عمران التي تنوعت فواصلها تبعًا لتنوع موضوعاتها، والتي تهدف جميعًا إلى هدف واحد، وهو غرس العقيدة الصحيحة في النفس الإنسانية، والدعوة إلى العمل الصالح، ومحاربة كل ما يخالف عقيدة التوحيد، حيث سارت فواصلها على حرف النون والميم المردوفتين بواو أو ياء في معظمها، فقد بلغ عدد الآيات التي ختمت بحرف النون المردوفة بواو أوياء مدية مائة وعشرين آية، وبلغ عدد الآيات التي ختمت بحرف الميم المردوف بواو أو ياء مدية تسعًا وعشرين آية، وإذا ما شارفت السورة على النهاية تغير نظام الفواصل، فقد عدل النظم الحكيم من الآية (١٩٠) إلى الآية (١٩٩): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ (١).

ففي هذه الآيات عدل القرآن عن ردف الواو والياء إلى ردف الألف، حيث تناسب حرف الألف بما فيه من طول الصوت مع الدعاء الخاشع الواجف الذي دعا به طائفة من المؤمنين الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وهذا ما أشار إليه صاحب الظلال في كتابه، حيث قال: "وسورة آل عمران تغلب عليها قافية: (بصير، حكيم، مبين، مريب)، والقوافي في القرآن الكريم غير ما في الشعر، ولم تبعد عنها إلا في موضعين: أولهما في أوائل السورة وفيه دعاء، والثاني هنا عند هذا الدعاء الجديد، وذلك من بدائع التناسب الفني في التعبير القرآني.. فهذا المدّ يمنح الدعاء رنَّة رخيمة، وعذوبة صوتية تناسب جو الدعاء والتوجه والابتهال" (٢)، ثم يعود النظم الحكيم مرة أخرى في الآية الأخيرة من السورة إلى الفاصلة الأثيرة في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ (٣).

فيختم بهذه الآية المغايرة لما قبلها في الإيقاع؛ لأنها "تلخص التوجيهات الإلهية للجماعة المسلمة، وتمثل خصائصها المطلوبة وتكاليفها المحددة، والتي بها يكون الفلاح وهو ختام يناسب محور السورة الأصيل وموضوعاتها الرئيسة، ويتسق معها كل الاتساق" (٤)، حتى يكون ذلك آخر ما يدوي في السمع، وحتى "يتلاقى مقطع السورة التي حوت ذلك الحشد من الإيقاعات مع مطلعها في الإيقاع والانقطاع إلى الله بالكلية، فكما أفرد الله -تعالى- ذاته العلية بالوحدانية

(١) سورة آل عمران: الآيات من ١٩٠ إلى ١٩٩.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١/٥٤٧-٥٤٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ١/٥٤٤، وانظر: التفسير الكبير، للرازي، ٩/٤٧٣.

في مطلع السورة﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾[١]، شاء أن يختمها بدعوة المؤمنين إلى إفراده بالتقوى"[٢].

وإذا كان إفراد الله -تعالى- هو حلقة الوصل التي ربطت ختام السورة بمطلعها فإن دعوة الناس إلى تقوى الله هي العروة الوثقى التي ربطت ختام سورة آل عمران بمطلع السورة التي تليها وهي سورة النساء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾[٣]، وهذا من آكد وجود المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف[٤].

وهذه فاصلة منفردة في سورة النحل، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ۝٧٠﴾[٥]، حيث سبقها تسع وستون فاصلة من أول السورة وجميعها على روي النون والميم المردوفتين بالواو أو الياء، فقد أتت النون فاصلة في (مائة وعشر) آيات، والميم في (ست عشرة) آيات، وتوسطت هذه الفاصلة المنفردة الفواصل المنتهية بالنون المردوفة بالواو ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١، ٢.

(٢) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٦٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١.

(٤) انظر: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لأبي الفضل الغماري، مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه، ص٢٨-٢٩.

(٥) سورة النحل: الآية ٧٠.

﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ (١)، فقد جاءت الفواصل قبلها وبعدها على الروي الغالب في القرآن الكريم، وهو النون المردوفة بالمد الطويل، وهو إيقاع هادئ رخي يتناسب مع موضوعات العقيدة الكبرى التي تعالجها السورة.

ويتناغم هذا الإيقاع مع نبرة الهدوء التي "تخاطب كل حاسة وكل جارحة في الكيان البشري، فتعرض أمامه ما خلق الله في الكون وأودع، وما وهبه من نعم وآلاء، منها إنزال الماء من السماء، وإخراج اللبن من بين فرث ودم، واستخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب والعسل من بطون النحل" (٢).

وبعد الضرب على أوتار الحواس والجوارح، حتى إذا استشعرت النعم من حولها انتقل إلى "لمسة أقرب إلى أعماق النفس البشرية؛ لأنها في صميم ذواتهم، فهي أعمارهم وأرزاقهم وأزواجهم وبنيهم وأحفادهم، فهم أشد حساسية بها وأعمق تأثرًا واستجابة لها" (٣)، وصاحبَ هذا الانتقال تغيرٌ في الفاصلة؛ لتَرُدَّ النفس بإيقاعها المنفرد إلى "هذه الحقيقة الكبيرة أن العلم الشامل الأزلي الدائم لله، وأن القدرة الكاملة التي لا تتأثر بالزمن هي قدرة الله، وأن علم الإنسان إلى حين، وقدرته إلى أجل وهما بعد جزئيان ناقصان محدودان" (٤)، فكانت وحدة الفاصلة تجسيداً "لانفراده بربوبيته وعظيم قدرته" (٥).

---

(١) سورة النحل: الآيات من ٦٧ إلى٧٣.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢١٨٢/٤.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١١/١٤.

وهذا ما يشير إليه انفراد الفاصلة، أما من حيث تناسب الإيقاع مع المعنى، فإن النظم الحكيم آثر روي الراء هذا الإيقاع المجلجل الناتج من الترجيع والتكرار الذي يتصف به حرف الراء ليصور عظم قدرة الله وانفرادها عن قدرة بني الإنسان، وإلا لو كان مراد القرآن الكريم مراعاة التناسب في الإيقاع لقدَّم (قدير) على (عليم)؛ لتتوافق الفواصل ويتناسب الإيقاع، لكنه "قدم وصف العليم؛ لأن القدرة تتعلق على وفق العلم، وبمقدار سعة العلم يكون عظم القدرة وضعيف القدرة يناله لقب من قوة علمه؛ لأن همته تدعو إلى ما ليس بالنائل"(١).

فختمُ الآية بصفتي العلم والقدرة مناسب لما تقدم في الآية من معان بأنه -سبحانه وتعالى- لما ذكر "ما يعرض في الهرم من ضعف القوي والقدرة وانتفاء العلم، ذكر علمه وقدرته اللذين لا يتبدلان ولا يتغيران ولا يدخلهما الحوادث، ووليت صفة العلم ما جاورها من انتفاء العلم"(٢)، ثم تعود الفاصلة بعد هذه الآية إلى الإيقاع الغالب في فواصل السورة، وهو حرف النون المردوف بالواو والياء، وبعد سبع آيات فاجأنا النظم الحكيم مرة أخرى بالفاصلة المنفردة نفسها وللغاية عينها في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ (٣).

وسورة طه التي اعتمدت الأسلوب القصصي بما فيه من الإثارة والتشويق لمتابعة مجريات أحداثها مع أن هذه الخاصية شاعت في أغلب سور القرآن الكريم "حتى لم يكن لمن سمعه بدٌّ من الاسترسال إليه والتوافر على الإصغاء... فإنه إنما يسمع ضربًا خالصًا من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مَقْطعًا مَقْطعًا ونبرة نبرة، كأنها توقعه توقيعًا ولا تتلوه تلاوة" (٤)، وهو ظاهر في هذه السورة التي يمضي فيها "الإيقاع رخيًا شجيًا

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ، ٢١٣/١٤.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، ٥٦٣/٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، ص١٤٧.

نديًا بذلك المد الذاهب مع الألف المقصورة" [١]؛ "ليسهم جرس الفاصلة في تصوير الأجواء العلوية، والتجليات الإلهية بظلالها الرقيقة وهي تغشى الرسول ﷺ لتمسح عنه حبات العرق، وتخفف من آثار المعاناة في تبليغ دعوة ربه، وتتجاوب مع الأجواء النورانية المصاحبة للنداء العلوي لموسى -عليه السلام- وخطاب الله له بلا واسطة، ذلك الإيقاع الصاعد إلى الأعلى في الألف الممدودة" [٢].

وقد استفتح القرآن الكريم السورة "بمطلع رخي ندي يبدأ بالحروف المقطعة، وهما حرفان ينتهيان بإيقاع كإيقاع السورة" [٣]، بقوله -سبحانه وتعالى- مخاطبًا رسوله الكريم ﷺ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [٤].

ثم يبدأ بسرد قصة موسى -عليه السلام- وهو محاط برعاية ربانية بالإيقاع الممدود نفسه، إلا أنه يقطع هذا التناغم فتُستبدل بالألف الممدودة ياء ممدودة في فاصلة واحدة ثم يعود الإيقاع إلى الألف: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥﴾ [٥].

لقد جرت الفواصل قبلها وبعدها على روي الألف الممدودة وهو إيقاع يتناسب مع الأسلوب القصصي بما فيه من مساحة واسعة، وعدل إلى روي الياء الممدودة في فاصلة واحدة لتجسِّد بانفرادها أن العبادة لا تصرف إلا لله وحده منفردًا.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/٢٣٢٧.

(٢) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٥٣.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٤/٢٣٢٧.

(٤) سورة طه: الآيتان ١، ٢.

(٥) سورة طه: الآيات من ٩ إلى ١٥.

وتوصل صاحب الكشاف إلى أن المراد بقوله: "(لذكري) خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو الإخلاص وطلب وجهي لا ترائي بها، ولا تقصد بها غرضًا آخر"[(١)]،إذ منح"تكرار الممدود في هذه الآية معاني الألف عظمة وإجلالاً وهيبةً ووقاراً لما تمتلكه تلك الأصوات من قدرة على إعطاء مساحة واسعة لظلال المعاني المعبرة عنها من جانب، ولما يحدثه من تعالق بعض تلك الأصوات بضمير (نا) العائد على الله –جل وعلا– من زيادة في التعظيم والتفخيم من جانب آخر"[(٢)]، "وتوليد تلك الدلالة وإزالة الشبهة"[(٣)]، وترك ذلك كله مساحة شاسعة للإحساس بتلك العظمة الربانية.

غير أن هذه الآية قد صدرت بالإثبات المؤكد بزيادة النون: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ مع أنها وردت في الآية الثانية عشرة قبلها دون زيادة: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، والكلام من الله في كلا الآيتين، لكن الكلام بعضه أهم من بعض، ففي مقام التبليغات في العقيدة والتوحيد والعبادة قال: (إنني) وفي مقام خلع النعل قال: (إني)[(٤)]، فتبليغ العقيدة والأمر بالعبادة وإقامة الصلاة والذكر له –سبحانه وتعالى– دون سواه أهم من خلع النعل في الوادي المقدس: (طوى).

ولأحد الباحثين كلام يكشف لنا السر البلاغي الذي وراء هذا الانفراد، حيث قال: "تأمل كيف عدل النظم من الألف الممدودة في روي الفواصل، وهو إيقاع يناسب أجواء القص، ويمد الطرف إلى الآفاق العلوية لمشاهدة تجليات الوحي، إلى الياء الممدودة المسبوقة بالكسر في فاصلة وحيدة لتحسد ياء المتكلم –التي تكررت ثلاث مرات، في بداية الآية: (إنني)، ووسطها: (فاعبدني)، وفاصلتها: (لذكري)–، وحدانية الله –تعالى– ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ

(١) الكشاف، للزمخشري، ٥٥/٣، وانظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ٢٤/٤.

(٢) سورة طه، دراسة أسلوبية صوتية، للدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة، مجلة المنار، المجلد ١٨، العدد ٢، كلية الآداب، جامعة الزيتونة الأردنية، ٢٠١٢، ص٦٠-٦١.

(٣) التفسير الكبير، للرازي، ١٨/٢٢.

(٤) انظر: مقال بعنوان (لمسات بيانية من سورة طه)، للدكتور فاضل السامرائي، ٢٠١٤/٢/٢٨م.

www.startimes.com

﴿إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا﴾، وإخلاص العبادة له وحده، وليومئ المد المنخفض، الذاهب إلى أدنى بخفض الرؤوس والجباه في الصلاة بركوعها وسجودها، وليعلن أن هذه الوجوه لا تعنو إلا لله الحي القيوم حتى إذا ما وصلت هذه الرسالة إلى المتلقي بإيقاعها المنفرد اللافت، عادت الفاصلة إلى رويها الأول، لتتأهب لحكاية المناجاة بين الله وموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[(١)"(٢)].

ولكسر الإيقاع بالفاصلة المنفردة إيماءة لافتة في سورة الأحزاب التي بني إيقاع فواصلها على حرف متحرك مردوف بحرف مد ولين مشفوع بألف المد المنقلبة عن التنوين، وتعاون المدان بطول البعد الزماني في نطقها على خلق إيقاع هادئ رخيّ ندي، يتسم بالوقار والجلال ويتناسب مع التوجيهات الربانية الملقاة على الرسول الكريم ﷺ، ويتناسب مع جلال التشريعات التي يبنى عليها نظام المجتمع الإسلامي بما يكفل له السعادة والهناء، فقد أبطلت بعض التقاليد والعادات الموروثة مثل الظهار والتبني واعتقاد وجود قلبين في جوف إنسان، ومن تلك الخرافات والأساطير المتفشية في ذلك الزمان.

ولك أن تقرأ هذه الآيات في مطلع السورة وثناياها وخواتيمها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾[(٣)]، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾[(٤)]، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨ يَٰٓأَيُّهَا

(١) سورة طه: من الآية ١٧.

(٢) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٥٤.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ١، ٢.

(٤) سورة الأحزاب: الآيتان ٤، ٥.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[1].

ومن بين تلك الآيات التي تجسد الهدف الأسمى الذي تسعى السورة لتحقيقه في المجتمع المسلم وقف البيان القرآني ليكشف لنا حقيقة المنافقين، ويترك نفوسهم عارية من كل ستار في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾[2].

وفي أثناء ضبطهم متلبسين بالكذب والاحتيال، عدل النظم الحكيم إلى فاصلة منفردة، حيث جاء الردف في الآية الثانية عشرة بالألف في هذه الفاصلة فحسب، في الوقت الذي وردت فيه جميع فواصل السورة مردوفة بالياء أو الواو، وانفراد الفاصلة بالألف أحدث كسراً إيقاعيًا يتناسب مع كشف حقيقة المنافقين، فصوت الألف أوضح من الياء والواو.

يقول سيبويه: "وهذه الثلاثة أخص الحروف لاتساع مخرجها، وأخفاهن وأوسعهن مخرجًا الألف، ثم الياء ثم الواو"[3]، وفاصلة: (فرارًا) تتفق مع الفاصلتين: السابقة لها: (غرورًا) واللاحقة بها: (يسيرًا) "في الروي، دون مراعاة الوزن، فالفاصلة الأولى وزنها: (فُعُولاً)، والثانية وزنها: (فِعَالاً) والثالثة وزنها: (فَعِيلاً)، وقد حقق ذلك كسراً للإيقاع؛ للمراوحة بين الأنغام لجذب الأسماع، وتدبر معاني الآيات؛ لارتباط كل فاصلة في موضعها بمعنى الآية"[4].

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآيات من ١٢ إلى ١٤.

(٣) الكتاب، لسيبويه، ٤/٤٣٦.

(٤) الفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب، دراسة إيقاعية دلالية، د.حامد أيوب، كلية العلوم الإدارية والإنسانية، جامعة الجوف، ص١٩٢.

أما صاحب الظلال فله وقفة لطيفة عند هذه الآيات، حيث قال عنها: "يقف السياق عند هذه اللقطة الفنية المصورة لموقف البلبلة والفزع والمراوغة، يقف ليرسم صورة نفسية لهؤلاء المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، صورة نفسية داخلية لوهن العقيدة، وخور القلب، والاستعداد للانسلاخ من الصف بمجرد مصادفة، غير مبقين على شيء، ولا متجملين لشيء"(١).

أما أحد الباحثين فيعلل لانفراد الفاصلة بقوله: أن القرآن لما أراد أن يفضح المنافقين ويكشف حقيقتهم جاء بجملة: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ مؤكدة بالباء الزائدة، وجملة: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ على جهة النفي والاستثناء لإفادة القصر، ليقابل التوكيد والقصر توكيدهم بإن في قولهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، فينتفي زعمهم ويظهر كذبهم، فهم إنما يريدون الفرار من القتل.

وإمعانا في تنبيه الناس إلى حقيقتهم؛ وفضحهم عدل القرآن إلى الفاصلة المنفردة؛ لكي تحدث صدمة إيقاعية في آذان المستمعين، فينتبه الغافل إلى حقيقة هؤلاء المنافقين ويظهر له كذبهم وجبنهم(٢).

وعلى غرار هذه الفاصلة المنفردة جاء قوله -تعالى- في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾(٣)، إذ جرت فواصل السورة على إيقاع متقارب في الوزن، ينتهي بحرف مردوف بالواو حينًا وبالياء معظم الأحيان، كما هو واقع في الفاصلتين الأولى والثالثة، وجاءت الفاصلة الثانية منفردة بإيقاعها، حيث انتهى بالميم المردوفة بمد الألف ليدل هذا المد الصاعد إلى الأعلى، والذاهب نحو الآفاق إلى "ضخامة هذه السفن، وارتفاعها فوق سطح الماء"(٤)،

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ١٨٣٩/٥.

(٢) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية: د. محروس السيد، ص ٢٠٦.

(٣) سورة الشورى: الآيات من ٣١ إلى ٣٣.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، ٥٩/١٣.

فالألف الممتدة برسمها وصوتها إلى الأعلى تجسد لنا صورة السفن وهي تطفو فوق سطح البحر وكأنها حاضرة مشهودة أمامنا، "فهي المعالم الوحيدة القائمة فوق وجه الماء، كما تقوم الجبال على اليابسة"(١)، وهذا التفرد في الإيقاع جاء ليحاكي تفرده -سبحانه وتعالى- بهذه القدرة الإلهية، فكل المخلوقات تسير طوعًا له وتسخيرًا منه.

وهذه فاصلة منفردة بين فواصل متقاربة وزنًا ورويًا في سورة الأحقاف، التي بنيت فواصلها جميعًا على روي النون والميم المردوفتين بالواو أو بالياء الممدودة في أربع وثلاثين آية، لم يختلف هذا الإيقاع إلا في فاصلة واحدة، وهو ما يدفع إلى البحث عن سر هذه المخالفة، وكسر وحدة النغم في هذه السورة التي يدور موضوعها حول العقيدة وربطها بالآيات الكونية الدالة على وحدة الخالق، والتي تدعو إلى الإيمان بالوحي والرسالة والبعث والحساب والجزاء، وتستعرض قصص بعض الرسل مع أقوامهم وما واجهوه من تكذيب انتهى بإنجاء الله -تعالى- لأنبيائه وإهلاك المكذبين الضالين، فإيقاع السورة بما فيه من الهدوء والاستقرار والمد الطويل يناسب تقرير الحقائق، والدعوة إلى تأمل الظواهر الكونية.

ووسط هذا الإيقاع المستقر، وفي نهاية سرده -سبحانه وتعالى- لقصة نفر من الجن مع هذا القرآن، وكيف أنهم تأثروا به واستجابوا له، وذهبوا إلى قومهم يدعونهم إلى الحق، أراد أن يقرر حقيقة البعث الذي كذب بها كفار قريش مستخدمًا أسلوب الاستفهام اللافت لحس المتلقي، حتى يتهيأ للإجابة عن هذا السؤال الذي لا يقبل إلا إجابة واحدة، تأتي هذه الفاصلة الفريدة المنتهية بحرف الراء بما فيه من تكرار وترجيع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ

(١) التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب، ٥٩/١٣.

أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِيَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾(١).

لقد صاحب هذا السؤال تغير الفاصلة اللافت بإيقاعها المنفرد إلى تفرده -سبحانه وتعالى- بهذه القدرة فهي خاصة به، لا تكون لغيره لذلك، جاءت "صياغة القضية في أسلوب استفهام؛ ليكون الجواب أقوى وآكدُ في تقرير هذه الحقيقة"(٢).

وممن بحث هذه القضية ابن عاشور، حيث قال: إن جملة: (إنه على كل شيء قدير)تذييل لجملة: (بلى)؛ لأن هذه تفيد القدرة على خلق السماوات والأرض، وإحياء الموتى وغير ذلك من الموجودات، وتأكد الكلام بـــ: (إن) لرد إنكارهم أنه يمكن إحياء الله الموتى، وجيء في القدرة على إحياء الموتى باسم الفاعل: (قادر)، وفي القدرة على كل شيء بالصفة المشبهة: (قدير) التي هي أكثر ثبوتًا ودلالة على القدرة من اسم الفاعل"(٣).

ويذكر د.محروس السيد أن "سياق إنكار البعث ناسبه الإتيان بذلك التذييل:(إنه على كل شيء قدير)، ومن ثم جاءت الفاصلة: (قدير) دون غيرها إيثارًا لجانب المعنى على جانب تناسب الإيقاع، فالتغير بالقدرة مراد في هذا السياق كما بينا، كما أنه يعد تذييلاً في ختام حديث هؤلاء النفر من الجن وقصة إيمانهم جاءت معترضة وناسبها أن تختم بفاصلة مختلفة إشارة إلى انتهاء حديثهم، هذا فضلاً عن أن العدول إلى فاصلة منفردة يراد منه إحداث تحول مفاجئ في الإيقاع لكي ينتبه المخاطب إلى خصوصية الآية، التي يقع فيها ذلك الانفراد، ومن ثم يلتفت إلى ما فيها من معنى مراد خلق ذلك التحول الإيقاعي"(٤).

وفي سورة الرحمن تطالعنا فاصلة منفردة أشاعت ضربًا من التنويع وكسر الإيقاع أبْعد المتلقي عن روتين التكرار، فقد جرى إيقاع فواصلها على روي الميم أو النون المسبوقين بألف المد اللينة في أغلب الفواصل ليخلق هذا النغم المتواتر قسطًا من التطريب الرخي الندي الذي

---

(١) سورة الأحقاف: الآيات من ٢٩ إلى ٣٣.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٢٧٥.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٦/٦٥.

(٤) إيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، د.محروس السيد، ص١٩٩.

يدعو إلى التأمل في آلاء الرحمن في السماء والأرض، ويحلق "بهذا الإيقاع الصاعد الذاهب إلى بعيد، الذي يجلجل في أطباق الوجود، ويخاطب كل موجود، ويتلفت على رنته كل كائن، وهو يملأ فضاء السماوات والأرض، ويبلغ كل سمع وكل قلب" (١).

"حتى إذا استوفى النظم الحكيم غايته من استجلاء الأعين والعقول ما أفاضه الله -تعالى- من النعم على الإنس والجن، وغمر به الكون كله، فاجأنا بفاصلة حادة حاسمة، يجري فيها الصوت سريعًا من الحلق إلى طرف اللسان، ليحاكي صوت الفاصلة الحسم والقطع وزنًا ومعنىً، مُنهيًا مقطعًا طويلاً من التأمل الهادئ، ومختتمًا أجواء التساؤل المتئد بممدوده وتكراره، ناعيًا على الثقلين كفرانهما بآلاء ربهما ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾؛ لينقل لونًا من الخطاب يتسم بنذر التهديد والوعيد" (٢).

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ (٣).

هذه الفاصلة المنفردة جاءت بعد أن استعرض الله -سبحانه وتعالى- آلاءه في الكون وآلاءه في الخلق، وقبل أن يبدأ في استعراض آلائه في الآخرة؛ لذلك جاءت مغايرة لما قبلها وما بعدها، حيث ختمت بحرف النون العارض للسكون، والمردوف بألف مهموزة ساكنة، ينحبس معها النفس لتصور موقف الجد والحسم مشيرة إلى هذا الشأن "وهو الشيء العظيم، والحدث المهم من مخلوقات وأعمال من السماوات والأرض"(٤).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٤٤٦/٦.

(٢) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٦٠.

(٣) سورة الرحمن: الآيات من ١٩ إلى ٢٩.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٥٥/٢٧.

"وقد شاء النظم الحكيم أن تكون فاصلة الآية هكذا؛ لتنال حظها الأكبر من التركيز، بعد أن قدم عليه متعلقه: (كل يوم)، وأعيد معه ذكر الضمير: (هو) ملوحًا بانفراده –تعالى– بالهيمنة على شؤون خلقه، فتلاقى انفراد الفاصلة مع انفراد الله بتدبير أمور عباده في سمائه وأرضه، ونقلت الفاصلة المتلقي بإيقاعها المنفرد من الاستغراق في تأمل المخلوقات إلى مشاهدة الخالق وهو يقسم أرزاق العباد وآجالهم، يرفع أقوامًا ويخفض آخرين، يهب لمن يشاء الحياة، ويقبضها ممن يشاء، إنها صيحة إيقاظ، تحول الأبصار من تدبر الآثار إلى مشاهدة يد المؤثر"(١).

ولتستقر هذه الحقيقة في النفوس جاءت الفاصلة المنفردة في نقطة التحول من الاستعراض الكوني الحافل بالأدلة إلى مقطع جديد "فيه تهديد مرعب مفزع، ووعيد مزلزل مضعضع، تمهيدًا لهول القيامة"(٢)، ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾(٣)، حيث الدمار الشامل الكامل في ذلك الكون من انشقاق السماء وتناثر الكواكب، لقد أيقظت هذه الفاصلة بكبر إيقاعها المتلقي وجددت نشاطه لاستقبال هذا الانقلاب الكوني المفاجئ.

"إن التأثر الذي تولده المفاجأة يعتمد على ما إذا كان العنصر الجديد يمكن استيعابه في الاستجابة الكلية، أو إذا كان الذهن مضطرًا إلى أن يبدأ بداية جديدة كلية عند وصول هذا العنصر الجديد"(٤).

وفي السورة ذاتها تنوعت الفواصل بتنوع أجواء الحديث فيها من فواصل قصيرة رخية هادئة انتهت بالهاء الساكنة المسبوقة بالميم أو النون المردوفتين بالألف الممدودة في الآيات الست الأولى التي "تصف مشاهد يوم القيامة وما فيها من أهوال، ولما كانت ردًا على الجاحدين

---

(١) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٦٠.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٤٥٥/٥.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣١.

(٤) مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، أ.أ. ريتشاردز، ترجمة: محمد بدوي، مراجعة: لويس الفلماوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٨٩.

والمنكرين للساعة كانت النغمة الصاعدة هي البارزة في هذا الجو الرهيب" (١)، وهو إيقاع يتناسب مع الاستفهامات الإنكارية التي تتسم بالقوة والتحذير إلى فواصل سريعة لاهثة تنتهي بحرف الراء من الآية السابعة حتى الآية الثالثة عشرة؛ ليصور لنا هذا الإيقاع بما فيه من الترجيع والتكرار أهوال يوم القيامة، وهي "نغمة مسطَّحة لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة" (٢).

ثم تنتقل الآيات إلى فواصل أخر تتسم بإيقاع رخي هادئ يعتمد على حرف الهاء، من الآية الرابعة عشرة إلى الآية الخامسة والعشرين، وهو إيقاع يصور تكفل الله لمطلق شأن هذا القرآن وجمعه وبيان مآل كلٍّ من المؤمنين والكافرين، ثم ينتقل ليصور لنا مشاهد الترعات الأخيرة من حياة الإنسان وجو الرهبة والخوف في إيقاع بطيء.

وقد وصف أحد الباحثين المعاصرين فواصل السورة بأنها: "تسير وفق قانون (التغير)، وهذا التغير يربط الأجزاء ببعضها؛ لتحقق الهدف والمعنى الكلي للسورة، حيث يُلحظ استعمال روي موحد في تلك الآيات التي تحمل فكرة مستقلة تقريبًا، بحيث تكون هذه الفواصل المتفقة بمثابة خيط يصل الجمل التي تدور حول معنى واحد فتكون بذلك الوحدة المعنوية الواحدة متصلة في المعنى والمبنى" (٣).

فكل فكرة في هذه السورة تغطى بإيقاع واحد؛ لتشكل لنا إيقاعات متموجة تعترضها فاصلتان منفردتان كسرت وحدة الإيقاع، الأولى في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ (٤)، انتهت بمقطع مقفل في آية واحدة، فقد سبقت بفواصل انتهت بالهاء الساكنة المسبوقة بروي الراء المسبوقة بمد الياء، وأعقبت بفواصل منتهية بالهاء الساكنة المسبوقة بروي النون المردوف بالألف، وإليك الآيات: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

(١) ملامح أسلوبية في سورة القيامة، د.أمل حامد بدر، جامعة البصرة، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٦، ٢٠١٣م، ص١٨١.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤، ص٢٣٠.

(٣) سورة القيامة دراسة تحليلية بلاغية، للدكتور إبراهيم البريكي، كلية العلوم العربية والاجتماعية، جامعة القصيم، مجلة العلوم العربية، العدد ١٤، ١٤٣١هـ، ص١٥٠.

(٤) سورة القيامة: الآية ١٦.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ (١).

وقد علل الدكتور الخضري لمجيء هذه الفاصلة بإيقاع منفرد بقوله: "والملاحظ أن هذه الفاصلة المنفردة المكونة من مقطع واحد مقفل جاءت بهذه الحدة في الإيقاع، لتحاكي المعنى، حيث كان الرسول ﷺ إذا لُقن الوحي نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفًا من أن يتفلت منه" (٢).

فحاكت الفاصلة في سرعتها عجلة الرسول ﷺ بالقراءة، وقد اقترن بالمفاجأة في هذه الفاصلة، ومخالفتها للتوقع مفاجأة أخرى تتمثل في الانتقال الفجائي من أحداث يوم القيامة وما يصاحبها من الجزاء، إلى نهي الرسول ﷺ عن التعجل بتلاوة القرآن عند نزول الوحي، وعاد الضمير في: (به) على غير مذكور، وهو القرآن اعتمادًا على الحضور الذهني، فكان لهاتين المفاجأتين دورهما في قطع استرساله -عليه السلام- في تحريك لسانه بالقراءة بالسرعة نفسها التي انتهت بها الفاصلة(٣).

والفاصلة الثانية المنفردة جاءت بين مقطعين يختلفان في إيقاعهما، الأول: إيقاع رخي هادئ، والثاني: إيقاع طويل ينتهي بالسكون في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ (٤).

فالإيقاع الأول: جاء مناسبًا لجو الوصف: وصف حال المؤمنين والكافرين حيث اعتمدت فيه الفاصلة على تعادل المقاطع في الفواصل، فقد بدأ كل منها بمقطع مفتوح، وانتهي بمقطع متوسط مقفل، وبينهما مقطع قصير: (ناضرة، ناظرة، باسرة، فاقرة)، والإيقاع الثاني الذي

---

(١) سورة القيامة: الآيات من ١٤ إلى ١٩.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ٦٦١/٤، وانظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٧٢٧/٣٠، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٤٩/٢٩.

(٣) انظر: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د، الخضري، ص ١١٥٧.

(٤) سورة القيامة: الآيات من ٢٢ إلى ٣٠.

أعقب الفاصلة المنفردة بنيت فواصله على مقطع طويل المد وهو عبارة عن صوت يتلوه المد، وبعد المد سكون[١]: (راق، فراق، ساق، ساق).

وعلل أحد الباحثين لمجيء الفاصلة الثانية منفردة بقوله: وهذا المد المنتهي بقاف ساكنة يصحبها قلقلة شديدة في مخرجها من أقصى اللسان، يحاكي "حال الحشرجة ونزاع الموت"[٢]، أما الفاصلة المنفردة: (التراقي) فقد صاحبها مفاجأة كتلك التي صحبت (لتعجل به)[٣]، حيث عاد الضمير في (بلغت) على غير مذكور، وهو أمر يشحذ قوى العقل للبحث عن مرجع الضمير.

ثم جاء تغير إيقاع الفاصلة ليحاكي عسر خروج الروح وطول المنازعة بهذين المدين الطويلين: الأول: الصاعد إلى الأعلى، والثاني: الذاهب إلى الأسفل، ليصور خير تصوير حشرجة الروح في الصدر وتقطع الأنفاس، وشدة النزع؛ ولهذا جاء: (التراقي) جمعًا، مع أن للإنسان ترقوتين فحسب، وهما موضع الحشرجة: "ولعله جمع المثنى إشارة إلى شدة انتشارها بغاية الجهد؛ لما هي فيه من الكرب"[٤]، وطلب الخفة في اللفظ لما في المثنى من الثقل، هذا إلى جانب ما يجسده انفراد الفاصلة من بداية الفراق، وانفراد الميت بمصيره، وذهاب الأهل والخلان عنه[٥].

وتأمل كيف عدل النظم الحكيم إلى فاصلتين منفردتين في سورتين متشابهتين في المطلع، وهما سورة الانفطار وسورة الانشقاق المصدرتان بـــ"إذا" الشرطية، والتي تحمل معها المفاجأة لما سيحدث بعدها من انقلاب كوني مخيف، يشير إلى انتهاء الرحلة الدنيوية، والوقوف على

---

(١) انظر: البيان في روائع القرآن، للدكتور تمام حسان، ص٢٦٠-٢٦١، وكسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٥٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـــ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤٢٢ هـــ، ٤٠٦/٥.

(٣) الضمير في (به) عائد على كتاب الله –تعالى–، ولم يجر له ذكر، ولكن القرائن تبينه، فهذا كقوله: (كلا إذا بلغت التراقي) يعني النفس. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ٤٠٤/٥.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي بكر البقاعي، ١٠٨/٢١.

(٥) انظر: كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٥٨.

مشارف الرحلة الأخروية، حيث انفطار السماء وانشقاقها وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور في جمل قصيرة تتسارع فيها الأحداث وتتميز بالإيقاع الحاد المتناغم مع أهوال هذه السورة وأجوائها: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [(١)]، وقوله في سورة الانشقاق: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [(٢)].

أرأيت كيف صور المطلعان في السورتين الانقلاب الكوني في خمس جمل قصار؟ بنيت فواصلها على حرف التاء الساكنة التي ينحبس معها النفس؛ لتجسيد معاني الترقب والرعب والخوف والفزع، ثم بعد هذين المشهدين يعدل النظم الحكيم إلى "لمسات وإيقاعات من لون جديد هادئ عميق، لمسات كأنها عتاب وإن كان في طياته وعيد" [(٣)]، في فاصلتين منفردتين "اعتمدت على مقاطع مفتوحة تخللها مد طويل، وهو إيقاع شديد الهدوء، يعكس أجواء أخرى يلتقط فيها السامع أنفاسه، ويراجع نفسه ويرتب أوراقه.

إنها فاصلة تتناسب مع مواقف العتاب واللوم والتندم ومراجعة الذات، مصورة الغرض الذي عدل إليه القرآن في السورتين، ولذلك صُدرت الفاصلة المنفردة فيهما معًا بالنداء وهو أسلوب تنبيه وإيقاظ، وأتبع المنادى بما يذكره بطبعه وغايته ويلفته إلى بدئه ونهايته، ويوجه نظره إلى من له الخلق والمآب، وجاء انفراد الفاصلة فيها مخالفًا للتوقع؛ لتلفته شدة إلى ربه الذي أبدع صنعه وأحسن خلقه وإليه مرجعه، وهو الذي غاب عنه في غمرة حياته، واغتراره بنفسه، مما يقطع بأن وحدة الفواصل أو اختلافها، يجري وفق نظام أحكمه منزل الكتاب" [(٤)].

---

(١) سورة الانفطار: الآيات من ١ إلى ٦.

(٢) سورة الانشقاق: الآيات من ١ إلى ٦.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٨٤٥.

(٤) كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٦٥.

وقد سبق أن وقف الدكتور أحمد أبو زيد أمام قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ وبيَّن معنى ذلك "الخطاب القرآني البليغ، الذي قُصد به تقريع الإنسان وتذكيره بمصيره المحتوم، وقد عبرت المقاطع المفتوحة التي تخللتها حروف المد الطويل أصدق تعبير عن هذا المعنى، وهذا النوع من المقاطع يستدعي امتداد الصوت عند التلاوة، وهذا الامتداد في النطق يناسب التعبير عن الامتداد في الزمن الذي يستغرقه الإنسان في الكدح، والجد في الكسب، وكأن المراد من استخدام هذه المقاطع أن يشارك الإيقاع الصوتي الآية في أداء المعنى"(١).

ويبقى دور السياق وأثره في بناء الفاصلة المنفردة ، وهو موضوع البحث التالي.

*****

(١) التناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ص٣٢٤.

المبحث الثالث

الفَاصِلَـة

المنفردة والسياق القرآني

المبحث الثالث

الفاصلة المنفردة والسياق القرآني

للسياق حضور بارز وأثر فعال في مجال تحليل الخطاب والكشف عن المراد، لا سيما في كشف مراده –سبحانه وتعالى– في كتابه العزيز، والسياق من الجذر اللغوي: (س و ق) والكلمة مصدرها "ساق يسوق سوقًا وسياقًا"، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، وهو التتابع كما ذكر ابن منظور[١]، وجاء في المعجم الوسيط أن "سياق الكلام سرده وأسلوبه الذي يجري عليه"[٢].

وإذا كان السياق في معناه اللغوي يعني التتابع والاتصال فهو في معناه الفني والأدبي "بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق، أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءًا لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها، وكثيرًا ما يغيِّر المحيط الذي توجد فيه العبارة من المعنى الذي كان يبدو واضحًا في العبارة ذاتها أو يوسعه أو يعدله"[٣].

فالكلمة أو الجملة لا يمكن فهمها، وتحري معناها إلا بوصلها بما قبلها أو بعدها داخل السياق، وقد حظي السياق عند البلاغيين بما لم يحظ به عند غيرهم كالنحويين واللغويين، فقد عرفوا البلاغة بأنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[٤] ، وربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها الذي وردت فيه حيث قال: "وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، ١٠/١٦٦.

[٢] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١/٤٦٥.

[٣] معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط١، صفاقس، الجمهورية التونسية، ١٩٨٦م، ص٢٠١– ٢٠٢.

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني: ص ٣١٤.

للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها"[١]، ولا شك في أن المنهج السياقي يسهم في فهم نصوص القرآن الكريم فهما متكاملا، ويعد ضابطًا من الضوابط المهمة في حسن التفسير والتأويل.

ويظهر ذلك بجلاء من خلال إيضاح التناسب بين كلمة الفاصلة وبقية السياق في الآية القرآنية التي لم تأت بمحض الصدفة، وإنما قصد إليها النظم لمناسبتها للسياق الذي وردت فيه، سواء مع ما قبلها أو مع ما بعدها "فالقاعدة الأساسية في فواصل الآيات أن فاصلة الآية متوافقة مع كلماتها ومتناسبة مع موضوعها، وأن ختام الآية بالفاصلة يكون ختاما موضوعيا متناسبا معها"[٢].

وهو ما ذكره الزركشي عندما أكد على أن هنالك علاقة جمالية بين لفظة الفاصلة وسياق الكلام في الآية، حيث قال: "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل اللبيب"[٣].

وفي ذلك يقول علي الجندي: "من مزايا معاني الفواصل في القرآن الكريم شدة ارتباطها بما قبلها من الكلام، وقوة تعطف الكلام عليها، كأنها معًا جملة واحدة يسري فيها روح واحد، ونغم واحد ينحدر إلى الأسماع انحدارًا، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدًا لها لتتم معناها، حتى لا تبلغ من وقوعها موقعها واطمئنانها في موضعها أنها لو حذفت لاختل معنى الكلام، واضطرب فهمه واستغلق بيانه، بل قد يبلغ من تعيينها في مكانها وفرضها نفسها عليه، أنها لو بدل بها

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجدّه، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ٤٢/١.

(٢) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط١، دار عمار، عمان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٣٢٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٧٨/١.

غيرها، لأدرك السامع الحصيف الثاقب الفطن أن كلامًا غريبًا ينقصه التناسب حل محلها؛ فأنكر ذلك سمعه وضاق به صدره"[١].

فمن خلال علاقة الفاصلة القرآنية بسياقها يتضح مقصدية الفاصلة من حيث تضامنها الدلالي مع هذا السياق، وهذه العلاقة أطلق عليها ابن أبي الإصبع اسم: "ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت"[٢] في الشعر، فالفواصل القرآنية -إذن- تتنوع بتنوع أجواء السياق، وهناك فواصل منفردة في القرآن الكريم للسياق أثر في تفسيرها وسبب مجيئها على حروف معينة، وتكون أكثر وضوحا في الفواصل المنفردة التي تتضمن ألفاظا مشتركة في سياقات مختلفة، وإليك بعض المواطن التي توضح ما نحن بصدده:

فكلمة: (العزيز) وردت فاصلة منفردة على حرف الروي: (الزاي) في عدة سور من القرآن الكريم، وهو اسم من أسماء الله الحسنى، واللفظ في أصل اللغة يعني: "القوة والشدة والغلبة"[٣] ولعلنا نتتبع هذه الفاصلة المنفردة ونستقريها في مواضعها المختلفة حتى تتبين لنا المساقات الدلالية الصحيحة التي وردت فيها.

الموطن الأول:

في سورة (إبراهيم) التي جرت فواصل آياتها على حروف مختلفة إلا أن حرف (الزاي) لم يرد فاصلة في هذه السورة إلا في موضع واحد، وبعد قراءة هذه السورة بتدبر وإعادة النظر والتكرار فيها يتجلى لنا سر مجيء الحرف منفردًا، وينكشف الستار عن التناسق الرائع بين هذه الفاصلة، والسياق الذي وردت فيه، وهو قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

(١) صور البديع-فن الأسجاع، علي الجندي، مطبعة الشباب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٥٤، ١٨٩.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الأصبع، تحقيق: د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ص٩٣.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٣٧٤/٥.

﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[١].

وبعد ما ذكر -سبحانه وتعالى- جزاء الكفار في الآخرة أردف ببيان قدرته، فالمعنى: ألم "تعلم أن الله أنشأ السماوات والأرض بالحق منفرداً بإنشائهن بغير ظهير ولا معين؟ يقول: إن الذي تفرد بخلق ذلك وإنشائه من غير معين ولا شريك، إن هو شاء أن يذهبكم فيفنيكم ويأتي بخلق جديد آخر سواكم مكانكم، فيجدد خلقكم، وما إذهابكم وإفنائكم وإنشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولا متعذر؛ لأنه القادر على ما يشاء"[٢]، وبهذا تلتقي الفاصلة المنفردة مع انفراد قدرته -جل وعلا- في أسلوب توبيخي مؤثر.

فالقادر على خلق السماوات والأرض جدير به أن يستخلف قوماً مكان قوم دون عناء، وقد وقف أحد الباحثين عند هذه الآيات وقفة بلاغية جميلة حيث قال: إن هذه فيها تعريض بالكفار وإشارة إلى عظيم جرمهم بكفرهم بالله الواحد الخالق القادر القهار، والخطاب في قوله: "ألم تر" لكل من يتأتى له الخطاب، أو الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمته، وقيل: "الخطاب لكل واحد من الكفرة لقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[٣][٤] والرؤية في الآية قلبية، أو قل: علمية، والاستفهام في الآية للتقرير ولإثبات مفعول الرؤية، أي: كون خلق السماوات والأرض لله -تعالى- .

وأكد الخبر؛ لأنه من الحقائق العظيمة، وقدم ذكر السماوات على الأرض؛ "لما في خلقها ورفعها بلا عمد من آثار قدرة الله الباهرة"[٥] وأتْبع الاستفهام بالجملة الشرطية "إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد" تنبيها على طريق التبصُّر والتفكير والاستدلال المنطقي، فإن من قدر على خلق تلك السماوات في ارتفاعها واتساعها وعظمتها وما فيها من الكواكب بغير عمد، وخلق هذه الأرض بما فيها من جبال وسهول ووديان وصحار وبحار وأشجار ونبات

---

[١] سورة إبراهيم: الآيات من ١٨إلى ٢٠.

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٥٥٦/١٦.

[٣] سورة فاطر: الآية ١٦.

[٤] تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٤٠/٥.

[٥] التفسير البلاغي للاستفهام، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط٣، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ١٧٤/٢.

وحيوان على اختلافها، لهو أقدر على إهلاك المخاطبين وخلق آخرين بدلهم[١].

ثم أتْبع ذلك بقوله: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٢]، فختمت الآية بحرف (الزاي) بما فيه من ذبذبات تؤكد مع ما سبقها نفي العجز عن الله -سبحانه وتعالى- وكمال قدرته وسهولته عليه، ولا شك في أنه كان للسياق بالغ الأهمية في بيان معنى: (عزيز) في موضعها؛ لأن: (عز) تأتي بمعنى امتنع، فمن خلال السياق اتضح المعنى وهو نفي العجز عن الله، وإثبات كمال القدرة.

وهذه الفاصلة نفسها وردت بألفاظها ودلالاتها في سورة: (فاطر) وللغاية عينها في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٣] فعندما كان السياق يتحدث عن تهديدهم بإذهابهم والإتيان بخلق جديد، وأن هذه القدرة لا تكون إلا لله منفرداً بها عن غيره، جاءت هذه الفاصلة منفردة لتجسد بتفردها تفرده بهذه القدرة وهي تجديد خلقهم، وعبارة: (**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد. وما ذلك على الله بعزيز**) جاءت في الآيات المكية مرتين: (إبراهيم: ١٩-٢٠) و (فاطر: ١٦-١٧) ولم ترد قط في الآيات المدنية"[٤].

أما الموطن الثاني:

فقد جاء في سورة: (الشورى) التي حوت فواصل مختلفة ظهرت من بينها فاصلة (الزاي) فريدة في موضع واحد عندما انتقل النظم الحكيم من الحديث عن الساعة إلى الحديث عن كيفية توزيع الأرزاق في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ

---

[١] انظر: تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، د. عادل الرويني، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، دبي، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، ص١٣٥، ١٣٦.

[٢] سورة فاطر: الآية ١٧.

[٣] سورة فاطر: الآيتان ١٦، ١٧.

[٤] سورة فاطر- دراسة أسلوبية، د. محمد عبد السلام كامل، فكر وإبداع، مصر، ٢٠١٢م، ٨٨/٦٥.

لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾[1]، وهو إيقاع مؤثر في النفس يحمل قدراً كبيراً من الرنين الصوتي الذي يلفت إحساس المتلقي بما فيه من أزيز يقرع الأسماع إلا أن هذا اللطف ليس وليد عجزه وإنما نشأ من قوي عزيزة وصاحب انفراد الفاصلة بمجيء اسم الجلالة: (القوي العزيز) المعطوف على صفة (اللطيف) معرفا بأل لتفيد قصر معنى القوة والعزة عليه -سبحانه وتعالى- دون غيره، ولو انتهت الآية عند قوله عز وجل: (**بغير حساب**) لتوهم بعض الضعفاء عجزه -سبحانه وتعالى- فأخبر -سبحانه وتعالى- في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم أنه قادر لا يعجزه شيء وأن هذا اللطف في توزيع الأرزاق لم ينتج عن ضعف وعجز.

وإليك كلام ابن عاشور وهو يوضح معنى الآية: "وعطف وهو (القوي العزيز) على صفة لطيف أو على جملة يرزق من يشاء، وهو تمجيد لله تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، فإنه قوي عزيز لا يعجز ولا يصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قلة فإنه القوي، والقوي تنتفي عنه أسباب الشح، والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر فرزقه لمن يشاء بما يشاء منوط لحكمة علمها في أحوال خلقه عامة وخاصة، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾[2] والإخبار عن اسم الجلالة بالمسند المعرف باللام يفيد معنى قصْر القوة والعزة عليه – تعالى- ، وهو قصر الجنس للمبالغة لكماله فيه – تعالى- حتى كأن قوة غيره وعزة غيره عدم"[3].

وهذا الانتقال من حديث الساعة إلى الحديث عن توزيع الأرزاق، وإن كان يبدو في ظاهره بعيد المناسبة إلا أنه وثيق الصلة عندما نقرأ الآية التالية: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ

---

[1] سورة الشورى: الآيات من ١٧إلى ٢٠.

[2] سورة الشورى: الآية ٢٧.

[3] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٥/٧٣.

﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[١] "فجملة: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾[٢] توطئة لجملة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾؛ لأن ما سيذكر في الجملة الآتية هو أثر من آثار لطف الله بعباده ورفقه بهم وما يسر من الرزق للمؤمنين منهم والكفار في الدنيا"[٣] ثم بعد ذلك جعل هذا الرزق فتنة وابتلاء فقد "جعل الآخرة حرثا والدنيا حرثا يختار المرء منهما ما يشاء، فمن كان يريد حرث الآخرة عمل فيه، وزاد له الله في حرثه، وأعانه عليه بنيته، وبارك له فيه بعمله وكان له مع حرث الآخرة رزقه المكتوب له في هذه الأرض لا يحرم منه شيئا، بل إن هذا الرزق الذي يعطاه في الأرض قد يكون هو بذاته حرث الآخرة بالقياس إليه، حين يرجو وجه الله في تثميره وتصريفه والاستمتاع به والإنفاق منه، ومن كان يريد حرث الدنيا أعطاه الله من عرض الدنيا رزقه المكتوب له لا يحرم منه شيئا ولكن لم يكن له في الآخرة نصيب"[٤].

وبالاعتماد على وحي السياق نجد أن "لفظ: (العزيز) استعمله الله -تعالى- تارة في القائم بنفسه حيث قال في حق نفسه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾[٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[٦]، واستعمله في القائم بغيره حيث قال: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٧]، وقال: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٨] فهل هما بمعنى واحد أم بمعنيين؟

---

[١] سورة الشورى: الآية ٢٠.

[٢] سورة الشورى:الآية ١٩.

[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٥/٧١.

[٤] في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥/٣١٥١.

[٥] سورة الأحزاب، الآية ٢٥.

[٦] سورة فاطر، الآية ٢٨.

[٧] سورة فاطر، الآية ١٧.

[٨] سورة التوبة، الآية ١٢٨.

ويجيب على السؤال الفخر الرازي بقوله: "العزيز هو الغالب في اللغة، يقال: من عزيز، أي من غلب سلب، فالله عزيز، أي غالب، والفعل إذا كان لا يطيقه شخص يقال: هو مغلوب بالنسبة إلى ذلك الفعل، فقوله: (**وما ذلك على الله بعزيز**) أي لا يغلب الله ذلك الفعل بل هو هين على الله، وقوله: (**عزيز عليه ما عنتم**) أي يحزنه ويؤذيه كالشغل الغالب"[١].

أما الموطن الثالث:

فيظهرحين نتتبع الحروف التي تكونت منها فواصل سورة: (فصلت)، إذ نجد أنها متنوعة، ولم تلتزم حرف روي واحداً، ولعل هذا التنوع جاء محاكيًا لتنوع أجواء الحديث فيها، حيث عالجت العديد من القضايا العقدية، فهي تكشف حقيقة الألوهية الواحدة، وتهدد الذين لا يؤمنون بالآخرة مع عرض بعض مشاهد القيامة التي تؤكد وقوعها، وكأنها شاخصة أمامهم.

وتحدثت السورة عن الوحي -الذي ورد كلام كثير حوله- حتى ليكاد أن يكون هو محورها الأساسي، حيث بدأت السورة بالحديث عن القرآن الكريم، وفي وسطها ذكر موقف المشركين منه واعتراضهم عليه، والرد عليهم وتهديد الذين يلحدون بآيات الله الكونية أو القولية، ثم "أعقب تهديدهم على الإلحاد في آيات الله على وجه العموم بالتعرض إلى إلحادهم في آيات القرآن، وهو من ذكر الخاص بعد العام للتنويه بخصال القرآن"[٢].

وعندما تحول الحديث إلى وصف القرآن خاصة أتى بفاصلة منفردة تنتهي بحرف (الزاي)، حيث جعل من أوصاف القرآن الكريم (العزيز) على غير ما ألفناه في الآيات السابقة التي جاءت فيها صفة العزيز مقترنة بالله – جل جلاله- ؛ ولعله أجرى هذا الوصف على القرآن الكريم ليومئ إلى حماقة الذين كفروا وسفاهة آرائهم، فالقرآن كلام الله وصفه بصفة من صفاته، وهو الذي تولى حفظه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كتاب فريد ليس له نظير؛ لذا جاءت فاصلة: (الزاي) منفردة لتحاكي هذا التفرد والعظمة.

فالعزيز "له معنيان: أحدهما: الغالب القاهر، والثاني: الذي لا يوجد نظيره، أما كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غالبا، فالأمر كذلك لأنه بقوة حجته غلب على كل ما سواه، وأما

---

[١] التفسير الكبير، للرازي، ٢٣٠/٢٦.

[٢] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠٥/٢٤.

كونه عزيزا بمعنى عديم النظير، فالأمر كذلك لأن الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته"[١].

وإليك الآيات في سياقها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٢] ويحسن هنا أن أنقل كلاماً لسيد قطب أجمل فيه إيقاع هذه السورة بقوله: إنها "تعرض حقائق العقيدة في حشد من المؤثرات العميقة، وهذا الحشد المنوع من تلك المؤثرات يصف جو السورة، ويصور طابعها، ويرسم ظلالها، والواقع أن القلب يجد أنه منذ مطلع السورة إلى ختامها أمام مؤثرات وإيقاعات تجول به في ملكوت السماوات والأرض، وفي أغوار النفس، وفي مصارع البشر، وفي عالم القيامة، وتوقع على أوتاره إيقاعات شتى كلها مؤثر عميق"[٣].

وجاءت الفاصلة المنفردة على صفة واحدة في أكثر من موضع في قوله تعالى: (عَذَابٌ غَلِيظٌ) في ثلاثة مواضع رائعة:

الموضع الأول:

في سورة: (إبراهيم) جاء بعد أن التقت القوة الهزيلة بقوة الجبار، وانتهت بمشهد الخيبة لكل جبار عنيد في الدنيا، وليس هذا حظه من العذاب بل هنالك عذاب ينتظره ويحل به من بعد في الآخرة، فهو يرسم صورته وهو في عذاب جهنم، ويسقى بعنف من الصديد السائل من الجسم بشكل مقزز، وهو لا يقف عند هذه الدرجة من العذاب، بل ينتظره عذاب آخر بعد هذا العذاب، الذي هو فيه فهو عذاب غليظ، وإليك الآيات في سياقها قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى

---

[١] التفسير الكبير، للرازي، ٢٧/٥٦٨.

[٢] سورة فصلت، الآيات من ٤٠إلى ٤٢.

[٣] في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥/ ٣١٠٦.

﴿وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[1] "إنه مشهد عجيب، يرسم الجبار صورة الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروّع الفظيع، وتشترك كلمة: (غليظ) في تفظيع المشهد، تنسيقًا له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين"[2].

أما الموضع الثاني:

فيتضح في سورة: (لقمان) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[3]

"ذمت الآيات الذين كفروا بالوعيد وانتقلت منه إلى مدح المسلمين ووعدهم برضوانه، وعطف عنان الكلام إلى تسلية الرسول ﷺ بتهوين كفرهم عليه تسلية له وتعريضا بقلة العبء بهم؛ لأن مرجعهم إلى الله فيريهم الجزاء المناسب لكفرهم، فهو تعريض لهم بالوعيد، وأسند النهي إلى كفرهم عن أن يكون محزنا للرسول ﷺ عن مداومة الفكر بالحزن لأجل كفرهم؛ لأنه إذا قلع ذلك من نفسه انتفى إحزان كفرهم إياه"[4].

فكفرهم أهون وأصغر من أن يحزنوك والله أعلم بما تخفيه صدورهم، ثم في الآية التي تليها

---

[1] سورة إبراهيم، الآيات من ١٣إلى ١٧.

[2] في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢٠٩٤/٤.

[3] سورة لقمان: الآيات من ٢٠إلى ٢٤.

[4] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٧٨/٢١.

جاء بفاصلة منفردة وقعت في جملة معترضة بين جمل متعاطفة، وكأنها إجابة لتساؤل يجول في خواطر المخاطبين، لماذا لا يعذبهم الله وهم كافرون؟ وانتهت هذه الجملة بفاصلة منفردة ليلفت إلى "عاقبه مروعة فظيعة وهو مدفوع إليها دفعًا لا يملك لها ردًا، (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)، ووصفه العذاب بالغليظ ليجسمه على طريقة القرآن، والتعبير بالاضطرار يلقي ظل الهول الذي يحاول الكافر ألا يواجهه مع العجز عن دفعه أو التلكؤ دونه"[١].

والموضع الثالث:

جاء في سورة: (فصلت)، بعد أن رسم لنا طبيعة النفس الإنسانية وأنها دائمة الإلحاح في طلب الخير بلا ملل، وإذا مسها الشر سرعان ما تيأس وتفقد الأمل وتقنط من رحمة الله؛ لقلة ثقتها بربها وضعف إيمانها، وهذه النفس إذا أذاقها الله منه رحمة بعد هذا الضر، وغمره بنعمة انغمس بها ونسي مصدر هذه النعمة، وما يجب عليه تجاهها من الشكر، بل ينسب مصدرها لنفسه وأنه حصل عليها باستحقاقه لها، وأنكر الآخرة واستبعد قيام الساعة، فهو يفتخر بنفسه وصنعه، وينكر الآخرة ويظن لو أنه رجع إلى ربه كانت له مكانته عنده، فهو مغتر بنفسه معتز بها.

ولهذا جاء التهديد لهذا الإنسان المتعاظم في عين نفسه، الجاحد لنعم ربه، وصاحَب هذا التهديد فاصلة الظاء المنفردة: (غليظ) اللافتة بإيقاعها الثقيل إلى قساوة هذا العذاب وشدة إيلامه، وها هي ذي الآيات في سياقها العام، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٢]

وقد أحسن سيد قطب حين قال: "إنه رسم دقيق صادق للنفس البشرية، التي لا تهتدي بهدى الله، فتستقيم على طريق، رسم يصور تقلبها، وضعفها، وحبها للخير، وجحودها للنعمة،

---

[١] في ظلال القرآن، لسيد قطب،٥/٢٧٩٤.

[٢] سورة فصلت: الآيتان ٤٩، ٥٠.

واغترارها بالسراء، وجزعها من الضراء، رسم دقيق عجيب"[١].

وأنت حين تُنْعِم النظر في سياقات الفواصل المنفردة الثلاث، تجد العذاب الغليظ وصفًا مرتبطًا بعذاب الآخرة لأهل النار، وهو عذاب خشن قاس شديد الإيلام لا يخفف ولا يتوقف، ولما جاء وصف العذاب بالغلظة مرتبطًا بعذاب الآخرة فقط ومختص به، استدعى أن يصاحبه إيقاع منفرد شديد على نفس المتلقي، حتى يوقظ مواطن إدراكه فيركز على ما ينتظر الكافرين من عذاب هذا -والله أعلم بمراده-.

وفي سورة يوسف: التي جرت فواصلها على روي النون أو الميم المردوفين بالواو أو الياء، جاءت فاصلتان اعترضتا فاصلة النون، والميم الأولى على حرف الروي: (الراء)، والثانية على حرف الروي: (اللام) في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢].

---

[١] في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣١٢٩/٥.

[٢] سورة يوسف: الآيات من ٥٨ إلى ٦٧.

وحين نتتبع السياق الذي وردت فيه الفواصل نجد أنه عند الحديث عن مجيئ أخوة يوسف من أرض كنعان (فلسطين) إلى مصر للميرة سنة القحط، وهي رحلة طويلة، ولكن النظم الحكيم أتى بالفعل: (جاء) مباشرة؛ ليختصر تفاصيل الرحلة الطويلة، ويخفي أحداث الطريق ليقف عند المواقف المهمة التي فيها العبرة فقط دون ذكر التفاصيل[١]، وبعد مجيئهم عرفهم يوسف -عليه السلام-، أما إخوته فقد فقدوا الأمل بحياته، ولم يعودوا يفكرون فيه، فلم يعرفوه بالرغم من أنه يمتلك من جمال الخلق والأخلاق الشيء الكثير الذي لا يخفى على أحد.

وبالرجوع إلى الزمخشري نجد أنه يعلل لذلك بقوله: "لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سنّ الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم، لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحًا في البئر"[٢]، وبعد ما جهزهم وأكرمهم وأحسن نزلهم، قال: (**ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ**) يقصد بنيامين.

وفي السياق إشارة إلى أن هناك كلامًا محذوفًا، وهو أنهم ذكروا له حالتهم الاجتماعية وعرفوه بأنفسهم، وأن لهم أخًا من أبيهم لم يحضر معهم تركوه عند أبيهم لصغر سنه، وصاحب طلبه لإحضار أخيه ترغيب في قوله تعالى: (**وأنا خير المنزلين**) ممزوج بترهيب في قوله تعالى: (**فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ**)، فوعدوه بإحضار أخيهم بالرغم من أن مجيئه ليس بالأمر الهين على أبيهم، لكنهم سيبذلون جهدا لإقناعه، ويدل على ذلك حرف السين المقترن بالفعل الذي يستخدم للمستقبل القريب[٣].

قوله تعالى: ﴿**سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ**﴾ وهو "وعد بأن يبذلوا قصارى جهدهم في الإتيان بأخيهم وإشعار بصعوبة ذلك، فمعنى ﴿**سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ**﴾: سنحاول أن لا يشح به"[٤]، ثم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١١/١٣.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ٤٨٣/٢، ٤٨٤.

(٣) يقول ابن يعيش: سوف أشد تراخيًا في الاستقبال من السين، وأبلغ تنفيسًا. (انظر: شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان-بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ٩٥/٥.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٤/١٣.

أمر العزيز فتيانه أن يدسوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا ذهبوا إلى أهلهم، فلما رجعوا إلى أبيهم أخذوا يستعطفونه بتقديم منع الكيل منهم وندائهم له: (يا أبانا) مع أنه قريب منهم وحاضر لديهم ليشعروه بتقديرهم له وتعظيمه؛ لكي يستدرجوه ليرسل معهم أخاهم بنيامين.

فجملة: (وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) بما فيها من مؤكدات تُذكِّر بطلب الإخوة من الأب أن يأمنهم على يوسف من قبل، وقد أحسن أحد الباحثين حين قال: "وفي تكرار قولهم: (إنا له حافظون) دلالة على التوكيد حيث قالوا هذه الجملة في موقفين متباعدين، وإن كانا متشابهين، وهما: موقف استمالتهم لأبيهم حتى يسمح لهم بأن يأخذوا يوسف "في الآية الثانية عشرة من السورة"، والموقف الآخر هو موقف استمالتهم له حتى يأخذوا أخاهم يوسف "في الآية الثالثة والستين من السورة نفسها".

وفي دلالة هذا التكرار استبطان الحالة النفسية ليعقوب -عليه السلام- وهو يستمع للادعاء الذي سمعه من أبنائه منذ سنوات وقت ضياع يوسف نفسه، هو الادعاء نفسه بالألفاظ نفسها، وكأن لسان حاله يقول وهو يستمع لدعواهم بحفظ أخيهم يوسف: ما زلتم كذبة، كيف أثق بكم؟ أليست هذه الدعوى التي رفعتموها من قبل وكانت سببًا في تركي يوسف بين أيديكم فأضعتموه؟ فكيف أثق بكم؟"[١]، فهذا الوعد "أثار كوامن يعقوب، فهو ذاته وعدهم له في يوسف! فإذا هو يجهر بما أثاره الوعد من شجونه"[٢] في أسلوب "استفهامي إنكاري في معنى النفي"[٣]: (قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ) ثم أعقبه بقوله: (فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)، وكأنه يفوض أمره لله ويقول: اتركوني من وعودكم الكاذبة، فلا حافظ إلا الله، وهو أرحم بي.

ولنتأمل معًا كيف جاءت جميع الفواصل في هذه الآيات من بداية قصة لقاء يوسف -عليه السلام- بإخوته إلى نهايتها على روي النون أو الميم، إلا أنه عندما جاءوا على جرح

---

[١] لغة الحوار في سورة يوسف- دراسة أسلوبية، د. أحمد جمال الدين، كلية الآداب بالإسماعيلية - جامعة قناة السويس، ٣/ ٦٩، ٧٠.

[٢] في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢٠١٦/٤.

[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٦/١٣.

يعقوب القديم وبدؤوا بترغيبه وإقناعه في اصطحاب أخيهم في أسلوب يحمل معنى التعجب والاستنكار من رفض يعقوب -عليه السلام- إرسال أخيهم معهم في جمل متعاطفة، تحولت الفاصلة من حرف الروي: (النون) إلى حرف الروي: (الراء) المرقق؛ ليصوروا له أنه أمر ميسور "لا يضايقنا فيه الملك سهل عليه متيسر لا يتعاظمه"[١] حين يرافقهم أخوهم، فهم يسهلون عليه الأمر، ويصغرونه في عينه، ويظهرون حرصهم على مصلحة أهلهم الحيوية في الحصول على الطعام مع المحافظة على سلامة أخيهم.

وهنا يستسلم يعقوب -عليه السلام- على مضض، لكنه في هذه المرة وضع شرطا لذهابه معهم، فقال: لن أرسله معكم حتى تعطوني ما أتوثق به ويكون من عند الله؛ "لأن الحلف بالله مما تؤكد به العهود وتشدد"[٢]، ففي هذه المرة ربطهم مع الله خلاف ما فعل عندما طلبوا يوسف، ولما جعل "الله شاهدا عليهم فيما وعدوا به بأن يحلفوا بالله فتصير شهادة الله عليهم كتوثيق صادر من الله -تعالى-"[٣] ختم كلامه بقوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٤] بفاصلة اللام المنفردة ليكون انفرادها معبرا عن تفويضه جل أمره لله المنفرد بالاطلاع على ما تخفي الصدور، وفيه "تذكير لهم بأن الله رقيب على ما وقع بينهم وهذا توكيد للحلف"[٥].

ولما انتقل من الخطاب الخاص بـــ(بنيامين) إلى خطاب عام للإخوة أجمعين، عادت الفاصلة إلى (النون)، ولكي يخفف من حدة الانتقال إلى الإيقاع الغالب في فواصل السورة اختار اللفظ نفسه، لكنه بصيغة الجمع، حتى إذا وصلت الفاصلة إلى الأذن تكون قريبة العهد بفاصلة مقاربة لها: ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[٦].

أما سورة (فاطر): التي جرت أغلب فواصلها على حرف الروي: (الراء) المردوف بواو

---

[١] الكشاف، للزمخشري، ٤٨٧/٢.

[٢] الكشاف، للزمخشري، ٤٨٧/٢.

[٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٩/١٣.

[٤] سورة يوسف، الآية ٦٦.

[٥] التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٠/١٣.

[٦] سورة يوسف، الآية ٦٧.

أو ياء مدية، فقد سبقنا أحد الباحثين إلى إحصاء فواصلها حيث قال: تكررت فاصلة الراء خمسا وثلاثين مرة مسبوقة بحرف الياء في ثماني عشرة مرة، ومسبوقة بحرف الواو في ست عشرة مرة فقد بدأت السورة بفاصلة الراء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] التي هي أعلى الفواصل تكرارًا، وانتهت بفاصلة الراء أيضًا: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾[2] فكانت الصدارة للفاصلة الأكثر دورانًا، وكذلك كان الختام.

لقد لجأ سياق السورة إلى استخدام فاصلة (الراء) في أغلب الفواصل لما يوحي به إيقاعها من معنى الجزم والجد الذي يستوجبه الجو العام للسورة، أما الفواصل الأخرى التي وردت في السورة فتحتل فيها فاصلة النون المرتبة الثانية بعد فاصلة الراء، وقد تكررت ثلاث مرات مسبوقة في كل مرة بحرف الواو، وتشارك فاصلة الدال فاصلة النون، فقد تكررت ثلاث مرات مسبوقة بحرف الياء مرتين، وبحرف الواو مرة واحدة، وثمة فواصل لم ترد إلا مرة واحدة[3]، ومنها فاصلة: (الزاي) التي ذكرناها في بداية هذا المبحث.

وإذا عدنا إلى فاصلة الراء في السورة نتأملها وندقق فيها النظر، وجدنا فاصلة فريدة خرجت عن النظام المألوف للفواصل في السورة، حيث انتهت بحرف الراء، ولكنها مردوفة بحرف الألف على خلاف المعتاد في السورة، ومشفوعة بألف المد المنقلبة عن التنوين في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[4] فألف مد قبل الراء وبعدها ينتج عنها

---

[1] سورة فاطر، الآية، ١.

[2] سورة فاطر، الآية ٤٥.

[3] سورة فاطر- دراسة أسلوبية، د. محمد عبد السلام كمال، ٦٥/ ١٠١، ١٠٢.

[4] سورة فاطر، الآية ٣٩.

امتداد الصوت الصاعد إلى أعلى؛ ليجسد لنا البعد الزمني في نطقهما معًا حجم الخيبة والحسرة والانكسار الذي حصل عليه الكافرون نتيجة ضياع أعمالهم وفسادها.

وقد مهد النظم الحكيم لهذه النهاية المؤلمة بأسلوب شرط سبق هذه الفاصلة المنفردة في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ (١) ليذكر بأن كل نفس منفردة بمصيرها رهينة بما كسبت لا تحمل إلا وزرها فلا يحمل أحد عن أحد شيئًا، ولا يدفع أحد عن أحد شيئًا، بالإضافة إلى تكرار كلمة الكفر في هذه الآية فقط ست مرات لينتهي بهم إلى جزاء كفرهم.

ولم تقف روائع النظم الحكيم عند انفراد هذه الآية فحسب، حيث وجدنا أن جميع الفواصل التي أعقبت هذه الفاصلة جاءت مطلقة على حرف الراء المشفوع بألف المد، لكنه مسبوق بواو أو ياء مدية، إلا في آية واحدة جاءت على حرف اللام المشفوعة بالألف، فما السر–يا تُرى– وراء مجيء فواصل السورة مقيدة ما عدا فواصل الآيات السبع الأخيرة، ومجيئ الفاصلة المنفردة في بداية تحول الفاصلة من التقييد إلى الإطلاق؟

ولمعرفة هذا السر نتأمل الآيات التالية: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن

(١) سورة فاطر، الآية ٣٩.

شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾[1].

في الحقيقة حاولت أن أجد فيما قرأت من يستفتح عليَّ في بيان السر و لم أجد، واحتجبت عني الإجابة، حتى كدت أُسَلم بأنه ليس وراء ذلك سر سوى أنه من باب إعجاز القرآن، لكن الله هداني بعد طول توقف إلى أن هذه المغايرة في إطلاق الفاصلة استدعاها العناد المطلق الصادر من الذين كفروا على مر العصور، وعدم قبولهم لأي دعوة جديدة – والله تعالى أعلم، وقد اقتبست هذا الضوء من كلام سيد قطب عندما تحدث عن الحالات النفسية التي يصورها القرآن الكريم، وذكر منها حالة العناد السخيف والمكابرة العمياء،التي لا يجدي معها حجة ولا برهان، ومثَّل لها بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، فأيقنت أن هذا هو ديدنهم، وأن القرآن الكريم يستخدم أساليب عديدة؛ ليصور لنا مكابرتهم وصدودهم عن قبول الحق.

وهذه الفاصلة نفسها وردت بألفاظها ودلالتها في سورة (الإسراء)، فبعد أن جعل الله – سبحانه وتعالى– القرآن سببًا في شفاء المؤمنين ورحمة لهم، جعله نقصًا على المشركين وسببًا في خسارتهم في قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3]، فتميزت فواصل سورة الإسراء بأنها مردوفة بحرفي المد: (الياء أو الواو)،مسبوقة بحركة كسر أو ضم قبل حرف الروي: (وكيلاً،زهوقاً،سعيراً...إلخ)إلا أن هذه الفاصلة خالفت التزام الردف بالياء أو الواو، وجاءت مردوفة بحرف المد: (الألف)؛ لتشير هذه المخالفة إلى مجيء القرآن الكريم على خلاف أصله.

---

(1) سورة فاطر، الآيات من ٣٨ إلى ٤٥.

(٢) سورة الحِجر، الآية ١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية ٨٢.

فالأصل في القرآن الشفاء من الأسقام والرحمة للمؤمنين ولكنه خسارة على الكافرين، فهو لا يزيد " المكذبين به الواضعين للأشياء في غير مواضعها -مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام- إلا هلاكًا بكفرهم وتكذيبهم، وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك. وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك، كبعض المطر يكون درًا وسماً باستعداد المحل وعدم استعداده "[1]، فلما أراد أن يصور لنا حجم هذه الخسارة عدل إلى حرف المد الألف بما فيه من امتداد الصوت، ثم عاد بعد هذه الفاصلة الموقظة إلى الإيقاع المعتاد في السورة (**يؤوساً،سبيلاً،قليلاً**).

ولا يكتمل الحديث عن الفاصلة المنفردة في القرآن إلا بالحديث عن دلالاتها، وهو موضوع الفصل الثالث والأخير، فإلى هناك.

*****

(١) روح البيان، للخلواتي،٥/١٩٤.

الفصل الثالث

دلالات الفَاصِلَة المنفردة

في القرآن الكريم

المبحث الأول: الدلالة الإيحائية للفاصلة المنفردة

المبحث الثاني: الدلالة المعنوية للفاصلة المنفردة

الفصل الثالث
دلالات الفاصلة المنفردة
في القرآن الكريم

إذا تتبعنا المعاني اللغوية والمعجمية لمادة: (دلَّ) ألفينا أنها تدور حول الاهتداء إلى الشيء والإرشاد إليه، وإبانته وإيضاحه.

يقول ابن منظور حول معنى لفظ (دلَّ): "والدليل ما يستدل به، والدليل: الدال، وقد دلّه على الطريق يدله دلالة ودِلالة ودُلالة، والجمع أدلة، وأدلاء، والاسم الدَّلالة والدِّلالة، بالكسر والفتح، والدُّلولة، والدليلي"، ويسوق ابن منظور قول سيبويه: "والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها"(١).

"ودللت بهذا الطريق: عرفته ودللت به أدل دلالة، وأدللت بالطريق إدلالاً، والدليلة: المحجة البيضاء، والاسم الدَّلالة، والدِّلالة: ما جعلته للدَّليل أو الدَّلال"(٢).

وإلى هذا المعنى ذاته ذهب الفيروز آبادي، عندما أراد أن يحدد المعنى اللغوي للفظ: (دلَّ) حيث قال: "دله عليه دلالة: سدده إليه، وقد دلت تدل، والدال كالهادي"(٣).

وإذا كان المعنى اللغوي للفظ: (دلَّ) يعني الدلالة على الطريق، فهو في معناه الاصطلاحي يعني دلالة الألفاظ على المعاني، ويعرف الجرجاني الدلالة بقوله: "الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدّال، والثاني هو المدلول"(٤).

---

(١) الكتاب، لسيبويه ٤/٤١.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١١/٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ١/١٠٠.

(٤) التعريفات، للشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص١٠٤.

ويرى الأنصاري أن "الدلالة كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، ودلالة اللفظ على معناه مطابقة وعلى جزئه تضمُّن، وعلى لازمه الذهني التزام"(١).

ولما كان علم الدلالة علم ينصَب اهتمامه على دراسة المعنى، فإننا نجد أن هذا العلم لم ينهض على أيدي اللغويين فحسب، وإنما شاركهم بذلك علماء ومفكرون من مختلف الميادين بما فيهم أرباب البلاغة والأدب(٢).

فالبحث في الدلالة يشغل جميع التخصصات، لا سيما إذا كان محقَّق بكلام الله المعجز، وهو المثل الأعلى للنظم، فإنه يحتاج إلى كدٍّ وتأمل للوصول إلى دلالته ومراميه.

ولنا في الفواصل القرآنية المنفردة وقفات نبحث عن دلالتها الكامنة خلف ذلك التحول المفاجئ في إيقاع الفواصل، وما تهمس به من إيحاءات خفية، نتسمعها من سياق الآيات.

*****

(١) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، للأنصاري، تحقيق: د.مازن مبارك، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ط١٤١١هـ، ص٧٩.

(٢) انظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ص٢٦١، والتركيب اللغوي للأدب (بحث فلسفة اللغة والاستطيقا)، للدكتور لطفي عبد البديع، دار المريخ، للنشر، الرياض، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ص٤٣.

المبحث الأول

الدلالة الإيحائية للفَاصِلة المنفردة

المبحث الأول

الدلالة الإيحائية للفَاصِلة المنفردة

إذا رجعنا إلى المعجمات العربية، وفتشنا عن معنى الإيحاء في اللغة، وجدنا أن أصل الكلمة: وحي، والوحي هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، يقال: وحيت إليه الكلام، وأوحيت إليه، أوحي إيحاء، إذا أشرت إليه وأومأت(١).

وإذا كان المعنى اللغوي للإيحاء يتجاوز الأشياء الظاهرة إلى خيوط خفية، فهو في معناه الاصطلاحي: مجموعة المعاني التي يمكن أن تتولد من اللفظة الواحدة داخل السياق، فيكون أحدها المعنى المركزي أو الرئيسي للفظة، ويكون المعنى الآخر كالظلال له(٢).

أما الدكتور أسامة جاب الله فعندما عرّف الدلالة الإيحائية، ربط بين إيقاع الألفاظ ودلالتها الإيحائية بقوله: "هي شعور داخلي توحي به النفس الإنسانية بما تتأثر به من أصوات تحيط بنا"(٣).

وفي رأيي أن هذا الكلام ينطبق على الفواصل القرآنية بالدرجة الأولى؛ لأنها -كما وصفها أحد الباحثين- تعد بإيقاعها مركز الثقل بما تضيفه من لمسة جمالية فريدة أشبه باللحن الموسيقي القادر على الإيحاء والتأثير الفني والجمالي، فهي طريقة متميزة من طرق التعبير الذي ينساب مع نظم السورة وسياقها، فلا تنفصم جزئياتها عن المكون التركيبي للآية، والسياق العام للسورة ككل، بما تؤديه من دلالة تتناسب مع معاني السورة ومقاصدها(٤).

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣٧٩/١٥-٣٨١، ومقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٣/٦، ومختار الصحاح، للرازي، ٣٣٤/١.

(٢) التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، دراسة بلاغية، د.جنان منصور كاظم الحبوري، جامعة بغداد، العراق، مجلة كلية التربية، ابن رشد، قسم اللغة العربية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص١٢٣.

(٣) دلالات الألفاظ في التفكير البلاغي: دراسة تحليلية، د. أسامة جاب الله، جامعة كفر الشيخ، مجلة كلية الآداب، ص٥٨.

(٤) انظر: الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النص القرآنية، للدكتورة جنان محمد معدي، مجلة كلية البنات، المجلد ٢١، ص٢٠١٠.

فالكلمة توحي بأكثر من مدلولها الظاهري، فقد تنطوي على جملة من المعاني الأخرى، وهي المقياس الفني لتقدير قيمة اللفظ، وبقدر ما ينتجه ذلك اللفظ من إيحائية خاصة به، وقيمة اللفظ تتأثر بهذه الإيحائية ونوعيتها قوةً وضعفًا، فكلما كانت إيحائية الكلمة عالية، كانت قيمة تلك الكلمة فنيًا عالية أيضًا، والعكس بالعكس[١]، والفواصل القرآنية بشكل عام تمتاز بالثراء الدلالي الإيحائي؛ إذ تعد أقوى أسباب التأثير في النفس.

وعندما يعدل النظم الحكيم عن الإيقاع الرتيب، ويخرج إلى فاصلة منفردة تكسر حدة الإلف، فهو في قمة العمل الإبداعي المكتنز بطاقته الإيحائية، والمرتوي بالدلالة التي لا تظهر إلا بالتأمل والتدبر والتفكر، وهو ضرب من الإعجاز الرباني اللغوي المرتبط بكلام الله وحده؛ إذ لو وُجد في كلام البشر لعُد عيبًا؛ لأن المغزى عند الشعراء هو توافق خواتيم الأبيات من الناحية الصوتية فقط، أما الفواصل القرآنية فيتشابه جَرْسها في الأُذن، ولا يتطابق بالضرورة في الحرف، وهي تجمع بين حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وحسن الدلالة، فهي متنوعة على مدار السور؛ لغرض إتمام المعنى، وليس لإتمام التسجيع[٢].

"فالإيقاعية القرآنية فاعلية جمالية، من شأنها تحديد البنية الشكلية للسورة، وذلك من خلال مستواها الخارجي المُجسَّد بالفواصل، فليس مجرد شكل يجاري السورة في جملها، بل هو تنظيم متوال لعناصر متغيرة كيفًا في خط واحد، بصرف النظر عن اختلافها الصوتي"[٣].

فالفاصلة عندما تأتي فريدة يصبح لها سطوتها التي تشحذ أذهان المتلقين، وتثير عقولهم ليتأملوا دلالتها الإيحائية، وما استكن فيها من أسرار الكتاب المعجز.

والمتأمل لنظم الآيات في سورة "الكافرون" يجد أن كل حرف منها يزخر بدلالات إيحائية مؤثرة متحدية ابتداءً من العتبة الأولى التي يدلف منها المتلقي بما فيها من نداء حازم صارم،

---

(١) انظر: الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية بلاغية، محمد حسين علي الصغير، دار الهادي للنشر، ١٩٩٢م، ص ١٧٦.

(٢) انظر: فواصل الآيات القرآنية، للدكتور كمال الدين عبدالغني مرسي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص٥٨-٦٠.

(٣) مستوى السرد الإعجازي في القصة القرآنية، شارف رمزي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص١٤١.

وقد افتتحت هذه السورة بـــ"قل" للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام أراد-سبحانه- إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلّغه، وابتداء خطابهم بالنداء لإبلاغهم؛ لأن النداء يستدعي إقبال أذهانهم إلى ما سيلقى عليهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١]، ثم وصفهم ب"الكافرون" تحقيرًا لهم، وتأييدًا لوجه التبرؤ منهم، وإيذانًا بأنه لا يخشاهم، إذ ناداهم بما يكرهون مما يثير غضبهم"[٢].

وحين نتتبع مفردات السورة نجد "أنها مفردات محدودة لا تتجاوز ثلاث مواد لغوية، وهي تتسم بأنها كلمات واضحة مختصة بأحوال العقيدة، وما يتصل بها من اليوم الآخر، وهي: مادة: كفر: (الكافرون)، ومادة: عبد: (أعبد)، (عبدتم)، ومادة دين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾[٣]"[٤].

وأكثر هذه المواد حضورًا في السورة هي مادة: (عبد)، والعبادة كما عرَّفها ابن منظور: "الطاعة مع الخضوع، وأصل العبودية الخضوع والتذلل"[٥]، أما الأزهري فيقول: "لا يقال: عبد يعبد عبادة إلا لمن يعبد الله، وأما عبد: خدم مولاه، فلا يقال: عبده"[٦]، وقال الراغب: "العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله -تعالى-"[٧]، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٨].

---

(١) سورة الكافرون: الآية ١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠/٥٨٠-٥٨١.

(٣) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٤) تصعيد الخطاب في سورة الكافرون، قراءة في ضوء النص، د.حليمة أحمد عمايرة، المجلة العلمية لبحوث القرآن، المجلد٢، العدد٢، ٢٠١٢م، ص٣٧.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣/٢٧١-٢٧٣.

(٦) معجم تهذيب اللغة، للأزهري، ٢/١٣٩.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٥٤٢.

(٨) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

وقد أطلْنا الوقوف عند هذه اللفظة بالذات؛ لأنها محور حديثنا، ولبيان الفروق بين الألفاظ المأخوذة من الجذر اللغوي: (عبد)، فهي تغطي ثلثي السورة، حيث وردت ثمانية ألفاظ تنتمي لمادة: (عبد) في أربع آيات، من أصل ست آيات، فهي تسير على أنماط متقاربة في التراكيب، ولكنها متعددة في الدلالات، فهي تأتي تارة في جمل اسمية تتسم بالثبات، وتارة في جمل فعلية تتسم بالتجدد والحدوث[١].

فعندما نفى رسول الله ﷺ عن نفسه عبادة ما يعبد الكافرون، نفاها بالحالين: الاسمية والفعلية، ففي قوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾[٢]، (أعبد) فعل مضارع في معنى الاستقبال، و(تعبدون) فعل مضارع في معنى الحال، "إذ إن (لا) لا تدخل إلا على المضارع في معنى الاستقبال، كما أن (ما) لا تدخل إلا على المضارع في معنى الحال"[٣].

وفي قوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤﴾[٤]، (عابد) اسم فاعل، و(عبدتم) فعل ماض، وبهذا يكون نفى عن نفسه عبادة ما يعبدون بالاسمية الثابتة، وبالفعلية المتجددة، ونفى عنهم عبادة ما يعبد بالجملة الاسمية فقط﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥﴾[٥]؛ للدلالة على الثبات، وفي هذا دليل على أن إصراره وعزيمته على عبادته ودينه أقوى من إصرارهم، فالمقابلة بين الإيمان والكفر لا يمكن أن تقبل المساومة والتنازل[٦].

وعندما نتتبع فواصل السورة نجد أنها قد حُمِلت بطاقات إيحائية متعددة تتغلغل في خلجات النفس الإنسانية لتوحي بما خلفها من دلالات، وإليك الفواصل في سياقها، قال تعالى: ﴿قُلۡ

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، ١٣٣/٢٢، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ، ١٨٧/١.

(٢) سورة الكافرون: الآية ٢.

(٣) الكشاف، للزمخشري، ٨٠٨/٤.

(٤) سورة الكافرون: الآية ٤.

(٥) سورة الكافرون: الآية ٣.

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٨٠٨/٤-٨٠٩، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٢٨/٢٠-٢٢٩، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ٢٠٦/٩، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٥٨١/٣-٥٨٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾[١].

لقد جرت ثلاث فواصل على روي النون المردوف بحرف المد، الواو في موضعين متتاليين: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾[٢]، وجاء موضع واحد مختوم بروي النون المردوف بحرف المد الياء ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾[٣]، والنون حرف مجهور يتسم بالقوة والوضوح السمعي[٤]، وهو إيقاع يتناسب مع جو الشدة والصرامة والحزم.

وجاءت فاصلتان على روي الدال: ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣﴾[٥]، وهو إيقاع يناسب أسلوب التحدي؛ لما يصاحبها من صوت يشبه النبرة عند الوقوف عليها، وإرادة إتمام النطق بها، وهذا الصوت في الوقف عليها أبين منه في الوصل، وهو ما سماه علماء التجويد بالقلقلة[٦].

ووردت فاصلة واحدة فريدة على حرف الروي: (الميم)، وعلى الرغم من قرب مخرجها من مخرج (النون) إلا أن ما يميزها أنها جاءت مردوفة بحرف التاء: (عبدتم) مع ما فيها من إدغام، حيث أدغمت الدال في التاء، وهذا الإدغام في حقيقته الصوتية -كما ذكر احد الباحثين- دمج صوت في صوت مقارب له في موضع النطق مع اختلاف بينهما في بعض

(١) سورة الكافرون: الآيات من ١ إلى ٦.

(٢) سورة الكافرون: الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٤) انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٥٨.

(٥) سورة الكافرون: الآيتان ٣.

(٦) انظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لأبي محمد القيسي، ص١٢٤.

السمات والملامح الصوتية، حتى يظهر الصوت المدغم وكأنه صوت مماثل للصوت الذي أدغم فيه، فيظهر الصوتان وكأنهما صوت واحد مشدَّد[١].

وهذا النوع من الإدغام[٢] مع ما يصاحبه من ارتفاع اللسان ولزومه مكانًا واحدًا ينحبس معه الصوت لوهلة من الزمن عند النطق به، يُسْهِم في إبراز الضمير العائد على الكافرين في قوله: (عبدتم) ويتناسب مع النبرة المتحدية المبلّغة، بالإضافة إلى مجيء ضمير المتكلم في أول الآية ظاهرًا: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾[٣].

وعلى خلاف الآية الثانية، فقد جاء فيها الضمير مستترًا:﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾[٤]، فالنظم الحكيم آثر روي (الميم)، وعدل في الردف إلى التاء المشددة، فلم يقل: (ولا أنا عابد ما كنا نعبد)؛ لتتناسب مع إيقاع ما قبلها وما بعدها﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾[٥]؛ ليشير بهذا الإيقاع المنفرد إلى انفراده ﷺ عما كان يعبد هؤلاء الكافرون في الجاهلية، فقد كانوا منكبين على عبادة الأصنام، أما الرسول الكريم فلم يعهد منه ﷺ عبادة صنم قط في الجاهلية، وهو ما استلهمه الشيخ الطاهر بن عاشور في قوله: (عبدتم) تدل على رسوخهم في عبادة الأصنام من أزمان مضت، وفيه رمز إلى تنزهه ﷺ عن عبادة الأصنام من سالف الزمان، وإلا لقال: (ولا أنا عابد ما كنا نعبد)[٦].

---

(١) انظر: الإقناع في القراءات السبع، ص١٢٣، وبحث بعنوان (تصعيد الخطاب في سورة الكافرون، قراءة في ضوء لسانيات النص)، د.حليمة أحمد عمايرة، ص٤٣.

(٢) وهذا النوع يسمى (المتجانسان)، وهما الحرفان اللذان اتفقا مخرجًا، واختلفا صفة دون النظر إلى الاختلاف في الصفة، مثل: (الثاء والذال)، و(الدال والتاء). انظر: العميد في علم التجويد، محمود المصري، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، دار العقيدة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص٧٥.

(٣) سورة الكافرون: الآية ٤.

(٤) سورة الكافرون: الآية ٢.

(٥) سورة الكافرون: الآية ٥.

(٦) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٥٨٣/٣٠.

وفي سورة محمد ﷺ، ذات الإيحاء الجليل جرت الفواصل متماثلة على ضمير الجمع للمخاطب: (أقدامكم، أرحامكم، أعمالكم،... إلخ)، أو للغائب: (بالهم، أعمالهم، إسرارهم،... إلخ)، فجميع الفواصل انتهت بمقطع مقفل على الميم؛ ليتناسب هذا الإيقاع العنيف مع أجواء القتال الرنانة وسل السيوف في هذه السورة، التي أطلق عليها: (سورة القتال)، كما ذكر ابن عاشور؛ لأنها ذكرت فيها مشروعية القتال، ولأنها ذكر فيها لَفْظُهُ في قوله تعالى: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾[١]، فتكون تسميتها تسمية قرآنية[٢]، فهو اسم حقيقي لها، فالقتال موضوعها، والقتال العنصر البارز فيها، والقتال في صورها وظلالها، والقتال في جرسها وإيقاعها[٣].

والملاحظ أن تماثل الروي، ووحدة الإيقاع في فواصل السورة قُطع بفاصلتين منفردتين في صلب السورة، ختمتا بضمير المؤنث المفرد، الأولى: في فاصلة الآية العاشرة: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾[٤]، والثانية: فاصلة الآية الرابعة والعشرين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٥].

وقد ذكر السامرائي في الحديث عن هاتين الفاصلتين "أنه قد يؤتى بفاصلة واحدة وليس في سياقها مثلها، وربما كانت على نمطها فاصلة أخرى في السورة نفسها في موضع آخر، كما

(١) سورة محمد: الآية ٢٠.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٧١/٢٦.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٢٧٨/٦.

(٤) سورة محمد: الآية١٠.

(٥) سورة محمد: الآية ٢٤.

في قوله تعالى في سورة محمد: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ وليس في سياقها على نمطها، غير أنه ورد نحو ذلك في موضع آخر من السورة ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾"(١).

وإذا أنعمنا النظر وجدنا أن هاتين الفاصلتين انتهتا بالألف الممدودة التي توحي بما يصاحبها من امتداد الصوت إلى أعلى بشيء من الندامة والحسرة، والدعوة إلى التأمل في مصير الأمم السابقة، بالإضافة إلى أن هذه الفاصلة المنفردة يحدث معها إيقاع مختلف مفاجئ ينبه السامع ويجعل تركيزه منصبًّا على ما تحمله من دلالة تراد لذاتها.

وقد صور لنا صاحب الظلال ما توحي به فواصل هذه السورة بقوله: "إنها معركة مستمرة من بدء السورة إلى ختامها، يظللها جو القتال، وتتسم بطابعه في كل فقراتها، وجرس الفاصلة وإيقاعها منذ البدء كأنه القذائف الثقيلة، كما في قوله: (أعمالهم، مالهم، بالهم، أمثالهم، أهوائهم، أمعائهم، ...)، وحتى حين تخفُّ فإنها تشبه تلويح السيوف في الهواء: (أوزارها، أمثالها، أقفالها).

ومع أن (أوزارها) لم ترد فاصلة في نهاية الآية، وإنما جاءت في وسط الآية، وهي ما تسمى بالفاصلة الداخلية، إلا أنها مهدت لمجيء الفاصلتين المنفردتين بعدها، وبتتبع الفاصلة المنفردة الأولى في سياقها، يتضح لنا سر العدول عن روي السورة المتماثل إلى هذه الفريدة قال تعالى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ

(١) انظر: من أسرار البيان القرآني، للسامرائي، ص١٦٤.

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ ﴾[1]"[2].

"وإن المتأمل لهذا السياق يلحظ الشدة في نبرة خطاب الله للمؤمنين، ودعوتهم إلى استخدام القوة في ردع الكافرين، وحمل السلاح دفاعًا عن الحق، وبذل المهج في سبيل نصرة دين الله، حتى يكونوا جديرين بنصر الله، مُضيًّا مع سنة الله في ابتلاء بعض الناس ببعض، وضرب الباطل بيد أنصار الحق، حتى إذا ما قرر هذه المعاني في نفوس المؤمنين غيَّر نبرة الحديث، حين دعا الكافرين إلى التأمل والنظر في مصارع الهالكين من الأمم السابقة، ولا تزال آثارهم ماثلة أمام أعينهم، واستخدام أسلوب الاستفهام التقريري في التمهيد للانتقال من الخبر إلى الإنشاء، وتهيئة الأسماع لتغير الإيقاع في الفاصلة، وهو ما عمد إليه القرآن عمدًا في إيثار الضمير المؤنث المفرد العائد على العاقبة أو الهلكة في (أمثالها).

وذلك لأن المد بالألف يناسب الدعوة إلى التأمل وإنعام النظر، وهو يطلق الخيال لتصور ما ينتظر الكافرين من عقاب لا يقف عند حدود المثلية، وإنما هو عقاب مضاعف بما في معنى الجمع من الكثرة، ولولا أن النظم قصد بهذه المغايرة في الإيقاع نحوًا مما ذكرت لجاء النظم (والكافرون أمثالهم)، لتحقيق التآلف في النغم"[3] خاصة وأن كلمة الفاصلة المنفردة وردت في السورة نفسها منتهية بضمير الجمع للغائب في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ ﴾[4]، ومنتهية بضمير الجمع للمخاطب في قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم

---

(١) سورة محمد: الآيات من٤ إلى ١١.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٢٨٠.

(٣) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٥٢.

(٤) سورة محمد: الآية ٣.

﴿مَن يَبْخَلْ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[1].

أما الفاصلة المنفردة الثانية في السورة نفسها، فجاءت عندما انتقل السياق إلى تصوير موقف المنافقين من الجهاد، وبكشف ما في نفوسهم من جبن وخور وذعر عندما يواجهون التكليف فهم يفقدون تماسكهم، ويسقط عنهم ستر الرياء الذي يتسترون به[2].

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[3].

لقد آثر النظم الحكيم الضمير المؤنث المفرد العائد على القلوب؛ ليوحي طول المد بالألف إلى قساوة هذه القلوب، وشدة انغلاقها، وعدم قبولها للحق، وقد أحسن بعض الباحثين القول عندما عللوا مجيء هذه الفاصلة منفردة بقولهم: جاءت فاصلة الآية الرابعة والعشرين في سورة محمد ﷺ منفردة في سياق حافل في بنائه وجرس ألفاظه بالشدة في مواجهة هذا الفريق المخادع، كما حفل بالتنوع في الأساليب، وطرق الأداء.

وجاء هذا التنوع في الأساليب -كما ذكر د. محمد الخضري-متنقلاً بين الخبر والإنشاء تارة، وتلوين الضمائر تارة أخرى، وثالثة بتغيير الإيقاع في نسق القرائن، فتطول عند حكاية دعاوى المنافقين، وتقصر في الردود الموجزة عليها، وتارة رابعة بتغيير إيقاع الفواصل، فتأتي

---

(١) سورة محمد: الآية ٣٨.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٢٩٦/٦.

(٣) سورة محمد: الآيات من ٢٠ إلى ٢٤.

الفاصلة المفردة: (أقفالها) بين فواصل متماثلة منتهية بضمائر الجمع للغائب؛ ليجسد المد بالألف الدعوة إلى تدبر القرآن وتأمل معانيه، وليومئ طول المدّ بشدة إحكام غلق القلوب، وعدم نفاذ الحق إليها.

ويتعاون الالتفات من ضمير الغائب ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ إلى ضمير المخاطب ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾، ثم العودة إلى الغائب مرة ثانية ليتعاون هذا الالتفات بما فيه من مخالفة للتوقع، مع المفاجأة التي أحدثها تغيير إيقاع الفاصلة المنفردة في تحديد نشاط السامع، وإيقاظه، وتركيز انتباهه على هذه الأسماع، التي تصامت عن الحق، والقلوب التي ختم الله عليها[1].

ويبدو مما سبق أن الانفراد في الفاصلة يوحي بدلالة خفية تحتاج إلى استنطاق، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾[2].

وقد وردت فاصلة الآية رقم مائة وسبعة منفردة عن فواصل آيات السورة كلها، فلم تلتزم بحرف الردف سواء الألف أو الياء أو الواو، على خلاف فواصل السورة التي التزمت بحرف مد قبل حرف الروي، وذلك بعد أن وَضَح للمشركين أن مثل هذا القرآن لا يكون إلا منزلاً من عند الله، وكشَف شبهتهم في تنجيم القرآن، ولتكون الإحاطة به والوقوف على دقائقه وحقائقه أسهل، وأمر رسوله ﷺ بأن يجابه قومه بهذا الحق ويدع لهم حرية الاختيار، إن شاءوا آمنوا بالقرآن، وإن شاءوا لم يؤمنوا به، فجاءت هذه الفريدة لتجسد مشهداً موحياً،

(١) انظر: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د.الخضري، ص١١٥٢-١١٥٣.

(٢) سورة الإسراء: الآيات من ١٠٥ إلى ١٠٩.

يلمس الوجدان، ويصور للأذهان ويرسم تأثير هذا القرآن في الذين أوتوا العلم من قبله، وهم أصحاب القلوب المفتوحة، لاستقبال فيضه العارفة بطبيعته وقيمته[١].

فالفاصلة المنفردة: (سجدًا) جاءت خالية من حروف المد حتى تكون أبلغ في تصوير ردة فعل الذين أوتوا العلم من قبله؛ إذ إنهم لا يتمالكون أنفسهم عند سماع القرآن، فهم لا يسجدون، وإنما ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[٢]، فحذف حرف المد؛ ليومئ إلى سرعة استجابة الذين أوتوا العلم، وسقوطهم السريع من العلو إلى الأسفل، وهذا لا يمكن أن تجسده الفاصلة لو لحقها حرف المد بما فيه من امتداد الصوت، وهذا الكلام ما هو إلا امتداد لما ذكره الرازي في تفسيره حين قال: "لِمَ قال:(يخرون للأذقان سجدا)، ولم يقل: (يسجدون)؟ والجواب: المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم إلى ذلك حتى أنهم يسقطون"[٣].

ويقول الدكتور السيد خضر في معرض حديثه عن الفواصل في سورة الإسراء: "قد وردت فاصلة الدال مرة بغير وجود المد المعتاد قبل حرف الفاصلة في هذه السورة، وهو أمر نادر في الفواصل عمومًا، ويعلل ذلك بأن فعل السجود: (يخرون سُجَّدًا) بما فيه من سرعة يصورها الفعل: (يخر) هو الذي اقتضى عدم وجود هذا المد، ليتحد اللفظ مع دلالته اتحادًا تامًا، وذلك أن وجود المد قد يوحي بالتراخي، وهو أمر نلاحظه، ولا نقطع به قطعًا"[٤].

ولسوف نلاحظ أثر الفاصلة المنفردة جليًّا في الدلالة المعنوية، وهو موضوع المبحث التالي والأخير من هذا الفصل.

*****

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ٤١٧/٢١، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢٢٥٤/٤، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣٢/١٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٧.

(٣) مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، للرازي ٤١٨/٢١.

(٤) فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية، للدكتور السيد الخضر ص١٨٦.

المبحث الثاني

الدلالة المعنوية للفَاصِلة المنفردة

المبحث الثاني
الدلالة المعنوية للفَاصِلة المنفردة

من العجب أن يزعم زاعم أن القرآن يتعمد في نظمه رعاية الفاصلة والحفاظ على المشاكلة مع رؤوس الآي الأخرى فحسب، دون الانتباه إلى الغرض المعنوي، كما نظر بعض المفسرين والبلاغيين إلى النسق القرآني للفاصلة من الوجهة الشكلية فحسب، وهي نظرة أُحادية الجانب، إذ يعللون للجانب الموسيقي بأنه جاء قصدًا لرعاية الفاصلة، فقد يقدم القرآن أو يؤخر أو يحذف أو يزيد حرفًا على الكلمة، أو يؤثر لفظة على أخرى في معناها، أو يعدل من صيغة إلى أخرى.. إلى غير ذلك لمراعاة الفاصلة أو مراعاة حسن النظم السجعي، أو الفضيلة السجعية، أو بتعبير الفراء لمشاكلة المقاطع، ورؤوس الآيات، وكأنه نزل على ما يستحب العرب من موافقة المقاطع(١).

وقد استهجن الزمخشري مثل هذا القول فيما نقله السيوطي عن الكشاف القديم: "لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سردها، المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة"(٢).

وهذا ما أشارت إليه د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) في كتابها "الإعجاز البياني للقرآن" بقولها: "مقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عند إدراكه"(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد النجار وعبدالفتاح إسماعيل، دار الكتب المصرية، مصر، ط١، ٢٢٤/٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٤١١هـ، ٥١٦/٦، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، ١٧٤/٢، ومن بلاغة القرآن، لأحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م، ص٩١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣٥٩/٣.

(٣) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، للدكتور عائشة عبدالرحمن، ص٣٥.

وفي هذا الصدد يقول أحمد أبو زيد: "والفاصلة القرآنية تأتي متمكنة في موقعها مستقرة في مكانها، يتعلق معناها بمعنى الآية، بحيث لو طرحت أو غُيرت لاختل المعنى وفسد النظم؛ لأنها لم تكن لمجرد تحلية لفظية، بل جزء أصيل من المحكم للعبارة، إن لم تكن هي حجر الزاوية في ذلك البناء"(١).

وأوافق د. علي الجندي على قوله: "لا ننكر ما للسجع والازدواج من أجراس شاجية، تكسب الكلام أناقة وحلاوة، وتجعل له وقعًا نديًا على السمع والقلب، ولكنا لا نستطيع بحال أن نتزله هذه المتزلة الخطيرة التي يستباح معها الخطأ في الكلام، والتي تسحب ذيل الإغفال والإهمال على كل غرض آخر، وبخاصة حينما يتصل الأمر بكلام الله وكلام رسوله"(٢).

هذه هي النظرة المعتدلة إلى فواصل القرآن، "فالبلاغة من حيث هي فن القول لا تفصل بين جوهر المعنى وبين أسلوب أدائه، ولا تعتد بمعان جليلة تقصر الألفاظ عن التعبير البليغ عنها، كما لا تعتد بألفاظ جميلة تضيع المعنى أو تجور عليه، ليسلم لها زخرف بديعي، فهذا هو الحد الفاصل بين فنية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية، بدلالتها المعنوية المرهفة، ونسقها الفريد في إيقاعها الباهر، وبين ما تقدمه الصنعة البديعية من زخرف لفظي يُكره الكلمات على أن تجيئ في غير مواضعها البيانية"(٣).

فالقرآن الكريم بني على مراعاة المعاني قبل الألفاظ، وهو أيضًا يراعي الفاصلة كونها من أقوى أسباب التأثير في النفس؛ لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير، وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية، فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات أو يسمعها(٤).

---

(١) التناسب البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد، ص ٣٦٩.

(٢) صور البديع في الأسجاع، علي الجندي، ص ٢١٩.

(٣) الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، لعائشة عبدالرحمن، ص٢٧٨.

(٤) انظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل المعاني، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٠م، ص٣٥٩.

والفاصلة القرآنية هي مصدر الإيقاع في العبارة القرآنية، ولها دور كبير في إحكام المعنى والمبنى، وهي: "تحمل شحنتين في آن واحد: شحنة من الواقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية"(١).

وهي مخزون من المعاني يتأملها القارئ لمعرفة ما تشتمل عليه من معان ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمضمون الآية، وهي تمثل نهاية الشعور الذي يسيطر على القارئ من جراء المعاني الإلهية المختلفة في سياقها(٢)، وبهذه النظرة المعتدلة تنزه القرآن عن أن يقهر المعاني – في سبيل تحقيق هذه الغاية – على ارتداء ما لا يناسبها من الألفاظ، وتظهر وظيفة الفواصل واضحة جلية في مقولة الرماني: "والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر" (٣).

ومن هنا يتبين لنا أن للفاصلة القرآنية غاية أعظم من كونها تسعى لمشاكلة رؤوس الآيات، فهي تهدف إلى بيان معنى قصد إليه النظم، بالإضافة إلى أثرها في نسق الكلام وتماثل الحروف، مما يريح السمع ويجذب انتباهه، وما دامت كذلك وجب أن تختلف الفواصل بحسب الغرض الذي تهدف إليه السورة.

والفواصل لم تأت عبثًا، بل جاءت لتؤدي معنى تتسم به الفائدة وتقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام به، والفاصلة وإن كانت جزءًا من النغم إلا أنها محكومة بالمعنى الذي يفرضه السياق أو الحالة النفسية التي يريد القرآن الكريم للسامع أن يكون عليها، ومن أجل ذلك قد يُضحي بالفاصلة والموسيقا المتناغمة من أجل نغمة أخرى تخالف ما قبلها وما بعدها طلبًا لتصوير فني يفوت مقصده لو جُعلت الفاصلة متناغمة مع بقية الفواصل في السورة(٤).

---

(١) التعبير الفني في القرآن، بكري أمين، ص ٢٠٣.

(٢) انظر: دراسات فنية في القرآن الكريم، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ١٩٠.

(٣) النكت في إعجاز القرآن، للرماني، ص٩٩.

(٤) انظر: أبحاث في أصوات العربية، د.حسام النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٩٨م، ص ١٤٣، وما بعدها، والفاصلة القرآنية وحقائق اللغة فيها، دراسة في أثر الفاصلة في بيان المعنى في القرآن الكريم، سورة هود نموذجًا، د. خلف قصي محمود، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العراق، العدد ١٤، ٢٠٠٨م، ص٣١.

ومن المواطن التي خالفت فيها الفاصلة ما قبلها وما بعدها تلك الفريدة التي قطعت تآخي الفواصل في سورة الأحزاب المكوَّنة من ثلاث وسبعين آية جاءت فواصلها مطلقة على حرف الألف في نحو اثنتين وسبعين آية، وفي آية واحدة فقط جاءت فاصلتها مقيدة مبنية على حرف اللام في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾[١].

وقد تكررت الفاصلة نفسها في سورة الأحزاب في موضع آخر، لحقتها ألف الإطلاق في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾[٢]، وهي الزيادة التي رآها العالم الجليل: تمام حسان جاءت لرعاية الفاصلة حيث قال: "ومع ذلك تأتي ألف الإبدال في القرآن في كلمات اقترنت بـــ"أل" التعريف، وكانت الألف في هذه الحالة لرعاية الفاصلة"[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾[٤]، و: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾[٥]، و: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾[٦].

ورآها بعض المفسرين على أنها ألف تثبت في الوقف اتباعًا للرسم وموافقة لبعض مذاهب العرب؛ لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي شعرهم، فزيدت الألف لتساوي المقاطع، وتناسب

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

(٣) البيان في روائع القرآن، د.تمام حسان، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٦.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

الفواصل كما يفعل في القصائد المقصورة[١]؛ إذ إن "قومًا من العرب يجعلون أواخر القوافي إذا سكتوا عليها على مثل حالها إذا وصلوها؛ وهم أهل الحجاز، وجميع العرب إذا ترنموا في القوافي أثبتوا في أواخرها الياء والواو والألف"[٢].

ولعل النظرة المحملة إلى تعريف الفاصلة على أنها "قرينة السجع وقافية البيت في الشعر"[٣]، كان سببًا رئيسًا في محاولة رد أمثال تلك الفواصل إلى مراعاة التناسب الإيقاعي، كما هو الحال في الشعر والنثر المسجوع؛ لذا نظر أصحاب هذا الرأي إلى حرف الوصل في فواصل القرآن نظرهم إلى حروف الوصل في الشعر، على اعتبار أن الوصل[٤] "قرين الروي غير المقيد؛ لأن تقييد الروي معناه الصمت عنده، ومن ثم فإن إطلاق الروي جريان به إلى الوصل، وما دام الوصل تتمة للروي فاللزوم فيه بداهة متحقق ما دمنا قد التزمنا حد الروي"[٥].

ولو كان هذا اللزوم متحققًا في جميع فواصل الآيات بقصد رعاية الفاصلة -على حد قولهم- لألحق القرآن الكريم ألف الإطلاق في الآية الرابعة لتصبح (السبيلا)، كما حدث في الآية السابعة والستين، فرعاية الفاصلة ليست غرضًا أساسيًّا في الإلحاق وعدمه؛ لذلك وجب علينا أن نتتبع هذه الفواصل ونستمع لهمس سياقها، ونعم النظر فيما قيل فيه بمخالفة الأصل بحثًا عن الغرض من هذه المخالفة.

ولنبدأ بالآية الأولى المنفردة عن بقية فواصل السورة، والتي لم يضف إليها ألف المد بعد اللام في الآية الرابعة (السبيل)، وخير ما قيل في تعليل مجيء هذه الفاصلة منفردة بما يظهر بلاغة النظم الحكيم ما قاله الدكتور عبدالجواد طبق؛ إن هذه الآية الكريمة أوردت ثلاثة أمور لم تجر

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٦١/١، وروح المعاني للألوسي، ١٥٥/١٢، والكشاف، للزمخشري، ٥٢٧/٣، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٨٢/٢١. القصيدة المقصورة: هي التي تأتي على روي الألف المقصورة، وقد تبلغ القصيدة المقصورة ألف بيت، كمقصورة حازم القرطاجني وابن دريد والجواهري وغيرهم.

(٢) معاني القرآن، للأخفش، ٧٩/١.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ٣٤١/١، وانظر: القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، للمخللاتي، ص١٢٤.

(٤) انظر: إيقاع الفواصل المنفردة، دراسة ودلالة، د.محروس السيد بريك، ص١٨٠.

(٥) القافية تاج الإيقاع الشعري، د.أحمد كشك، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص٦٢، ٦٣ .

على ما هو مألوف في طبيعتها، وذلك في حيز النفي المصاحب لكل منها:

الأمر الأول: هو جعل قلبين في جوف رجل واحد.

والثاني: جعل الزوجة أمًا.

والثالث: جعل الدعي ابنًا.

ولما كانت هذه الأمور الثلاثة خارجة عن النمط المألوف والفطرة السليمة والطبائع المستقيمة والمنهج السوي، كان من المناسب أن تأتي كلمة الفاصلة: (السبيل) على طبيعتها المألوفة دون زيادة ولا نقصان، وكأن في ذلك إشارة إلى أنه -سبحانه وتعالى- يهدي إلى السبيل المستقيم الذي لا يقبل زيادة ولا نقصانًا ولا خروجًا عن المألوف، يهدي إلى السبيل الذي يتفق مع الفطرة السليمة والطبائع السوية[١].

واكتشف الأستاذ محمد الأمين الخضري سرا دقيقا لمجيء الفاصلة منفردة يكشف عنه قوله: إن إفراد الفاصلة هنا قصد إليه القرآن قصدًا في الآية الرابعة من سورة الأحزاب ليشير بهذا الانفراد إلى وحدة دين الله، وانفراده بالحق عن سائر السبل على حد قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾[٢]،كما أشار إلى انفراد الله بالهداية، وهو ما أكده تقديم لفظ الجلالة، وضميره على الفعلين (يقول) و(يهدي)، والتقديم يفيد الاختصاص الدال على تفرد الله -تعالى- بالحق فيما أنزله والأخذ بنواصي من يشاء من عباده إليه[٣].

أما زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، وفي قوله: ﴿وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾، وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾، فيرى بعض الباحثين أن الألف الزائدة في الآية الأولى لم تأتِ من أجل أن تتساوى المقاطع وتتناسب نهايات الآيات، بل جاءت من أجل غرض معنوي،

(١) انظر: دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، للدكتور عبدالجواد طبق، دار الأرقم للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص٢٢٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٣) انظر: كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د. الخضري، ص١١٤٧.

حيث أسهمت في إبراز الجانب النفسي للمؤمنين، إلى جانب إيراد الظنون مجموعة، والمصادر لا تجمع إلا إذا اختلف أجناسها(١).

فقوله: (الظنونا) أفاد أن فيهم من أخطأ الظن، ولو قال: (تظنون بالله ظنًا) ما كان يفيد هذا(٢)، فكأنها تشير بما فيها من امتداد الصوت "إلى إطلاق العنان للخيال الفزع والخواطر الشُّرَّد، حيث زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر"(٣).

وكأن الصوت في هذه الكلمة فيه إشارة إلى إطلاق الظنون وكثرتها، والذهاب بها كل مذهب، كما يمكن أن يكون بناء الكلمة على غير المألوف في الرسم إشارة إلى غير المألوف في هذه الظنون، كما يعللون للزيادة في الآيتين الأخيرتين بقولهم: إن مد الصوت بهذه الألف يشعر بتعظيم هذا الرسول و(السبيل) في الدنيا، حيث اتهموا الرسول ﷺ بالكذب والسحر والجنون، و(السبيل) بأنه سبيل ظلال وسحر وجنون، ثم تبين لهم خلاف ذلك في الآخرة بعدما عاينوا العذاب، وتيقنوا أنه حقٌّ، فكان من المناسب زيادة الألف بما فيها من إطلاق الصوت لتحاكي مد أصواتهم بالاصطراخ والعويل، وتجسيدًا للمشهد وكأننا نبصرهم يتقلبون في نار جهنم، ونسمع صراخهم وبكاءهم(٤).

أما الدكتور محمد الخضري فقد نظر إلى هذه الزيادة بنظرة فيها مواءمة بين جمال الشكل وعمق المضمون في قوله: "إن رعاية الفاصلة في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾، وقوله: ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾، وقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾، أومأ بها القرآن مع ما فيها من الجمال الناشئ عن قانون النظام ووحدة الإيقاع إلى الدلالة على عمق الظنون واتساعها في نفوس

(١) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ٤٥٨/٨، وانظر: التفسير الكبير للرازي، ٤٦٩/٢٧.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ١٦٠/٢٥.

(٣) من أسرار التعبير القرآني: دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط٣، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ص١١٤.

(٤) انظر: دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، د.عبد الجواد طبق، ص٢٢٣-٢٢٤، وإيقاع الفواصل المنفردة دراسة دلالية، د.محروس السيد، ص١٨٠-١٨١، والفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب، دراسة دلالية إيقاعية، لحامد عبدالعزيز أيوب، ص١٦٥-١٦٨.

المنافقين، فقابل زيادة المبنى بزيادة في المعنى، كما أومأت زيادة المد في الآيتين الأخيرتين إلى زيادة التندم والتحسر، كما هو معهود في إطالة الصوت لدى مواقف الحسرة والندم، وكأنها لون من التنفيس عن الضغوط النفسية التي تعتصر صاحبها من الداخل"(١).

وقد بدا لي أن هذا الرأي هو امتداد لما ذكره الباحثون، وتوسيع لدائرة الدلالات، وهو أن الفاصلة: (السبيل) لم تلحقها ألف الإطلاق عندما اقترنت بهداية الله -تعالى- مما أكسبها خفة وسلاسة في النطق تلائم قدرة الله، وأن هداية العباد أمر سهل ميسر لديه يتفرد به عن غيره، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾(٢).

أما الفاصلة: (السبيلا) فقد جاءت موصولة بألف الإطلاق عندما جاءت في سياق الشركاء وعلى لسان الكافرين، فهي تحتاج إلى امتداد الصوت لتعطي النَّفَس أطول مساحة أثناء النطق، وكأنه يشير إلى أنهم كانوا بعيدين عن سبيل الله كل البعد، وقد تصامت أسماعهم عن قول الحق، فلم يعوا ما فعلوا إلا عند هلعهم ورعبهم، عندما عاينوا عذاب الآخرة — والله أعلم بمراده — فهو أمر نستشعره ولا نقطع به.

والقول بأن العدول في الفاصلة سواء بالتقييد أو الإطلاق لرعاية الفاصلة، يتجاهل الفروق بين أغراض النظم واختلاف السياقات، فلو أن الغرض هو مراعاة الفواصل فحسب لزاد القرآن مد الألف في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾(٣).

ففواصل آياتها جميعها مطردة على المد بالألف كما في سورة الأحزاب، بل إن سورة الفرقان وردت فيها كلمة الفاصلة نفسها، وقد زيدت فيها ألف الإطلاق في خمسة مواضع في

(١) كسر الإيقاع ودلالاته في الفاصلة القرآنية، د.محمد الأمين الخضري، ص ١١٤٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١٧.

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾[1]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾[2]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾[3]، وقوله: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[4]، وقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[5].

والسؤال الذي يتبادر إلى ذهني: لَمَ رُوعيت الفاصلة في هذه المواضع وأهملت هناك، والآيات جميعها في سورة واحدة، وإيقاع الفواصل فيها متحد، لولا أن هناك غرضًا آخر مع الرعاية أو المخالفة؟!

إن هذه الفريدة جاءت مُعَرَّفة بـــ(أل) على خلاف الآيات الخمس الأُخر جاءت فيها الفاصلة نكرة؛ ليشير إلى أن سبيل الحق سبيل واحد معروف، أما سبل الضلال فكثيرة متشعبة، وهو ما صرح به د.السيد محروس بقوله: "جاءت فاصلة الآية السابعة عشرة في سورة الفرقان غير موصولة بالألف، في حين أن آيات السورة جميعها عدا هذه الآية جاءت موصولة بالألف، ولو كان تساوي الفواصل هو الغرض الأوحد للحقت ألف الوصل هذه الفاصلة كما لحقتها في المواضع الأخرى في السورة نفسها، إذ وردت كلمة: (سبيلا) نكرة موصولة بالألف أربع مرات في السورة نفسها، لكنه كان المعنى هو المقصود الأول للقرآن فوردت كلمة (السبيل)

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٩.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٧.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٣٤.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٤٢.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٤٤.

معرفة بالألف واللام؛ لأن سبيل الحق سبيل واحد معروف ولا سبيل غيره، أما سبل الضلال فكثيرة متشعبة لا تفضي بصاحبها إلا إلى الضلال، فلما كان سبيل الحق يخالف تلك السبل، جاءت الفاصلة مخالفة لتلك السبل – إيقاعيًا – لتتأكد المفارقة بين سبل الحق وسبل الضلال"[١].

ومما خولف فيه النظم لغرض معنوي تلك الفريدة التي وردت في سورة الانشقاق، الغنية بالتلوين الإيقاعي في فواصلها، فكل مقطع فيها يحتفظ بفواصل متماثلة وإيقاع متحد، إلا أنه عمد إلى فاصلة مقيدة على حرف الراء وسط مقطع جاءت فواصله موصولة بألف الإطلاق في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾[٢].

إن انفراد الفاصلة هنا، وقطع وحدة النغم أمر قصَده النظم الحكيم قصدًا، وإلا كان الممكن المحافظة على وحدة الإيقاع من غير تغيير في الفاصلة، وذلك بإضافة ألف المد لتصبح (يحورا) كما حدث في الآيات السابقة واللاحقة لها، وهذا التقييد في الفاصلة جعل الدكتور فاضل السامرائي مرجعه بالدرجة الأولى إلى دلالته المعنوية، حيث أشار إلى أن القرآن الكريم في بعض الأحيان لا يراعي الفاصلة، بل قد تأتي مغايرة عن غيرها؛ لأن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى، ومثَّل لذلك بفاصلة آية الانشقاق: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، ويرى أنه لو قال: (يحورا) لتغيَّر المعنى، وفي هذا دلالة على أن القرآن يُراعي المعنى قبل مراعاة الناحية اللفظية[٣].

ولكنه لم يقل شيئًا يبرر به هذه المغايرة سواء في الفواصل التي لحقتها الألف أو التي لم تلحقها ألف، ولعلي أعضد لرأيه بما لدي حتى تتضافر الجهود للكشف عما صاحب هذه الفواصل المتغايرة من أسرار البيان، بيقين منا أن كلام الله يتعانق فيه حسن اللفظ مع سمو المعنى.

---

(١) انظر: إيقاع الفواصل المنفردة، دراسة دلالية، د.محروس السيد، ص١٨٢.

(٢) سورة الانشقاق: الآيات من ١١ إلى١٥.

(٣) انظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل، محاضرات للدكتور فاضل السامرائي، إعداد: أبو العز، ص٥٣٨.

لقد آثر النظم الحكيم هذه الفواصل المعتمدة على ألف المد بعد حرف الروي والمد الواقع حرفَ ردف قبل حرف الروي؛ ليجسد بهذا المد الطويل الصاعد إلى الأعلى مع ما في حرف الراء من الشدة والجهر:[١] التحسر والتوجع وسوء الحال التي يعيشها المشركون يوم القيامة، بعد أن انقلبت حياتهم من السرور الذي كان في الحياة الدنيا إلى ألم النار في الآخرة، وإطلاق كلمة الفاصلة: (البصير) في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾، ليشير بهذا المد إلى علم الله التام بكل شيء[٢]، وكأنه يضغط عليهم ويشعرهم بأن كل شاردة وواردة صغيرة أو كبيرة هي في علم الله وتحت بصره.

وفي وسط هذا الإيقاع الممتد جاءت الفاصلة المنفردة: (يحورا) مقيَّدة موقوفًا عليها بالراء الساكنة بما فيها من تكرار[٣]، يضطرب معه اللسان عند نطق الحرف؛ لتلفت بإيقاعها المخالف بين الفواصل الممتدة إلى غرابة تفكير المشركين وإنكارهم للبعث بعد الموت، وأنه لا رجعة إلى الله -تعالى- مبعوثًا محشورًا[٤]؛ لذا سُبقت الفاصلة "بحرف: (لن) الدال على تأكيد النفي، وتأييده لحكاية جزمهم وقطعهم بنفيه"[٥].

ولأحد الباحثين وجهٌ في انفراد هذه الفاصلة، لا يبعد عن بلاغة النظم، يقول فيه: "نرى أن التعبير القرآني قد يضطر إلى مغايرة فاصلة من فواصل السورة إذا كان المعنى يستوجب ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾، فختم الآية بكلمة: (يحور) و لم يمد الصوت فيه، مع أن السورة مبنية على مد صوت الألف، ولو أنه قال: (يحورا) لتجانست الفاصلة مع فواصل السورة إلا أن المعنى يتغير في هذه الحالة، فضلاً عما في الآية من تناسب بين المعنى

---

(١) انظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص٥٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢٤/٣٠-٢٢٥.

(٣) انظر: الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، ص٥٨.

(٤) انظر: الكشاف، للزمخشري، ٧٢٧/٤، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد الأندلسي، ٤٥٨/٥، والتفسير الكبير، للرازي، ١٠٠/٣١، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢٤/٣٠.

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢٥/٣٠.

وعدم مد الفتحة؛ لأن "أصل الحور: الرجوع إلى النقص"[١]، وهذا المعنى يتسق مع الحركة القصيرة لا الطويلة، وفي هذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى لا اللفظ[٢].

وعلى غرار هذه الفاصلة جاءت الفاصلة المنفردة في سورة البلد عجيبة مدهشة في تصويرها للمعنى، وفي دلالة تفردها، قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾[٣]، لقد وقعت في صلب مقطع اعتمد حرف الدال فاصلة له: (البلد، كبد، أحد)، ولعل السر في اختيار النظم القرآني لصوت الألف بعد الدال في هذه الفريدة فقط ليومئ بطول المد إلى الكثير المجتمع بعضه فوق بعض، فإطلاق الصوت بالمد كفيل بتصوير ذلك المعنى، فـ: "(لبدا) الكثير الذي تكدس بعضه على بعض، ولا يخاف نفاده لكثرته"[٤]، فلو حذفت الألف بعد الدال وقيل: (لبد)[٥] انحبس الصوت، فلم يؤد المعنى المراد كما لو كانت موجودة "وفُعل للكثرة، يقال:رجل حطم إذا كان كثير الحطم"[٦]، ونقل النيسابوري في تفسيره عن الزجاج أن: (لبدا) مفرد والبناء للمبالغة والكثرة[٧].

*****

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ٤٦٤/١.

(٢) انظر: الزيادة في الفاصلة القرآنية، د.صبا شاكر الواوي، ود. سناء طاهر محمد، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ج١٧، العدد ٣، ٢٠١٠م، ص٢٢٦.

(٣) سورة البلد: الآية ٦.

(٤) إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، ٤٨٢/١٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٣٢٨/٥.

(٦) قال بعضهم واحدته: لبده، ولبد جماع، وجعله بعضهم على جهة: فثم وحطم واحدًا، وهو في الوجهين جميعًا الكثير، وقرأ أبو جعفر المدني (مالاً لُبدا) مشددة، مثل ركّع، فكأنه أراد: مال لابد، ومالان لابدان، وأموال لُبّد. والأموال، والحال قد يكونان معنى واحدًا. انظر: معاني القرآن، للفراء، ٢٦٣/٣. وروي عن أبي جعفر أنه قرأ: لبدًا، جمع لابد، وعن مجاهد أنه قال: قرأ لبدا، جمع لبود، ولا نعلم اختلافًا في معناه أنه كثير. انظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، ١٤٢/٥.

(٧) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٥٠٢/٦.

الخَاتمَة

الخاتمـــة

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيه الأمين، محمَّدٍ ﷺ.

أما بعد:

فقد تناولتُ في هذا البحث الفواصل القرآنية المنفردة بالدراسة التحليليَّة البلاغيَّة راميةً إلى الكشف عن القيم البلاغية في كلِّ فاصلة منفردة على اختلاف موقعها، والوقوف على متطلَّبات المقاصد القرآنية في المواضع التي انفردت فيها الفواصل من كتاب الله –عز وجل–، والتعرف إلى الأسباب المقتضية صورةً من النَّظم دون أخرى، وعلى تلك الدَّواعي من المعاني التي تستدعي تخصيص فاصلة بموضع ما دون آخر، وبسورة ما دون أخرى؛ تجليةً للعلاقة بين كسر الإيقاع في الفاصلة والبلاغة العربية في الإعجاز البياني للقرآن، ومُحاولةً لاستخلاص ما يمكن استخلاصه من رؤًى ومنطلقات في إعجاز القرآن في انفراد فواصله من خلال دراسة بلاغيَّة، وقد توصلت خلالها إلى عدة نتائج.

ومن أبرز هذه النتائج التي خرجتُ بها من هذه الدِّراسة –عدا ما ذكرته في ثنايا البحث– ما يلي:

- اختصت الفواصل القرآنية بسمات اجتمعت فيها كل وجوه الحسن وخصائص التعبير والجمال الفني.
- إن الفاصلة القرآنية هي آخر لفظ في الآية ينتهي بصوت قد يتكرر محدثًا إيقاعًا مؤثرًا، وقد لا يتكرر ليحدث صدمة للتوقع عن طريق المفاجأة السارة.
- وإذا كانت أكثر الدراسات التي تناولت الفواصل القرآنية اتجهت إلى النوع الأول لتبرز ما فيها من جمال الفواصل، وما تحدثه من أثر وجداني يحقق المتعة النفسية باستجابته للتوقع؛ فإن هذه الدراسة اتجهت إلى النوع الثاني وحاولت البحث عن القيمة البلاغية والمتعة العقلية من وراء انفراد الفاصلة، بما يصاحبها من مفاجأة تلفت القلب إلى غاية يهدف النظم الحكيم إلى التركيز عليها.
- أكدت الدراسة على أهمية معرفة موقع الفاصلة المنفردة في السورة؛ لما له من تأثير في صور نظمها، ولما يمثل من جمال الإعجاز القرآني وجلاله.

● أثبت البحث أن الفاصلة المنفردة في القرآن لها سمة يوضحها عامل الجمع بين الوفاء بحق الفاصلة والمعنى معا.

● اتضح من خلال البحث أن الفاصلة المنفردة ليس لها نظير في بقية السورة من حيث: الإطلاق والتقييد، أو حرف الروي (حرف الفاصلة)، أو الردف، فقد يتحقق انفراد الفاصلة بأحد تلك الأنواع، أو باجتماع بعضها في فاصلة واحدة.

● توصل البحث إلى أن جمال إيقاع الفاصلة المنفردة يتكون من موسيقا النظم الناتجة عن ترابط الكلمات بشكل خاص، يكوِّن نغما متسقا من مقاطع صوتية تخالف الفاصلة السابقة واللاحقة.

● توصلت الدراسة إلى أن القرآن الكريم يطوع الخصائص الصوتية في الفواصل المنفردة لمحاكاة المعاني التي تلفت إليها بانفرادها.

● بينت الدراسة أن الصوت دليل ناطق على كل مسكوت عنه، وقد يبوح لنا بأشياء توارت خلف حاجز الصمت، وهذا ما لمسناه من خلال دراسة الفواصل المنفردة، وتأثيره على نفسية المتلقي.

● أبرزت الدراسة الترابط الساري بين مقاطع بعض السور ومطالعها من ناحية، وبين مقطع السورة ومطلع التي تليها، وهو ما يلفت إلى وحدة النص غاية وأسلوبا، وما بينها من وشائج صوتية، تتضح من خلال السياق.

● أظهرت محاور البحث أن الفواصل المنفردة ما هي إلا ضرب من الإعجاز في نظم القرآن الكريم، في تفردها بإيقاع لا يتسرب إليه الملل، ولا يعكر إيقاعها قهر الألفاظ أو المعاني.

● يُلحظ من خلال البحث انتظام الفواصل المنفردة مع آياتها واقترانها بها في تناسق كامل وتآلف، في دلالة ألفاظها وتلاقي معانيها على الوجه الذي تقتضيه البلاغة، ومظاهر الإعجاز، فهي ترسخ في النفس الأغراض الدينية التي ترمي إليها والجوانب اللغوية والدينية التي تشتمل عليها.

● غالبًا ما يلتقي إفراد الفاصلة بإفراد الله -تعالى- بالوحدانية، وتفرده بالألوهية والهيمنة، أو تفرده بالقضاء وتدبير الخلق، أو الإشارة إلى انفراده وحده بالعبودية وسجود الجباه لوجهه الكريم، بالإضافة إلى محاكاتها لانفراد القرآن الكريم بالبقاء حيا يهدي قلوب الخلق، فهو الذكر

الباقي الذي تعهد الله بحفظه، وميَّزه عن سائر الكتب السماوية التي امتدت إليها يد العابثين بالتحريف والتبديل، وعجزت عن المساس بهذا الكتاب، كما عجزت عن محاكاته في نظمه.

● أكد البحث أن هذا الانفراد- الذي تميزت به الفاصلة القرآنية- لو وقع في قافية الشعر لعُدَّ عيبًا، إلا أنه لا يُعد عيبًا في الفاصلة، بل إن وقوعه في الفاصلة إنما يكون لدلالات أو إيحاءات مرادة يؤكدها سياق الآية أو السورة أو النص القرآني مكتملاً، وهذا ما يميز القرآن الكريم عن غيره من فنون القول الأخرى، فيتنوع ويتنقل من فاصلة إلى أخرى، وفقًا لتنوع أجواء الحديث بكل يسر وسهولة.

وبعد...فتلك كانت أبرز الوقفات البلاغية التي تمكّنتُ من رصدها، وما قلته ليس إلا غيضًا من فيض، وقطرة من بحر البلاغة القرآنية، إذ لا شك في أن بلاغة القرآن تنطوي على الكثير من الأسرار والدقائق واللطائف.

توصية البحث:

يحسن بي في هذا المقام ومن خلال ملازمتي للفواصل المنفردة في القرآن الكريم أن أوصي الباحثين بالعكوف على دراسة الفواصل المنفردة في ضوء اللسانيات المعاصرة، كالحجاج والتداولية، وما إلى ذلك من البلاغة الجديدة، إذ تمثل الفواصل المنفردة في القرآن الكريم أرضًا خصبةً لدراسات أخرى عميقة تبرز الإعجاز القرآني ومتصرَّفات نظمه.

وأسأل الله الكريم مُعلِّم داود ومفهِّم سليمان، ومنزل القرآن على محمد ﷺ، أن يجعلني ممن وُفِّق وسُدِّد، وأبدى الصَّحيح من العلم ولو قلَّ، فما كان من خيرٍ فمن الله المنَّان، وما كان من خطأ وزلل، فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.

والحمد لله بلا نهاية، والشكر بلا غاية كما هو أهله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الباحثة

خامساً: المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

✸ القرآن الكريم.

✸ أبحاث في أصوات العربية، د.حسام النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٩٨م.

✸ الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٩٤هـ-١٩٧٤م.

✸ أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

✸ أسباب حدوث الحرف، لابن سيناء، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د. ت.

✸ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط١، بيروت،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

✸ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

✸ أصوات العربية بين التحول والثبات، للدكتور حسام النعيمي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، د.ت.

✸ الأصوات اللغوية، لإبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، د.ت.

✸ الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، لعائشة عبدالرحمن(بنت الشاطئ)، دار المعارف، ط٣، د.ت.

✸ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط١، دار عمار، عمان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

✸ إعجاز القرآن الكريم، للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٩٧م.

✸ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرفاعي، دار الكتاب العربي، ط٨، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

✸ إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ.

✸ الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

✸ الإقناع في القراءات السبع، للإمام أبو جعفر الأنصاري، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.

✸ أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد علي الصدر الدين ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

✸ أهدى سبيل إلى علمي الخليل،للدكتور محمود مصطفى،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

✸ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط٥، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

✸ الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، للخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.

✸ الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

✸ البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٦، القاهرة، ١٩٨٨م.

✸ البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

✸ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس الصوفي، تحقيق: أحمد عبدالله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

✸ بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، دار نهضة مصر، الفجالة،ط٢، القاهرة، د.ت.

✸البديع (تأصيل وتجديد)، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٦م.

✸ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، دار المعرفة، ط١، لبنان، بيروت، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

✸ البرهان في وجوه البيان، لإسحاق بن وهب الكاتب، تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، ومطبعة الرسالة، د.ت.

✸ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، القاهرة.

✸ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ.

✸ البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

✸ البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان ، عالم الكتب، ط٣، ١١٤١هـ-١٩٩٣م.

✸ البيان في عد آي القرآن، للداني، تحقيق: غانم قدوري حمد، مركز المخطوطات والتراث، ط١، الكويت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

✸ البيان والتبيين، للجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

✸ تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الهدية، د.ت.

✸ تأملات في سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، د. عادل الرويني، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، دبي، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

✸ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي، تحقيق: د.هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

✸ التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني، تحقيق: الدكتور غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، ط١، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م.

✸ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الأصبع، تحقيق: د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت.

✸ التحرير والتنوير، لابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

✸ التركيب اللغوي للأدب (بحث فلسفة اللغة والاستطيقا)، للدكتور لطفي عبدالبديع، دار المريخ، للنشر، الرياض، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

✸ التصوير الساخر في القرآن الكريم، د.عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

✸ التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط٣، القاهرة، بيروت.

✸ التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي، ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، ط١، الأردن، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

✸ التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية المستشرق الألماني برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: الدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

✸ التعبير الفني في القرآن، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق، ط ٤، بيروت، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

✸ التعريفات، للشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١ن ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

✸ التفسير البلاغي للاستفهام، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط٣، القاهرة، ١٤٢٨هـ.

✸ التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة عبدالرحمن، دار المعارف، ط٧، القاهرة، د.ت.

✸ تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، دار الحديث، ط١، القاهرة، د.ت.

✸تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت،١٤١٩هـ.

✸ تفسير القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث الإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار مكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ.

✸ التفسير القرآني للقرآن، لعبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

✸ تفسير المعوذتين، لابن القيم الجوزية، تحقيق: السيد إبراهيم، دار الحديث، ١٩٨٩م.

✸ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

✸ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى للزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط٢، دمشق، ١٤١٨هـ.

✸ التكرير بين المثير والتأثير، للدكتور: عز الدين السيد، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

✸ التلخيص في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

✸ التمييز في علم التجويد، لابن الجزري، تحقيق: الدكتور حسين البواب، مكتبة المعارف، ط١، الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

✸ التناسب البياني في القرآن الكريم، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

✸ تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.

✸ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

✸ جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

✸ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٣٤٨هـ-١٩٦٤م.

✸ جماليات المفردة القرآنية، للدكتور أحمد ياسوف، إشراف وتقديم: الدكتور نور الدين عتر، دار المكتبي، ط٢، سورية -دمشق، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

✸ جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

✸ جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لأبي الفضل الغماري، مكتبة القاهرة، مطبعة محمد عاطف وسيد طه، د.ت.

✸ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت، د.ت.

✸ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، للأنصاري، تحقيق: د.مازن مبارك، دار الفكر المعاصر، لبنان، بيروت، ط١٤١١هـ.

✸ حسن التوسل إلى صناعة الترسل، لشهاب الدين الحلبي، مطبعة أمين أفندي، مصر، ١٣١٥هـ.

✸ الخصائص، لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت.

✸ خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

✸ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، لعبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

✸ خصائص الحروف العربية ومعانيها، لحسن عباس، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، ١٩٩٨م.

✸ الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، للدكتور غانم قدوري حمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٢، عمان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

✸ دراسة الأصوات اللغوية، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م-١٤١٨هـ.

✸ دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، للدكتور عبدالجواد طبق، دار الأرقم للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

✸ دراسات فنية في القرآن الكريم، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٦م.

✸ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجده، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

✸ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لحلمي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحان، دار عمان، ط٢، الأردن، عمان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

✸ روح البيان، لإسماعيل الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

✸ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

✸ سر الفصاحة، للخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

✸ سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

✸ سنن أبي داود، لأبي داود الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت.

✸ سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوه عوض، شركة المكتبة، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، مصر، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

✸ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

✸ شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، قدم له:د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان-بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

✸ صحيح البخاري، لأبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط٢، د.ت.

✸ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

✸ صور البديع -(فن الأسجاع)، علي الجندي، مطبعة الشباب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

✸ الصورة الفنية في المثل القرآني، دراسة نقدية بلاغية، محمد حسين علي الصغير، دار الهادي للنشر، ١٩٩٢م.

✸ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العنصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ.

✸ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

✸ علم الأصوات، للدكتور كمال بشر، دار غريب، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

✸ علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة، ومسائل البديع، بسيوني عبدالفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، دار المعالم الثقافية، ط٢، الأحساء، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

✸ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د.محمود السعران، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، د.ت.

✸ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ السمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، د.ت.

✸ العميد في علم التجويد، محمود المصري، تحقيق: محمد صادق قمحاوي، دار العقيدة، الاسكندرية، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

✸ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

✸ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٤١١هـ.

✸ الفاصلة في القرآن، لمحمد الحسناوي، دار عمار، ط٢، عمان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

✸ فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، الكلم الطيب، ط١، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

✸ فقه اللغة المقارن، للدكتور إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، د.ت.

✸ فقه اللغة وخصائصه العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، لمحمد المبارك، دار الفكر، د.ت.

✸ الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن القيم الجوزية، تصحيح: السيد محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، ط١، مصر، د.ت.

✸ فواصل الآيات القرآنية، للدكتور كمال الدين عبدالغني مرسي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

✸ فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية، للسيد الخضر، مكتبة الآداب، ط٢، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

✸ في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط١، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ.

✸ القافية تاج الإيقاع الشعري، د.أحمد كشك، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ت.

✸ القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، للعلامة المخللاتي، تحقيق: عبدالرزاق إبراهيم موسى، طبعة وزارة الإعلام، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

✸ الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

✸ كتاب الصناعتين في صناعة الشعر والنثر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

✸ كتاب الإدغام الكبير، لأبي عمر الداني، تحقيق: د.عبدالرحمن عارف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

✸ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عبدالرزاق مهدي، دار إحياء التراث، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

✸ الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، للكوفي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

✸ لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن المعروف بالخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

✸ لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ.

✸ اللغة الشاعرة، لعباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

✸ اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، ط٤، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

✸ مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، أ.أ. ريتشاردز، ترجمة: محمد بدوي، مراجعة: لويس القلماوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

✸ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

✸ مجموعة الفتاوى، لابن تيمية، أعتنى بها وخرّج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، د.ت.

✸ المختار من تفسير القرآن الكريم، للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت.

✸ مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، للتفتازاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

✸ مختصر السعد، للتفتازاني، ومواهب المفتاح، للمغربي، وعروس الأفراح، للسبكي، ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

✸ المخصص، لابن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

✸ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له:محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ط١، بيروت: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

✸ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، للدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

✸ مستوى السرد الإعجازي في القصة القرآنية، شارف رمزي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

✸ مسند أبو داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط١، مصر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

✸ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، للدكتور عبدالعزيز الصبغ، دار الفكر، ط١، دمشق، سورية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

✸ مصنف عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ.

✸ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

✸ معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، تحقيق: عبدالرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٠هـ.

✸ معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: د.هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

✸ معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد النجار وعبدالفتاح إسماعيل، دار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ط١، د.ت.

✸ معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، للحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

✸ معجم الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

✸ معجم علم الأصوات، محمدعلي الخولي، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

✸ معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

✸ معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، د.ت.

✸ معجم القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد العرقسوسي، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

✸ معجم مختار الصحاح، للرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط٥، بيروت، صيدا، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

✸ معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط١، صفاقس، الجمهورية التونسية، ١٩٨٦م.

✸ معجم مقاييس اللغة، لأحمد فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

✸ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.

✸ مفاتيح الغيب=التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٤٢٠هـ.

✸ مفتاح العلوم، للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

✸ مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور: مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، ط١، دمشق- بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.

✸ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، الدار الشامية، ط١، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

✸ المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

✸ من أسرار البيان القرآني، د.فاضل السامرائي، دار الفكر، ط٢، الأردن، عمان، ٢٠١٠م-١٤٣١هـ.

✸ من أسرار التعبير القرآني: دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط٣، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

✸ مناهج البحث في اللغة، لتمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

✸ مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، د.ت.

✸ المترع البديع في تجنيس أساليب البديع، للسجلماسي، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط١، الرباط، المغرب، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

✸ مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح للمغربي، تحقيق: د.خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

✸ موسيقى الشعر، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٢م.

✸ النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد عبدالله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ.د.عبد العظيم المطعني، دار القلم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

✸ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي محمد الصباغ، المطبعة التجارية الكبرى، د.ت.

✸ نظرية إيقاع الشعر العربي، لمحمد العياشي، المطبعة العصرية، تونس،١٩٧٦م.

✸ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

✸ النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني، تحقيق: محمد خلق الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٩٧م.

✸ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الجزري، تحقيق: طاهر الزوري ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

✸ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسير أحكامه، وجمل من فنون علومه، العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث للقيرواني، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

✸ وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، د.ت.

*****

ثانيًا: البحوث العلمية والمقالات المنشورة في المجلات والدوريات:

✸ الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية، د.عمر عبدالهادي عتيق، نشر في مجلة المنار، مجلد ١٦، عدد٣.

✸ الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق النص القرآنية، للدكتورة جنان محمد معدي، مجلة كلية البنات، المجلد ٢١.

✸ إيقاع الفواصل المنفردة (دراسة دلالية)، للدكتور محروس السيد بريك، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

✸ الإيقاع القرآني (أثره الفني وإعجازه البلاغي)، للدكتور أسامة شكري العدوي، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

✸ تصعيد الخطاب في سورة الكافرون، قراءة في ضوء النص، د.حليمة أحمد عمايرة، المجلة العلمية لبحوث القرآن، المجلد٢، العدد٢، ٢٠١٢م.

✸ التصوير الصوتي في سورة الزلزلة، هادي سعدون هنون، مجلة جامعة الكوفة، ع١٨، ٢٠١٠م.

✸ التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، دراسة بلاغية، د.جنان منصور كاظم الجبوري، جامعة بغداد، العراق، مجلة كلية التربية، ابن رشد، قسم اللغة العربية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

✸ التفسير البياني لسورة تبت يدا أبي لهب وتب، د.محمد رضا الحوري، جامعة القصيم (السعودية)، مجلة العلوم الشرعية، ع٢،م.ج٢٠١٦،٩م.

✸ جمال الفاصلة في القرآن، للدكتور عبد القادر بن فطة، مجلة عود الند الثقافية، للناشر: الدكتور عدلي الهواري، العدد:٩٤.

✸ جماليات الإيقاع في الفواصل المنفردة، للدكتور السيد عبد السميع حسونة، مجلة حولية، كلية اللغة العربية بالزقازيق، المجلد الأول، ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ.

✸ دلالات الألفاظ في التفكير البلاغي، دراسة تحليلية، د.أسامة جاب الله، مجلة جامعة كفر الشيخ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها.

✸ دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم دراسة تحليلية، للدكتور محمد رمضان البع، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٩، -٢٠١٠م.

✸ الزيادة في الفاصلة القرآنية، د.صبا شاكر الواوي، ود.سناء طاهر محمد، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ج١٧، العدد ٣، ٢٠١٠م.

✸ سورة طه، دراسة أسلوبية صوتية، للدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة، مجلة المنار، المجلد ١٨، العدد ٢، كلية الآداب، جامعة الزيتونة الأردنية، ٢٠١٢.

✸ سورة العلق: قراءة بلاغية، أ.م.د. أحمد فتحي رمضان، مجلة آداب الرافدين (العراق)، ع٦٨، ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م.

✸ سورة فاطر- دراسة أسلوبية، د. محمد عبد السلام كامل، مجلة فكر وإبداع، مصر، ٢٠١٢م.

✸ سورة القيامة دراسة تحليلية بلاغية، للدكتور إبراهيم البريكي، كلية العلوم العربية والاجتماعية، جامعة القصيم، مجلة العلوم العربية، العدد ١٤، ١٤٣١هـ.

✸ سورة اللهب: دراسة في إعجاز القرآن الصوتي، د. عزة عدنان أحمد عزت، مجلة آداب الرافدين(العراق)، ع٣٧، ٢٠٠٣م.

✸ الفاصلة القرآنية في سورة الأحزاب، دراسة إيقاعية دلالية، د.حامد أيوب، مجلة فكر وإبداع، مصر، ج٨١، ٢٠١٣م.

✸ الفاصلة القرآنية وحقائق اللغة فيها، دراسة في أثر الفاصلة في بيان المعنى في القرآن الكريم، سورة هود نموذجًا، د. خلف قصي محمود، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العراق، العدد ١٤، ٢٠٠٨م.

✸ الفاصلة القرآنية: دراسة دلالية أسلوبية، للدكتورة عزة محمد جدوع، مجلة كلية التربية–جامعة قناة السويس، مجلة القراءة والمعرفة، مصر، العدد٢٠٠٨،٧٩.

✸ في سورة اللهب: دراسة بلاغية، د. أحمد فتحي رمضان، أدب الرافدين(العراق)، ع٣١، ١٩٩٨م.

✸ كسر الإيقاع ودلالته في الفاصلة القرآنية، د.محمد الأمين الخضري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة.

✸ لغة الحوار في سورة يوسف – دراسة أسلوبية، د.أحمد جمال الدين، مجلة كلية الآداب بالإسماعيلية – جامعة قناة السويس.

✸ مستويات أسلوبية في سورة مريم، د.فيصل حسن غوادرة، مجلة جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، جنين.

✸ ملامح أسلوبية في سورة القيامة، د.أمل حامد بدر، جامعة البصرة، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة آداب البصرة، العدد ٦٦، ٢٠١٣م.

✸ من عطاءات الإيقاع الكمي للجملة في القرآن الكريم (سورة المدثر أنموذجًا)، للدكتور شوادفي أحمد السيد علام، مجلة كلية اللغة العربية في المنصورة، جامعة الأزهر، ع٢٦، القاهرة، ٢٠٠٧م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

✸ الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنيَّة، دراسة تطبيقيَّة على سورة النساء، أطروحة ماجستير، موسى مسلم الحشاش، إشراف، أ.د.عصام العبد زهد، الجامعة الإسلاميَّة بغزة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

✸ التحليل الصوتي للنصّ: بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا، أطروحة ماجستير، إعداد: مهدي عناد أحمد قهبا، إشراف: أ.د.محمّد جواد النوري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١١م.

✸ سورة الواقعة: دراسة أسلوبية، أطروحة ماجستير، بلال سامي إحمود الفقهاء، إشراف الدكتور: عثمان مصطفى الجبر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١/٢٠١٢م.

✸ المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقيَّة لسورتي مريم وطه، أطروحة ماجستير، محمد بكر العف، الجامعة الإسلاميَّة، كليَّة أصول الدين، غزة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

رابعاً: مقالات الشبكة العنكبوتية:

✸ الإيحاء الصوتي في التعبير القرآني، للدكتور قاصد ياسر الزيدي، ملتقى أهل التفسير، ١٤٢٧/٢/٥هـ، ٢٠٠٦/٣/٥م.

✸ لمسات بيانيَّة في نصوص من التَّنزيل – محاضرات – فاضل السامرائي، أعده للشاملة، أبو عبد المعز (تفريغ للحلقات تليفزيونية وفيه اختلاف وزيادة عن الكتاب المطبوع بنفس الاسم).

✸ مقال بعنوان: (الفاصلة القرآنية)، د.أبو عائشة، ملتقى أهل التفسير، ١٤٢٥/٦/٢٥هـ- ٢٠٠٤/٨/١١م، vb.tafsir.tafsiv371.

✸ مقال بعنوان: (الكلمة في القرآن) -عاشقة لمكانها-تم إضافته في ٤ نوفمبر، ٢٠٠٩م، بواسطة إسلاميات islamiyyat.com2009.090.04.

✸ مقال بعنوان: (لمسات بيانية من سورة طه)، للدكتور فاضل السامرائي، ٢٠١٤/٢/٢٨.

✸ مقال بعنوان: ملامح الفواصل في السور الأربع، لمحمد الحسناوي، رابطة أدباء الشام، www.adabasham.net.

*****

فهرس الموضوعات

الملخص العربي ٤

الملخص الانجليزي ٦

إهداء ٨

شكر وتقدير ٩

المقدمة ١٠

التمهيد

المحور الأول: الفاصلة في الدراسات البلاغية ٢٠

المحور الثاني: مفهوم الفاصلة المنفردة **٣٠**

الفصل الأول

موقع الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم

المبحث الأول: الفاصلة المنفردة في أول السورة ٤٥

المبحث الثاني: الفاصلة المنفردة في وسط السورة ٦١

المبحث الثالث: الفاصلة المنفردة في آخر السورة ٩٣

الفصل الثاني

بناء الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم

المبحث الأول: الفاصلة المنفردة في الحرف الأخير ١٠٩

المبحث الثاني: الكسر الإيقاعي في الفاصلة المنفردة ١٣٦

المبحث الثالث: الفاصلة المنفردة والسياق ١٥٨

الفصل الثالث

دلالات الفاصلة المنفردة في القرآن الكريم

المبحث الأول: الدلالة الإيحائية في الفاصلة المنفردة ١٨١

المبحث الثاني: الدلالة المعنوية في الفاصلة المنفردة.....١٩٤

الخاتمة ٢٠٨

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية ٢١٢

٢- فهرس الأحاديث النبوية ٢٤٧

٣- فهرس الشعر.....٢٤٨

٤- فهرس الأعلام ٢٤٩

المصادر والمراجع

١- الكتب ٢٥١

٢- البحوث العلمية والمقالات المنشورة في المجلات والدوريات.....٢٦٧

٣- الرسائل العلمية ٢٧٠

٤-الشبكة العنكبوتية.....٢٧٠

فهرس الموضوعات ٢٧٢